

رحلة
الكابتن فلمير
1876
عبر الساحل في نهاية عهد الحكم العثماني
مع ملحق الأحداث التاريخية
OMAN
COAST
بن دغار

بسم الله الرحمن الرحیم

رحلة الكابتن فلوير

كاتب:

ارنست فلوير

نشرت فى الطباعة:

ارنست فلوير

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

رحلة الكابتن فلوير

اشارة

نام كتاب: رحلة الكابتن فلوير

نويسنده: فلوير، ارنست

تاريخ وفات مؤلف: ۱۹۰۳ م

موضوع: سفرنامه

زبان: عربى

تعداد جلد: ۱

ناشر: مولف

مكان چاپ: بيروت

سال چاپ: ۲۰۰۸ م

نوبت چاپ: اول

مقدمة

كان جدى «محمد آل دغار» لا ينفك بالحديث عن تاريخ جده الكبير أثناء فترة الحكم العربى لساحل مكران، إعتقدت فى تلك الفترة أنه أمر يتعلق بمجرى الأحداث فى تلك الأيام. و مع الوقت إكتشفت و قرأت أوراقا عديدة عن هذا الموضوع مما جعلنى أدرك أهمية تاريخهم و الدور الذى قاموا به فى تاريخ هذه المنطقة المهمة سواء سياسيا أو اقتصاديا.

ظلت أسرة آل دغار و التى ترجع أصولها إلى بنى هود من القحطانيين العرب و الذين ظلوا يحكمون أو يمثلون الحكومات العمانية و العربية العديدة التى حكمت ساحل مكران منذ ملوك هرمز و اليعاربة و البو سعيد و القواسم و حتى خروج العمانيين منها- و أقاموا إماراتهم فى المنطقة حتى سقوط آخر أمرائهم عام ۱۹۳۲ على يد رضا شاه بهلوى.

و تظل «جغين» و التى هى منطقة استقرار هذه القبائل و أمرائهم من

رحلة الكابتن فلوير، ص: ۶

آل دغار تاريخا قائما بذاته و شاهدا على حكم القبائل العربية للساحل لسنوات طويلة قبل إنهيار الوجود العمانى العربى بأكمله و تحويل المنطقة إلى حكم فارسى (إيران).

و قد جعلت موضوع تاريخهم أمرا أرجع إليه من وقت لآخر حتى إكتشفت و بعد سنوات من البحث المتقطع و الغير منتظم أنى جمعت مادة و معلومات تاريخية تستحق أن أوصلها للقارئ العربى خاصة فى منطقة الخليج لأنها تحوى معلومات لم تذكر أو تتوفر سواء للمطّلع العام أو المختص بالتاريخ السياسى لهذا الجزء من منطقتنا- و مع أنى لست بالمختص بعلم التاريخ فإنى ارتأيت أن أوصل هذه المعلومات عن طريق رحلة قام بها نقيب إنجليزى إسمه الكابتن فلوير الذى قام برحلة فى هذه المنطقة عام ۱۸۷۶ حيث زار مناطق قبائل البلوش على ساحل خليج عمان و كذلك مناطق الجزر العربية مثل (هنجام) التى كانت تحت حكم قبائل (بنى ياس) و من خلالها قمت بإضافة المعلومات المناسبة لإيصالها بسلاسة للقارئ.

و مع أن هـذه المعلومات تاريخية و قديمة فإنى أعتقد أنها إضافة جديدة للمكتبة العربية لأنها المرة الأولى التى يتم طرح الخلفية التاريخيـة و السياسـية لهـذه المنطقـة و على أمل أن تكون بدايـة فى فتـح الباب لمعلومات إضافيـة عن التاريـخ العربى فى منطقة ساحل مكران.

و إرتأيت تسمية الكتاب «رحلة الكابتن فلوير ١٨٧٦ عبر الساحل من نهاية عهد الحكم العمّانى مع الأحداث التاريخية».

حيث أنها أتت بسنوات قليلة بعد إنتهاء الحكم العمانى كما هو مبين فى ملحق الأحداث التاريخية و التى إرتأيت إضافتها كملحق عن تاريخ المنطقة قبل و بعد رحلة الكابتن فلوير لأجل تكملة البحث و الإفادة العامة.

و إننـا إن نـذكر هـذا التاريـخ لهـذا الجيل الـذى هو فى واقع الأمر يرجع بـذكراه إلى جـده الخامس أو السادس فى الشخصيات المـذكورة بهـذه الرحلـة و الكتـاب فإننـا نأمل أن يسـتفيد و نسـتعيد تاريخا مجيـدا بنوه هؤلاء الأجـداد ليكون التاريـخ عبرة لنا و لأجيالنا القادمة.

و الله المستعان

بن دغار

الإمارات

سبتمبر – ٢٠٠٨

تمهيد

اشارة

عنـد تنـاول تاريـخ عمـان و إمـارات سـاحـل عمان لا بـد من الإشارة إلى أن هناك ثلاثـة عوامل لعبت دورا فى مكانها الهام عبر التاريخ.

العامل الأول– الموقع الجغرافى:

أنها تاريخيا سيطرت على أغلب الجزء الشـرقى لشـبه الجزيرة العربية ممتدة من حضرموت إلى قطر، و بجوارها مناطق عديدة فى بحر العرب و المحيط الهندى، و عرفت بكونها (أمة بحارة)، فبين بلاد ما بين النهرين إلى ضـفاف الهند و شرق أفريقيا لعبوا دورا رئيسيا فى العالم البحرى لنحو ليس أقل من خمسة آلاف سنة.

العامل الثانى– العامل التاريخى:

و يشـكل المظهر التاريخى عاملا آخر من أهميـة هـذا الإقليم حيث أثبتت الاكتشافات الأثرية الأخيرة على أن أقدم المسـتوطنات فيها يرجع

إلى الألفيـة السابعـة قبل الميلاد. فالصوان المكتشف فى ظفار و أكوام القبور فى عبرى و الأحجار المحفورة فى وادى عدى و أم

النار و هيلى و مليحه أثبتت مـدى تطور حضارة ذلك الوقت. و إسـتمر هـذا الدور، منذ تلك الأزمان السـحيقة عندما كانت هذه المنطقـة مركزا لمعظم الاتصالات فى الشـرق الأوسـط ممـا دعـا أهـاليه و قبائله بالإنتقال و الإسـتقرار فى مناطق عـدة قريبـة بل و يحكموها مثل قصة سـليمة بن ملك بن فهم، و الذى يعتبره رهط كبير من البلوش جدهم الأكبر، و كذلك الوصول إلى سواحل الهند و شرق أفريقيا و إقامة مستوطناتهم بها.

العامل الثالث– الجانب السياسى:

إن العامل الثالث لأهميـة هـذا الإقليم هو الجانب السياسـى، فمنذ فجر الإسـلام حتى الآن تتمتع بسياسـتها المسـتقلة الخاصة. و فى السابق لعب الجانب القبلى فى إعتبارهم من العرق القحطانى اليمانى المرجعيـة العصبيـة فى تعاملهم مع باقى العنصر العدنانى فى شبه الجزيرة العربيـة بل و حتى فى نفس الإقليم العمانى سواء فى ظاهره أو باطنه أو ساحله أو حتى فى أطرافه و التى وصـلت إلى مكران و زنجبار.

و رغم أن المذهب الإباضـى لعب دورا أساسيا فى هذه الخصوصـية إذ رفضت مبادئه الفكر السائد الآخر فى بقية الجزيرة العربية بدءا من سـلطات الخلفاء فى بغداد، غير ان هذه الإسـتقلالية ظلت سـمة سائدة بين كافة القبائل فى سائر الإقليم العمانى و أطرافه، مما جعل إماراتها و دولها لاعبا رئيسيا فى تاريخ المنطقة بل و قوة كبيرة تقارع قوى عظمى أخرى أتت للمنطقة مثل البرتغاليين و دولة فارس و حتى الإنجليز.

رحلة الكابتن فلوير، ص: ١١

لذا، أعتقد بأنه من الأهمية لأن يدرك أبناء هذه المنطقة الخصوصية السياسية و التاريخية و الجغرافية لبلادهم حتى يتم البناء على النهضة الحديثة التى نشهدها و الإنطلاق نحو أفاق جديدة لإعادة الدور التاريخى لنا فى مسيرة الحضارة الإنسانية.

و هذا الكتاب هو قطرة فى بحر الدور الحضارى الذى قام به أجدادنا عسى أن يكون منارا لنا فى المستقبل إنشاء الله.

و الله ولى التوفيق،،،

رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٣

مقدمة الكتاب جولد سميد

إلى كـل المهتمين بالدراسـة الجغرافيـة و السياسـية لبلاد فارس «إيران» و شـمال الهنـد إن معرفـة هـذه البلاد تمثل أهميـة قصوى للإنجليز و على الأخص فى وقتنا الحاضـر فإن أ مناطق بلوشستاناً المجهولة و التى من الممكن أن تخفق فى كونها موضوعا جذابا لأـن حتى العنوان يتطلب تفسيرا لمعناه لأن معنى (بلوشسـتان) غير معروف و مجهول و هـذه المنطقـة و لم يتم تحديـدها ضـمن الحـدود المقر بها دوليا و غير معلنـة سـلفا و نحن عنـد ما نصف هذه المنطقة فهى واقعة بين خطوط الطول ٥٧ و ٦٧، يحدها من الشمال خط العرض ٢٨ و يبـدأ من (كوه باسـمان) و (كوه نوشادر) و من الجنوب يحـدها البحر، هذا الوصف يتطابق مع الطريقة الفارسـية فى تحديـد أملاك الشاه من (بنـدر عباس) شـرقا مما جعل (الهنـد البريطانيـة) تحذوا حذوها فى إطلاق نفس الأسـماء التعريفية لمقاطعة (براهوى) غرب جبال

رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٤

(هالـة) و التى تعـد نقطـة إلتقـاء بين الحـدود الغربيـة أو فـارس و الشـرقية أو خـان (الكلاـت) البلوشـية ممـا يعنى أنها شـمال نهر

(ماشكد) و جنوب قرية الصيد (غواتر).

و فى نظرة عامة إلى خريطة بلاد فارس الحالية يتضح أن جزءا كبيرا من أراضى بلوشستان أصبحت ضمن حدودها مما يعنى أنها تحتاج إلى تحديد خاص لا يمكن معه أن تكون الأراضى الخالية و المعروفة مثل (باشكرد) و (رودبار) و (ارفشان) أن ننعتها باسم الصحراء أو الأرض الجبلية. لذا وجب تعيينها أو الإشارة إليها و لو بشكل غير مؤكد باسم (الأراضى المجهولة) و ربما يكون هذا سيئا للجغرافى و لكنه ليس كذلك بالنسبة إلى طلاب السياسات الشرقية الذين يعتبرونه إهمالا جغرافيا لا يستحق اللوم لأنه من غير المنطقى أن تبقى هذه المنطقة مجهولة بالنسبة للهند البريطانية لأنها من جيرانها المباشرين. و منذ أكثر من أربعين سنة وضعنا عملائنا السياسيين فى (السند) و (بلوشستان) و بقية حكام تلك الأقاليم تحت سيطرتنا الخاصة لكن بشكل أقل من تلك الفترة بينما بقيت علاقتنا بتلك الأخيرة مستمرة. فضلا عن ذلك و خلال عشرين سنة فقط من إنشاء خط التلغراف بطول ٤٠٠ ميل على طول ساحل (مكران) غرب (كراتشى) و بعد ست سنوات امتد إلى ميناء (جاسك) حتى وصل جزيرة (هنجام) عبر توصيلة تحت الماء إلى نقطة التقاء الحدود مع بلاد (البلوش) غربا. و هذا يدعونا إلى عمل قانون لتشجيع و منح إجازات رسمية لمغادرة الموظفين إلى خارج مجال أعمالهم الخاصة حتى فى إجازاتهم الخاصة ليتمكنوا من كسب معلومات أو تغيير مؤقت للجو الصحى السائد فى البلاد التى يعملون بها.

السيد آرنست فلورير أحد الموظفين الحكوميين فى التلغراف الهندى الأوروبى فى تلك الفترة فى الخليج «الفارسى» يعد واحدا ممن لديهم القدرة على الاكتشاف و الروح التى تطمح دائما إلى البحث عن المجهول

رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٥

صورة الكابتن فلوير مع أحد مرافقيه «صورة أخذت فى مصر لاحقا»

مما يمكننا من القول أنه مكتشف عظيم و قد قام بمهمته بناء على اقتراح قدمته إليه فى حضور موظفى التلغراف الانجليز مبتدئا من نقطة امتداد ساحل مناطق البلوش وصولا ـ إلى «شط العرب» و «كراتشى» بمباركة الحكومة مما لا يدع مجالا للشك فى اعتقادى أنه أحد أوائل المكتشفين المختارين لهذه المهمة لكن ثمة بعض التعليمات المؤكدة الصادرة إليه تقضى بأن تتم المهمة دون اعتبار الأمر رسميا. و كما حصل ترك السيد فلورير مكان إقامته الموحشة فى «جاسك» إلى الداخل بعيدا عن سلطة رؤسائه لكن فى نفس الوقت لم يعترض أحد من موظفى محطة التلغراف على هذه الرحلة مما يعنى مضيه فى تنفيذ مهمته بدون صعوبات رسمية ليحقق ذاته من خلال المهمة و ليبقى القارىء هو الحكم.

أراد السيد «فلوير» أن يخرج من هذا المكان ليؤلف كتابا يعبر فيه عن وجهة نظره الصائبة و التى تستحق القراءة و فى الحقيقة فإن مما ذكره فى

رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٦

كتابه ليس لدى وقت للالتفات إلى نقده لكن سعادتى كبيرة عند ما أمنح دليلا يساعد على اكتشاف هذا المجهول و يعطى معلومات الى مستحقيها، فالمعلومات القليلة المتوفره تعطى اهتماما أكبر للإنجليز خاصة لأنها قريبة إلى مستعمراتهم فى «الهند البريطانية» لذا فإن المقاطعة المجهولة (باشكرد) تعطى هذا الغموض الدائم لهم. فعبرت مرتين خلال سهول بمبور الجنوبية و مرة من الضواحى الغربية مرورا من (بندر عباس) إلى (سيستان) و رحلتين من (بمبور) إلى (مكران) مكنتنى من أن أكون على دراية بموانىء (مكران) و الأراضى المجاورة لحدوده الشرقية. و مع ذلك لم يتسن لى الوقت و لا الفرصة لأتصل برئيسها عبر رسالة مما اضطره للحجز للسيد (فلورير) لزيارة عاصمة سيف الله. و كان البلوش فى تلك الفترة يواجهون صعوبات جمة بسبب تقلد موظف آخر منصبا جديدا و وصلتنا عنه بعض القصص التى تعبر عن شخصيته الحازمة.

(باشكارد) لم تكن المنطقة الوحيدة فى غرب (بلوشستان) التى زارها مسافرنا الجرىء بل أقام مخيمات فى أماكن مختلفة فى الشرق و الغرب و فى الشمال من تلك المقاطعة المسماة بلوشستان مخيما بصحبة واحد أو اثنين من السكان الأصليين لهذه المنطقة أو أحد المغامرين الذى يدفعه إلى خوض هذه المغامرة و الاستفادة بقصصها و أحداثها المتتابعة ثم يتابع رحلته إلى (فارس) المملكة الكاملة للشاه يمر خلالها على مدن مثل (كرمان)، (يزد)، (أصفهان) وصولا إلى خانقيين قرب الحدود التركية و من هناك إلى «بغداد» و (البصرة) أصبح هناك القليل من الأراضى التى لم يزرها بعد، و من «البصرة» إلى «مارسيليا» و «لندن» و قد انتابنا شعور أننا لن نفاجأ من

رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٧

المؤلف بأى رواية جديدة حول رحلته الممتعة.

إبعاد السيد (فلورير) عن شواطئ الخليج الفارسى باتجاه التلغراف المصرى و إقامتى الرسمية فى (القاهرة) مكنتنا من استئناف العلاقات التى بداناها منذ سنوات بعيدة.

الكثير من الأسئلة سألتها و وفقت فى الإجابة عليها عند كتابتى لهذا التقديم البسيط للكتاب و الذى يعد من أجمل الكتب و الأكثر روعة و ليس من اليسير أن يحظى المرء بالتقدير إن لم يكن قد أعطى كتابته العناية الكافية لذا نرجو أن تتحقق الفائدة لقارئ الكتاب.

جولد سميد

القاهرة

٣٠ من مارس ١٨٨٢

رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٨

مسار رحلة الكابتن آرنست فلوير

رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٩

الجزء الأول: [بدء الرحلة من جاسک- جغين- الأمير على و الأمير عبد النبى- جابريج- سوراک]

اشارة

لقد لفت نظرى فى (شهرنو) الأكواخ القليلة المتفرقة و سكانها يلبسون الملابس الزاهية محتفلين بحلول عيد الأضحى، اليوم الذى يلتف فيه المسلمون حول الكعبة بمكة المكرمة، و ذلك حسب اعتقادى؛ لأنه كما ذكرت، ليس بيد أحد منهم أن يعرف أى مناسبة تمر بهم، فقط أنا و «الملا سعيد» كنا نعرف سبب المناسبة.

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٢١

فى يناير ١٨٧٦ م و بينما كنت قد عانيت كثيرا فى سنوات خدمة قاسية فى الخليج الفارسى، و بعد أن منحت إجازتى السنوية الطويلة و المؤجلة من حكومة صاحبة الجلالة، فآليت جهدى فى التخطيط للإستفادة من هذه الإجازة قدر الإمكان.

و كنت أقيم فى ذلك الوقت فى (جاسك) مقابل ساحل (مسقط)، و قد فكرت أولا أن أقوم بزيارة صديقى الوكيل السياسى المقيم هناك، و لما كان «اللنش» القديم هو أسلوب المواصلات الوحيد بين البلدتين فقد قمت بتغيير هذه الفكرة خاصة أنه ليس من الممكن الحصول على سفينة قبل أسبوعين، و كان البديل لذلك القيام برحلة إلى (البشكرد) و التى بدت لى

رحلة الكابتن فلوير، ص: ۲۲

محطة التلغراف البريطانى فى «جاسک»

أنها أفضل من الفكرة السابقة، و لكنى كنت خائفا و راجعت حساباتى بسبب الجليد و الضباب فى هذه البلاد، حيث إنه من المستحيل بركوب البغل أن يسافر المرء فى هذا الطقس المشابه لمناخ الإقليم القطبى، إضافة إلى الحروب الأهلية الدائرة هناك و التى كنت قد سمعت عنها مؤخرا.

أما أصدقائى من أهالى المنطقة فقد أصروا على الذهاب إلى (ميناب) و إقناعى أن الطريق جيّد و مأهول بالسكان و فيه كل شىء متوفر للمسافر، و كل هذه الأسباب مجتمعة كان لها الأثر فى تغيير الاتجاه السابق. غير إنّى منذ زمن بعيد كنت أتمنى أن أرى ما وراء الجبال المحاذية لساحل (مكران) حيث قضيت سنوات طويلة مقتنعا بعجزى عن تحقيق هذه الأمنية، و كانت

رحلة الكابتن فلوير، ص: ۲۳

هذه أحسن فرصة تتاح لى لعبور هذه الجبال، و بالتالى لتحقيق تلك الأمنية.

عند النظر فى خارطة السير «فريدريك غولد سميد» تبدو (بنت) منطقة جميلة تستحق التوجه إليها، و من مزاياها أيضا أنه لم يسبق لأبناء بلدى الذهاب إليها .. و هكذا قررت أن أجعلها محطة سفرى الأولى.

و قررت أن أصحب مجموعة كبيرة من المراقبين فى رحلتى هذه، و بدا من الصعب أن أجد الجمال السبعة المحدّدة للحمولة، و هكذا انقضت ثلاثة أيام فى البحث عن جمال فى البلدة دون جدوى بسبب عدم معرفة حقيقة اتجاهى و الخوف من البرد، و كذلك كان الموسم هو موسم التوالد فى هذه الأيام، و كل الجمال الذكور الشابة كانت هائجة مع الإناث.

و فى مساء السابع من يناير حصلنا على سبعة جمال، هنأت نفسى بها إذ أن واحدا فقط من الجمال كان هائجا و كان ذكرا كبيرا و عمره خمس سنوات، يصيح باستمرار و يخرج زبدا كثيرا من فمه؛ و لذلك استحق أن يوصف بأنه إبل عجوز، و لكن فيما بعد اتضح أنه أفضل من منظره، و بسبب مرضى فقد كانت أمتعتى أكثر مما كان ضروريا بما فيها الخيمة و السرير و كرسى و طاولة متنّقلة. «صالح»- الملا- العربى- صاحبنى للتحرى عن شؤون الأهالى و رواياتهم. أما الطباخ فقد كان «جونيس» العنيد، و «غلام شاه» كان السفرجى و هو ولد أمين و قوى، أما «جلال» العجوز» أبو زيد سروج» ذو الفطنة و الدهاء، فقد حمل بندقيتى، بينما سائقوا الجمال الخمسة و الذين ظهرت الطيبة على وجوههم فقد حملوا الخيمة و الحطب

رحلة الكابتن فلوير، ص: ۲۴

و الماء، و يجب ألا- أنسى أيضا «توبى» كلبى الوفى الصغير ذو الأنف الأسود الذى كان مسافرا على ظهر جمل الطباخ، و أثناء الليل يحوم حول سريرى لأكون تحت حمايته الخاصة.

و بعد ثلاث ساعات عمل فى تحميل الأمتعة كان اتجاهنا إلى (بنت)، و لما كان العيد و احتفال الأضحى يصادفان فى مساء هذا اليوم فقد جعلتهم يسيرون ستة أميال فقط على أمل أن نصل مساء إلى (جغين) و هى تبعد حوالى ۲۷ ميلا- من هنا أى من (جاسک).

و هنا علىّ أن أذكر بأن (البلوش) معلوماتهم سطحية عن عقائدهم لمعرفة ما إذا كان هناك عيد، و من يعرف هذه المناسبة يسارع فى شراء ملابس جديدة، و القلة التى قابلتنا فى اليوم التالى لم يتمكن أحد منهم من اخبارى عن أى عيد هذا، و ربما كانوا مسرورين لأننى قلت لهم ربما يكون هذا عيد الأضحى، و لما قررنا أنا و «صالح» بدء رحلتنا فى صباح اليوم التالى استيقظت مبكرا بعد حالة اكتئاب لأرى ما يقدمونه فى الكرم السخى من مجموعة فرسان (جاسک) و هم فيلق من الفرسان مسلحون برماح مصقولة و يمتطون الحمير- فى مهمة لتطهير البلدان المجاورة من الكلاب الضالة، و كان خلال الليل قد سقط-

مطرا كثيفا- كإنذار لنا بأننا لن نلاقى طقسا معتدلا دائما.
الصباح كان جميلا، فامتطينا جمالنا و سرنا ببطء إلى (جغين) عبر صحراء مقفرة- فى رتابة لم نشاهد خلالها إلا أشجار النخيل و القمح فى
رحلة الكابتن فلوير، ص: ٢٥
ثلاث مناطق.
طريقنا فى التسعة عشر ميلا الأولى كان عبر الرمال بين الجبال و البحر، و هنا أرشدنا القرويون لممر عبر الجبال يمكن أن يكون أقرب من هذا الذى نسير فيه، و كنت متشوقا لمقابلة صديق كان مسافرا من (جوادر) بمحاذاة الساحل، و تركنا (جاسك) فى العاشرة صباحا و حسب وعد سابق بيننا عرجنا لأخذ «جلال» الرجل العجوز الذى توفيت زوجته الثانية قبل أيام، و قد منحه زعيمه «الأمير على» جارية اتخذها زوجة له بشكل مؤقت حتى يتسنى له أن يجمع مالا و يدفع مهرا لواحدة من جنسه، و كانت هذه تدعى «لكوم تتنس» و هى زنجية صغيرة ذات طبع عنيد، و التى لربما كانت فى خدمة بيت الأمير و كانت تكن كراهية عميقة لأطفال العجوز الأربعة، و عند ما اقتربنا سمعنا نزاعا ساخنا، فالزوجة هددت بأن تترك أبناءه جياعا إن لم يعطها اثنين من (الكران) و التى تشك فى أنه استردهما و احتفظ بهما.
قمنا بالصياح على العجوز الذى خرج من كوخه و هو يقود حماره أمامه متمتما بكلمات يعلن بها النساء، أما ابنه المدلل من زوجته الأولى، فقد تبعه و هو يبكى راجيا أباه ألا يذهب و يتركه، حيث رق له قلب الرجل العجوز، و رغم مشاكله العائلية فقد كان سعيدا بمرافقتنا فى هذه الرحلة.
فى الحقيقة «جلال» العجوز يستحق الوصف، فقد كان عمره بين ٤٥
رحلة الكابتن فلوير، ص: ٢٦
و ٦٠ سنة، و طوله ٥ أقدام و ۶ بوصات، نحيلا، قويا، متسامحا، ذراعاه و ساقاه ضعيفة، و تبدو خشنة و مشققة مثله فى ذلك مثل بقية أبناء بلاده، شعر رأسه محلوق و مغطى بعمامة دبقة على طريقة أهل الدين المحافظين، حواجبه الضخمة ذات الشعر الواقف الخشن تغطى عيناه العميقتين الغائرتين ذاتا اللون الرمادى شديد الإحمرار، مع أنف صغير يتوسط وجهه بطريقة جميلة. و لحيته القصيرة البيضاء تشبه الطين بعد أن صبغها بالحناء. و بينما كان يمشى بجانبى أوضح لى كيف أن مشاكله العائلية أنسته غسل الحناء من لحيته مساء الأمس، و قد تعاطفت معه عند ما سمعت منه ذلك. فمن عادة البلوشى أن يكون نظيفا و أنيقا خاصة عند ما يكون بين الأجانب، و كان «جلال» ذا شخصية قوية، مع قدرة غير عادية على تحمل مشاق السفر فكان عليه أن يمشى أربعة أميال فى الساعة من بداية الصباح حتى المساء بظهره المقوّس و قدميه المستقيمتين التى لم يكن يثنيهما أثناء المشى و كأنه لا يدرك فائدة المفاصل فى قدميه.
كان «جلال» صيادا ماهرا و مدللا عند «الأمير على» ، و لكنه الآن أصبح عاجزا عن القيام بمهمته، و ما عليه إلا اللّهو بالصيد البسيط، و مساء كان عليه أن يأكل كمية من التمر و مأكولات أخرى من مشتقات الألبان مثل اللبن و الروب و اليقط، و هى من الأطعمة التقليدية للبلوش، و بعدها كان لا يستطيع الحركة لمدة ساعتين، و كان مخلصا جدا و عمله يستحق الثناء، فإن ربط أى شىء من الأحمال يكون ربطها محكما، و إذا طلبت منه أن يوقظك فى الثالثة صباحا، يكون كل شىء جاهزا فى الثانية و النصف، و من صفاته أيضا تحمل الجوع.
رحلة الكابتن فلوير، ص: ٢٧
لقد كان جلال العجوز مسرورا؛ لأنه أصبح موضوع دعابة من القافلة، و لكنه بلسانه السليط كان كثير الشكوى و لاذعا، و إنما

كان حاضر البديهة يستطيع قلب الموقف على خصمه، حماره كان صغيرا حيث اشتراه رخيصا عند ما كان رضيعا، و من شدة اعتنائه به، قلما يركبه و يسير بقدميه يومين باحثا له عن عشب مخصوص، و قد علّمته خبرته الطويلة أين يجد العشب من أجل «ابنه الحمار» كما كان يسميه.

كنت أتحدث مع الرجل العجوز و جملي يمشى بخفة حسب ما تقتضيه حالته المرهقة حتى وصلنا إلى (باهل) و هى قرية صغيرة مليئة بالحشائش و تبعد حوالى ٦ أميال من (جاسك) و يسكنها أهالى (حشدان) الذين انتقلوا إليها منذ فترة قريبة.

كبير هذه القرية يدعى «جمعات» و تلفظ عادة «جمعة»- صديق قديم لى- و كان أيضا صيادا فى جبال (حشدان) (لكل قناص حق الصيد فى منطقته و يرثها عن أجداده) و قد صاحبنا الزعيم لبعض المسافة و أوصى ابنه «جنى» أن يكون تحت تصرفنا، و قام بركوب الجمل- إبليس العجوز- أثناء الرحلة.

القرويون فى (حشدان) لهم ثلاثة تجمعات تبعد كل واحدة عن الأخرى ٨ أميال، و فى كل تجمع يقضون جزءا من السنة، أما (باهل) و لكونها منخفض تتجمع فيه مياه الأمطار، فإنها تنتج محصولا وافرا من حشائش

الربيع، و عند ما تأكلها الأغنام و القطيع يكون الوقت قد حان لمغادرتها إلى (يكدار) للعناية بنخيل «جمعة»، حيث تكون رقعة القمح و التى زرعت هناك من قبل بارتفاع ٨ بوصات، و يحملون أكواخهم المصنوعة من سعف النخيل مع عجلات الغزل و المياه المخزّنة فى القرب المصنوعة من جلود الحيوانات و أغراض النساء الأخرى على الجمال و الحمير إلى هناك و يصحبهم حوالى دستة من الكلاب الضخمة و نصف دستة من البقر، و ثلاثون أو أربعون ماعزا و خرافا، ثم تصبح (حشدان) هى اتجاههم الثانى إلى أن يحين الوقت للعودة إلى (باهل) فى الربيع التالى.

«جمعة» له أربع زوجات و خمسة أولاد (بنجى، جنى، نجو، دلواش، و شاهى) كانوا يمارسون مهنة القنص، إلا أن «نجو» قد تزوج من فتاة من أسرة بعيدة، و سخّر كل طاقاته للزراعة. و الرجل العجوز لم يكن مسرورا إلا إذا رآهم و هم طيّبون، أما ابنه «دلواش» و اسمه يعنى (القلب المبتهج) فقد عاد لتوه من (تشابهار) و كان سعيدا أن يرى أحوال أسرته على ما يرام.

من (باهل) لزمنا فى سيرنا ساحل البحر الرملى و عبرنا (حشدان) حتى

وصلنا إلى (شهرنو) حيث خيّمنا تحت ظلال أشجار النخيل، و هنا يجب علىّ ألا أنسى ذكر ذلك الرجل الصامت الذى قابلناه أثناء سفرنا. كان اسمه «الملا سعيد» أى «الفقيه سعيد» و كان قائدا سابقا لدى الأمير «عبد النبى» و الذى بعد المعركة الأخيرة التى خسرها من الأمير «يوسف» للسيطرة على قلعة (جاسك) قد تركه و جاء ليشارك و يخدم مع الأمير «يوسف»، و هو شخص طويل و نحيف، أسمر البشرة و مكتئب و يعرّف نفسه على أنه أفغانى، و لكن من يراه يعتقد أنه من (الهند)، و كان يركب جملا رائع الشكل، بينما خادمه الصغير يجرى أمامه حاملا بندقيته الإنجليزية الثقيلة.

شخصيته كانت غريبة، نظرا لتحيته لى بالطريقة المتّبعة فى (هندوستان)، و من يراه يعتقد أنه هندى نظرا لصعوبة تلفظه لحرف «الراء» بالبلوشية.

لقد لفت نظرى فى (شهرنو) الأكواخ القليلة المتفرقة و سكانها يلبسون الملابس الزاهية محتفلين بحلول عيد الأضحى، اليوم الذى يلتف فيه المسلمون حول الكعبة بمكة المكرمة، و ذلك حسب اعتقادى؛ لأنه كما ذكرت، ليس بيد أحد منهم أن يعرف أى مناسبة تمر بهم، فقط أنا و «الملا سعيد» كنا نعرف سبب المناسبة.

بعد مغادرتنا (شهرنو) مررنا ب (يكدار) حيث ينمو فيها شجر النخيل فى برك راكدة و ينتشر فيها البعوض الأسود القارص، الذى أربكنا و أربك جملنا مما جعلنا نتقدّم بحذر على أطراف هذه البرك لتفادى ما لا يحمد عقباه.

إن النظر إلى حالة بساتين النخيل بهذه المنطقة يمّكننا من معرفة المكانة العائلية لأصحابها و ملاكها، و معظم البساتين هنا هى ملك الأمير «على» و خصمه «عبد النبى» و قد بدأ رجالى- و كلهم خدم أو أتباع الأمير «على»- عند رؤيتهم الأشجار، فرحين و هم يؤشرون و يشرحون لى عن أشجار النخيل المثمرة الطويلة، و مقارنتها مع بساتين الخير المزروعة حديثا.

إن شخصيتا هذين الزعيمين الخصمين، و اللذين قد أثر نزاعهما سلبا على أحوال البلاد، يمكن تلخيصه بوجه عام كالتالى:

إن «الأمير على» و هو رجل كهل و مسن، هو الأفضل لرعاياه؛ حيث يقوم بإعطاء كل فرد جزءا من نخيله ليجعل بينها مسكنا له، كما أنه يساعدهم فى الزواج و الاستقرار.

أما «عبد النبى» فإنه منذ أيام عنفوانه الأولى، و بعد وفاة والده فى (مكة) أصبح حاميا للرعية و جعل من أتباعه و خدمه جنودا،

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٣١

لم يدعهم للبقاء طويلا فى مكان واحد، و جعلهم دائما مرافقين له فى رحلاته ليكسبهم الخبرة؛ من أجل القتال و مساعدته فى أعماله الأخرى.

و عند غروب الشمس اخترقنا حزام الأشجار الخضراء على ضفاف نهر (جغين) و وجدنا مكانا مناسبا للمخيم فى الناحية الغربية للنهر، و بكل حماس اندفع الرجال لإقامة الخيام، و كان واضحا من عملهم أنهم لم يسبق لأى منهم أن قام بهذا العمل، إذ أننى لاحظت ثلاثة منهم يمسكون وتدا واحدا، أحدهم يرفعه، و الآخر يربطه بوتد آخر و يطرقانه بشدة، و الثالث يمسك بنهاية الحبل لشده. على أى حال، قام «جنى» الصبى الصغير بتسوية الأمر لتثبيت الخيام، خاصة أنه يريد أن يبرهن بأنه يستحق ثناء أبيه و توصيته.

و بعد العشاء توجهنا للنوم على زمجرة الجمل «إبليس العجوز» للرد على آخر ما يصله من الأصوات البعيدة، و على موسيقى طنطنة البعوض المتداخلة مع صوت تحرك كتل الرمال من المنحدرات نحو قاع النهر.

و فى الصباح الباكر بدأت أسراب طيور الحجل التى قدمت من الغابات المحيطة ترتوى من مياه النهر .. و توجهت مع «جلال» للصيد وعدنا بعد ساعتين بثعلب واحد، و قط برى، و ابن آوى، و ثلاثة من طير الحجل الأسود، و أشهد أننى لم أكن موفقا فى ذلك اليوم، فقد كنت مضطربا برغم أننى صوّبت كثيرا دون جدوى، و كانت الغابة فى بعض مناطقها كثيفة الأشجار، و لم أسمع سوى صوت الطلقات و الطيور تهرب بعيدا، و قام «جلال» باصطياد حجلين بيده فهو له خبرة فى ذلك؛ إذ أن هذه الطيور بعد

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٣٢

سماعها صوت طلقات الرصاص تختبئ فى أشجار كثيفة، و يمكن للصياد الماهر اصطيادها بيديه، و قد أجهدت «جلال» كثيرا بهذا العمل، فطير الحجل الأسود أصعب فى صيده من الطير البنىّ اللون، كما أن منظر هذه الأفواج من الحجل و هى مختبئة فى الأشجار قد يفاجأ بها القادم لأول مرة لهذه البلاد.

إن نهر (جغين) كغيره من الأنهار ينحدر من الجبال و ينساب بشكل متموج خلال مجرى رملى نحو البحر- فوصفا موجزا له قد يكون ذا فائدة- إن عرض نهر (جغين) نصف ميل، و هو غنى بالطمى الذى يساعد على زراعة محاصيل وفيرة، و لكن ما يستفاد منه هنا فقط زراعة بعض أنواع شجرة القطن الرديئة، و الحشائش، و منها البرسيم الذى ينمو بغزارة فى الشتاء و يقل فى موسم الجفاف، كذلك يوجد قليل من المواشى ترعى فى هذا المكان، و الناس هناك قد تسخر من فكرة حشه و تخزينه فى موسم كهذا لأجل استخدامه فى موسم الجفاف .

و عنـد عودتنـا من الصـيد، فوجئنـا بخبر غير سـار؛ إذ أن النهر غير سالـك لما فيه من طبقات كثيفـة من الطمى المتراكم و الـذى يصعب عبوره، و قد بحثنا طوال الصباح عن ممر ضيق فى النهر دون جدوى.

و تنـاولت طعـام إفطـارى بـدون شـهيـة بعـد أن أرسـلت «جلال» و «تاجو» (أحـد المصاحبين للجمال)، فى اتجاهى النهر، المنبع و المصب؛ للتأكـد و البحث، أما «تاجو» الـذى رافقنى لا حقا، فى رحلات عديـدة مع آخرين بعيـدا عن بلادهم، لدرجة أنهم تخلو عنى بل و تمردوا ضدى و لكنه وقف

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٣٣

بجانبى دائما، و يبـدو «تاجو» بساقيه الطويلتين التى يرتكز عليهما كأنه يريد أن يتحدى التعب، و كان شـخصا مرحا و منطلقا. و لا تبدو الرابطة الجلدية التى حزم بها شعره الكثيف كافية من أن يترامى الشعر على وجهه و كتفيه، و مع أنه لم يكن معتنيا بنفسه بما فيه الكفاية إلا أنه أصبح خير مساعد لى، و قام أيضا بتعلم الطبخ بعد جهد و مشقة، و هو يمتلك ثلاثة جمال و يشترك فى عدة جمـال أخرى غيرهـا، و يصحبنا فى هـذه الرحلـة بنـاقته المدلّلـة الأنيقـة «دارجى» التى يشـاركه ركوبهـا الطباخ و الكلب «توبى»، بالإضافة إلى أجزاء من الخيمة التى بالكاد تستطيع حملها.

و «تـاجو» يتـاجر فى الحمير أيضا؛ حيث يسـتوردها و يصـدّرها من وإلى (عمان)، و بـدا سـعيدا لأنه أصـبح قادرا على التفاهم مع «صالح» بنفس اللغة التى يفهمها.

و بينمـا كنت أسترخى على سـريرى فى الظهيرة و الجمّالـة يتحـدثون بالخـارج، سـمعت صوتا غريبا، و لما ألقيت نظرة من جانب باب الخيمة رأيت أحد رجالى يلقى السـلام على بلوشـى عابر و مدجج بالسـلاح حتى أسنانه، و بجانبه جمله الذى يقبض بزمامه عبد صغير يتبعه، و يحمل بيده سيف طويل و آلة موسيقية تسمّى (البانجو).

إن طريقة و إسـلوب التحية و السلام عند البلوشى تدعو للضحك و الاستغراب؛ لأنها تستغرق خمس دقائق؛ حيث يقومون بتقبيل الأيـدى بوقار، و عنـد مرور كبار القوم من قبائل البلوش، على أتباعهم و رعاياهم، يقوم هؤلاء بتقبيل أياديهم تعبيرا عن ولائهم و إخلاصهم لهم، و يردون عليهم بسحب أياديهم و الاكتفاء بالقبلات التقليدية على الوجه. و ليس من اللائق و إهانة لكرامة الرجل أن يسأل أحدهما عن صحة الآخر أقل مما يسأله الآخر عن صحته و أحواله، و هذه الطريقة الشائعة كان يتبعها رجالى عند لقائهم أبناء بلدهم؛ لذلک أصبحت فزعا جدا عند لقاء غرباء فى

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٣۴

مسيرتنا؛ لأنها تسبب لنا تأخيرا، و عندئذ يفسد تنظيم خط سير رحلتنا.

و بعـد إلقـاء السـلام يسأل كل الآخر، مثلا: هل أنت بخير؟ هل أنت سـليم معافى؟ هل كل الأهل بخير؟ هل أهل بيتک بخير؟ و أثناء الأسـئلة تلتقى الأيـدى و يقبّل كل واحـد الآخر ثلاث مرات، ثم يكررّ هذا السـلام مرات عديدة، بعد ذلک يسألون بعضـهم عن الأخبار و يكررون السؤال أيضا، و إذا صادف أن شـخصا واحدا يواجه ثلاثة أشخاص عليه أن يسأل عن حال كلّ واحد على حدة، و إذا كان أحدهم من كبار أبناء القبيلة اكتفى بأخذ الأخبار من أكبر واحد من الموجودين.

و بعد نهاية اللقاء و السؤال عن الصـحة و الأخبار اسـتعدّ الضيف للرحيل، و لما رأيته قد انصرف، ناديت على رجالى لسؤالهم إن كـان اتجـاهه نحو الممر الضـيق للنهر، و أدهشـنى أنهم جميعـا لم يخطر ببـال أحـد منهم أن يسـأله هـذا السؤال، و خطر ببالى أن أتحرى شخصيا عن وضع النهر بدلا من الاعتماد على الرجال، فوضـعت القبعة على رأسـى و ذهبت للتحية و السلام على صديقنا الجديـد، و أخبرته أننى أود مرافقته إلى الممر الضيق للنهر، فتوجهنـا قـدما و بخطوات واثقـة نحو النهر و كـان الرجـل حـذرا، و يجعلنى أتقدمه كلما ضاق الطريق.

و اتضح أن صديقنا هذا كان جنديا مارا فى طريقه من مخيّم «عبد النبى» إلى مركز قيادته فى (جابريج) ، و سمعنا بعد ذلك بأن هناك مسألة تتعلق

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٣٥

بمحاولة أخرى لإعادة السيطرة على القلعة فى (جاسک) التى سقطت فى يد الأمير «يوسف».

و إننى لا أنسى أبدا سمات التكبر و الغطرسة التى كان ينظر بها إليهم عند ادعائهم بأن النهر فى مكان ما عميق و موحل جدا، و كان يلوّح ببندقيته و كأنه يعلمهم متسائلا: «من قال أنه يوجد و حل هنا؟ أليست هذه آثار أقدامى من الأمس عند ما كان النهر أعلى منسوبا من اليوم؟»، و بكل هدوء رفع الغلام فوق الجمل و خلع ملابسه و توجه ماشيا نحو النهر ليعبره. كانت المياه فى هذه القناة عميقة و منحدرة من الناحية الأخرى، و لكن عبورها لم يكن بالسهل أو المستحيل.

و بالرجوع إلى عبارة- استحالة عبور النهر- التى كان يكررها علينا «دادو» و هو الساكن الوحيد بالمنطقة الذى ظل يبيع البيض و الدجاج و اللبن لنا طوال فترة بقاءنا هنا. و بعد أن عبر الرجل النهر، تجلى الموقف و أصبح طبيعيا بالنسبة لى أن أعبر أيضا، فأصدرت أوامرى للتحميل و الرحيل فى الحال. أما الجمال التى ذهبت لترعى لم تكن مفاجأة لى أن أراها ترعى على الضفة الأخرى من النهر.

و بعد الغروب كنا قد أنهينا التحميل و بدأنا بالمسير، و كان أسوأ ما لقيناه هو الخوض فى حوالى ٥ أقدام من المياه و الوحل، حتى أن «إبليس العجوز» الذى يتبعنى كاد أن يترنح و يسقط بما يحمله من السكر و الأرز و الدقيق، لو لا أن قام الرجال بإعادة توازنه بعد أن حملوا البضائع و الصناديق على رؤوسهم.

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٣٦

كانت نصف ساعة مثيرة للأعصاب و الجمال متفرقة فى الظلام تعبر المياه الباردة. عموما، مرّ كل شىء بسلام، خاصة بعد أن وصلت الجمال على الضفة الأخرى من النهر و تأكدنا من سلامة مخزوننا من الطعام و زال القلق عنا.

و لكى نتحاشى البعوض خيّمنا فى مكان بعيد عن الوحل و المياه، و كانت الخيام التى أقامها «عبد الله» تشبه الأشجار الضعيفة مما جعلنا نلومه بأسلوب لطيف؛ لأنه ركّز أوتاد الخيمة على الرمال الهشة و سقوط الخيمة ربما يؤدى إلى موتنا مؤكدا.

و لم يكن من السهل على «عبد الله» أن ينصب الخيمة لأنه ضعيف جدا، و هو رجل كبير و طيب، و أصبح بحكم عمره مسئولا عن الرجال، و لم أعترض على ذلك حتى يحين الوقت لإيجاد شخص آخر مناسب بدلا منه، و لكن هذا لم يحدث لأنه كان يفرض رأيه و بعض تعليماته خاصة عند ما نصبنا الخيمة. و بهذا نال استحسان الجميع و لم يكن ليسكت أبدا و إن لم يكن يوجد شىء للحديث عنه، كان يقوم بأخذ عصا صغيرة و يبدأ فى وصفها «كم هى جميلة، آه كم هى حادة، قوية كالمسمار ... الخ».

صحونا صباح اليوم التالى مبكرين مع الطيور، و كان الجو شديد البرودة، مما جعل الاستيقاظ باكرا صعبا على هؤلاء الرجال و ذلك بالرغم من الأغطية الثقيلة التى سلمتها لهم. و يبدو أن السبب يكمن فى أنهم كانوا لا يرتدون سوى ثوبا و قميصا بسيطا مع علمهم بسوء الطقس.

و قد بدا واضحا أيضا أن الحمولات الخاصة بالجمال لم تكن قد وضعت عليها بعد، و كان علينا أن نستعجل لإنهاء هذا الأمر. و هنا بدأ «إسماعيل» بصوته الحاد فى توزيع التعليمات، حيث أن ثلاثة من الجمال المرافقة لنا هى ملک لأخيه الأكبر «عبد الله» و كان يحاسب على تحميلها

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٣٧

و يعترض أن يكون على ظهرها حمولات زائدة عمّا هو مقرر.
و تأخرنا عشرين دقيقة أخرى بسبب الجمل «بيغ» كان قد أحكم وثاقه، و لما نهض تأرجحت حمولته مرتين حتى أعدنا ربطها جيدا مرة أخرى.
و لسوء الحظ لم أجلب معى مشرفا على العمال؛ لذلك كان عليّ أن أقود الركب بنفسى، فقد كان واضحا الآن أننا فقدنا وقتا ثمينا من رحلتنا و كان لا بد أن أحدد لكل واحد من الرجال حمولة جمله مع إفهامه أن يقوم بمهمة التحميل بنفسه و عليه أن يتحمل مسئولية ذلك.

الوصول إلى جابريج:

فى رحلة هذا اليوم توجهنا إلى نهر (جابريج) الذى يبعد عشرون ميلا من هنا. بدأنا بعبور حزام الأشجار الخصب على ضفاف نهر (جغين) و بعدها مررنا على تلال رملية على مقربة منها أكوام تغطيها شجيرات قصيرة، بعدها تراءت لنا عن بعد أشجار النخيل فى (جابريج).
تقدمنا الركب أنا و «صالح»، و كان أمرا مدهشا أن نرى قطيعين من الجمال تهيجت لها جمالنا و كأنها فى معركة، و كنا فى خطر أشد بعد أن دخلنا حزاما من الأشجار، إذ وجدنا صعوبة فى تحاشى هذه الجمال الهائجة، و بينما كنا نعبر تلا رمليا آخرا فوجئنا بزمجرة هائلة و غير عادية، و سرعان ما كان أمامنا جمالا ضخمة جعلتنا نتقهقر بسرعة و بشدة مدركين من صوتها فقط بأن هذه إبل و ليست خيول قوية كما بدا ذلك من وقع أخفافها.
و فى طريقنا مررنا بنموذج جميل لمقبرة على ربوة من حصى و أحجار بها أربعة عشر أو خمسة عشر حوشا مستطيلا مبنية من الطوب المجفّف- ارتفاع حوائطها حوالى ۴ أقدام و يعلوها من جوانبها شكل مثلث ناحية كل ركن، و هذه هى مقابر عليّة القوم التى يغطونها بالأحجار البيضاء و القرمزية
رحلة الكابتن فلوير، ص: ۳۸
و الخضراء، و فى الخارج و على جوانب هذه الأحراش توجد رقعة أخرى لمقابر الفقراء و تغطى أيضا مقابرهم بالأحجار الملونة، و يزين حائط المقابر مثلثات متشابكة تبدو و كأن لا نهاية لها، على شكل» W «، و مدخلها الوحيد فتحة لا يمكن الدخول منها إلا و أنت توطأ على يديك و قدميك .
(جابريج) هى مركز حكم «عبد النبى» و منها يدير المنطقة من الشرق إلى الغرب من حدود نهر (جغين) شرقا إلى حدود نهر (سذيج) و من الشمال إلى الجنوب فحدودها الجبال حتى البحر.
و الصيد جد ممتع خلف (جابريج) و عليه فقد أرسلت من يبلّغ «راهى» ليصاحبنى فى صبيحة اليوم التالى؛ لأنه سبق أن خرج معى فى رحلة صيد ممتعة على جبال (قيكن) التى تبعد حوالى ۷۰ ميلا غربا من هنا، و تجولت فى الغابة لاصطياد طير الحجل و بقيت لوحدى دون أى أثر ل «راهى» و هكذا قفلت راجعا فى الظهيرة، و ذهبت إلى القرية لكى أتفق معه على اللقاء غدا.
كان «راهى» عبدا ل الأمير «عبد النبى» و يعيش فى إحدى المنازل الستة أو السبعة التى تملكها عائلة «عبد النبى» بجوار مزرعة للقطن، و وجدته مريضا من حمى الملاريا التى لازمته إثنى عشر يوما. و بما أننى كنت متعبا
رحلة الكابتن فلوير، ص: ۳۹
أيضا رأينا أن تكون رحلة صيدنا قصيرة بقدر الإمكان، و غادرنا نحو جبال (غورانى) التى تقع على بعد ۸ أميال من المخيّم. و زاد اضطرابنا عند ما فوجئنا بحوالى ۷۰۰ ناقة تجرى بقوة و أصبح جملى فى وسطها يركض بكل قوته، و كان الوادى مليئا

بالبعوض مما جعل (تيس الجبل) الذى كنا نتعقّبه لنصطاده يترك المنطقة و يهرب ليرعى على مشارف التلال المحيطة.
بعد ثلاث ساعات وجدنا مجموعة أخرى من قطعان (تيس الجبل) على حافة الشجيرات المحيطة، و حاولت التصويب عليها و لكننى وجدت مجموعة أخرى مؤلفة من خمسة و عول تبيّن أننا قد رأيناها من قبل، فصوبت عليها لأخطئ فى البداية، و بعدها أصبت و علا ذكرا ذا قرن بطول ۶ بوصات، بدت فرحة الانتصار لدى «راهى» عظيمة و هو ينظر إلى «جلال» الذى ما فتيء ساخرا من الصيادين المبتدئين أمثال «راهى»، و لكن عند ما اصطدنا هذا الوعل، سكت و لم ينبس ببنت شفة.
و عند غروب الشمس رجعنا ثانية إلى المعسكر الذى أبلغت الرجال أن ينقلوه إلى (سذيج) و جعلت شابا يدعى «غلام شاه» مسئولا عن المعسكر و عن الأوانى، و الدقيق، و صفيحة الزيت و الكاكاو و الحليب.
و بعد أن شربنا الكاكاو بدأنا نتناقش حول إمكانية بقائنا إلى الغد، و بدا القمر مكتملا فى تلك الليلة، فقررنا التحرك. كان «غلام شاه» يملك جملا لاستعماله الشخصى مع حقيبة السرج، كذلك كان ل «جلال» حماره ولى أيضا جملى. و هكذا قمنا بعبور النهر، الذى كان عرضه ۶۰ ياردة و كان موحلا، و بعدها مشينا بإجهاد عبر التلال الرملية، و ودّعنا «راهى» هناك.

مسافة هذه المرحلة كانت ۲۰ ميلا، و بعد حوالى ثلثيها ترجل العجوز «جلال» و توجّه ناحية تلة رملية قريبة واعدا إيانا أن يقابلنا صباحا فى المخيّم ب (سذيج).
فى حوالى الساعة الثانية صباحا وصلنا إلى مخيّمنا و وجدت كما توقعت الجميع نائمون، و لم تنصب أية خيمة. أيقظت الرجال و قمنا بتثبيت الأوتاد و بعدها نصبنا الخيمة. و آويت إلى فراشى و كانت الرياح قد بدأت تهب بشدة و أصبحت الأرض موحلة إلا أنّ خيمتنا صمدت أمام كل ذلك.
فى حوالى الساعة التاسعة صباحا استيقظنا على صوت عاصفة قوية و أمطار غزيرة، و بدأ الرجال فى حالة من الاضطراب، و لكن كان عليهم أن ينتظروا حتى تهدأ العاصفة.
و عند ما هدأت العاصفة قمنا بحل الخيام و وضعناها تحت أشعة الشمس لتجف، بعدها أرسلت الرجال لقطع أربعة قوائم من الأشجار و التى تبين أنها أفادتنا كثيرا فيما بعد.
أصبح نهر (سذيج) الذى كنا نعسكر على

أحد ضفافه موحلا نتيجة لهذه الأمطار، و هنأنا أنفسنا على أن سيرنا ليلا قد أنقذنا من البقاء على الجانب الآخر من نهر (جابريج) و بينما كان معسكرنا فى (سذيج). انقضى هذا اليوم فى تجفيف كل أغراضنا. حينها بدأت البحث من غير جدوى عن خنزير برى قيل أنه يزمجر غضبا و يحوم فى منطقة ما حول معسكرنا، بينما انصرف الرجال لشراء نعجة و طيور و سمن.
أما اليوم التالى فكان جميلا- و النهر- بلا- شك- لا يمكن عبوره، و لكن تجربتى و خبرتى فى (جغين) جعلتنى لا أبالى بالأمر كثيرا، و أخذت على عاتقى العبور مهما كان الثمن؛ لأنه بالنسبة لى لا يمكن أن أكون مثل بعض أولئك الرجال الذين جلسوا على الضفة الأخرى من النهر فى انتظار انخفاض المنسوب، و هكذا أرسلت رجالى حاملين قوائم الأشجار ليتحسسوا بها القاع الرملى لمعرفة الأماكن الضحلة، ثم بدأنا بالعبور، و بدا جمل «تاجو» الفقير تعبا جدا نتيجة الحمولة الزائدة عليه من معدات الطبخ، و كاد أن يأخذه السيل لو لا أن تداركنا الأمر فرفعناه و أنزلنا بعضا من المتاع عنه و حملناها، حتى وصلنا إلى الضفة الأخرى من النهر.

الوصول إلى سوراک:

إن رحلتنا هـذا اليوم إلى (سوراك) كانت لحسن حظنا قصيرة، حوالى ٥ أميـال فقط، و كان الطريق موحلا و زلقا، فسـلكنا أنا و صالح طريقا

رحلة الكابتن فلوير، ص: ۴۲

مختصرة نحو الجنوب و وجدنا ۲۰۰ فدانا من الأراضى المزروعة بالقمح و القطن، و كان الرجال الذين يحرثون الأرض من طبقة العبيد.

كـانت (سوراك) أجمـل منطقـة خيّمنـا فيهـا حتى الآـن و اتخـذت لنفسـى مجلسـا فى الخلاء هـذا المساء، و أمامى شـجرة كبيرة تحترق. عمومـا، خـابت آمالى فى مقابلـة أصـدقائى الـذين كنت أتوقع أن ألتقى بهم فى نهايـة هـذه المرحلـة من رحلتى قبل أن أتوجّه شمالا إلى (بنت).

فى اليوم التالى، كنا فى (كاشى) التى تقع على بعد ۱۶ ميلا عبر سلسلة جبال صعبة دون وجود طريق سالك فيها، و وجدنا خلال سيرنا مجرى مائيا جافا، الـذى اتضح أنه يؤدى إلى طريق سالك، فأخذنا نمشـى فيه و نسـحب وراءنا الجمال بكل حماس، آملين أن تجد دوابنا طريقا سالكا أكبر، ثم انتهت متاعبنا حين عبرنا المنطقة الجبلية تماما بعد ۳ أميال تقريبا.

و فى كل شيئ أيضا لم يسعفنا الحظ فى مقابلة أولئك الأصدقاء، و بما

رحلة الكابتن فلوير، ص: ۴۳

أن الريـاح فى صبيحـة اليوم الثـانى كـانت بـاردة ممـا أجبرنـا على حمل أمتعتنا و توجهنا شـمالا نحو منطقـة «كروان» التى تغطيها السـهوب و السهول المتقاطعة مع جداول المياه المغطاة بالأعشاب و الشجيرات الصغيرة، و التى انتشرت أعشاب الزعتر حولها مما أكسب الجو رائحة طيبة.

التحرک ناحية کروان:

و فى (كاشـى) حصـلنا على مرشـد مرافق، و لكنه لسوء الحظ كـان رجلاـ كبيرا فى السن، ذو لحيـة و هرقلى الأكتاف، و كان له ثلاثـة حمير يمتطيهـا واحـدا يلو الآخر، و كان شـخصا طيبا و لكنه لا يعرف شـيئا عن خط سـيرنا. عبرنا وادى (كاشـى) الصـغير و ظهرت أمامنـا سلسـلة من البرك الموحلـة، فسـرنا بمحـاذاة منطقـة كبيرة منخفضـة، فيهـا حجارة ملحيـة مغطاة بطبقـة من الحجارة الرمليـة. بعـدها تركنا هـذه المنطقـة على الجهـة اليمنى و مررنا على شواطئ حصوية على امتداد (۴ إلى ۵) أميـال، و فى الظهيرة وصـلنا إلى (ناليـج) حيث توجـد بعض المرتفعات تسـمى (الشور) و تقع على حافة حزام من أشـجار الغابات، و هنا كنا قد دخلنا إلى منطقة (كروان).

سوف أذكر فى حـديثى فى مرات لاـ حقـة هـذه التلاـل المتكونـة من الطمى و الطين و سأقوم بوصـفها بإيجاز. يسـميها السـكان المحليون (شور) و هى

رحلة الكابتن فلوير، ص: ۴۴

تلاـل عاليـة ذات حواف حـادة متساويـة، و لهـا سـطح عـال دائرى، ذات تقاطعـات من قوائم و عروق جبسـية بسـماكة (۵ أو ۶) بوصات، موجودة فى أسفل الجبال بالمنطقة، و لا ينمو أى شيء عليها.

لقـد اسـتغل الرجل المسن «جلال» ضـيافة و كرم السـكان المحليّين، فأخذ يزيد و يثقل فى الطلبات منهم، و أتى بى إليهم عند ما

توقفت لإنزال أمتعتنا و فى طريقنا لاحظ بعضا من الماعز المشاكسة تسلك طريقا خاطئة فركض «جلال» خلفها لسحبها و قام بحلبها، ثم قام بشراء خروف صغير لنا من الأهالى، و هذا الشيء شائع هنا.
تركنا (ناليج) متجهين غربا بعد أن عبرنا نهر (كروان) من أربع أماكن مختلفة و وصلنا إلى تلال (جودار) المكان الذى يوجد فيه الآن مجموعات كبيرة من الأشجار و أعشاب القش التى تستخدم لأغراض مختلفة مثل عمل الأحذية، و تدخل ضمن مواد البناء و تستعمل كوقود للنار و لها استخدامات أخرى تماما مثل استخدام البلّوط فى انجلترا.
إن شجر القش و اسمه العلمى «جاماروبس ريتشيانا» ذو أوراق كبيرة، و تنمو مجموعات هذه الأشجار فى قاع النهر الذى يجرى فى الأرض المالحة، و جذور هذه الأشجار سميكة سوداء تتكون من ألياف و جذور تمتد إلى (١٢ أو ١٥) قدما تحت الأرض، تتعرج منها فروع ترتفع حوالى ٩ أقدام، و طول فروعها يصل إلى ۴ أقدام فى بعض الأحيان، و أشجار القش تموت عند ما تكبر و لكنها تثمر، و الثمرة تسمى (كونار) و هى بيضاء و تؤكل كالتمر. و بعض أشجار القش تنتج مادة كالوبر تنقع مع محلول آخر و تجفف و تلف بعد ذلك و تصنع منها الحصائر، و هى متينة و طويلة الأمد، و تسقف بها الأكواخ فتكون مانعا ضد المياه. و تحمل أوراق القش عادة من أعالى الجبال إلى السهول. و يوجد فى قاع نهر (كروان) غابة من أشجار القش، هذه الغابة تزيد من جمال النهر. كان الليل رائعا، فخيّمنا فى

(بوجندى) و هذا الاسم يعنى (قلب شجر القش).
فى صباح اليوم التالى عارض «مهراب» مرشدنا الحمولة التى على جمله، و لحسن حظنا مرّ بنا فى تلك الأثناء شخص يمتطى جملا متجها إلى (بنت). فصحبناه و مشينا معه لمدة ساعتين لنصل إلى هضبة صخرية قاحلة؛ حيث وجدنا فيها ثلاث غزلان قريبة، و قد عكّرنا على هذه الغزلان صفوها لتواجدها على طريق رحلتنا. و بعد مسافة ميل واحد تحت هذه الجبال اتبعنا طريقا آخرا و اتجهنا نحو الغرب قليلا، إلا أن بلغنا نهر (تنك) و هى تعنى الممّر. و هناك أيضا ٣ أنهار تحمل نفس الاسم و تبعد حوالى ٢٠ ميلا عن بعضها البعض. نهر (تنك) صخرى الجوانب و القاع، و المكان الذى نحن فيه الآن يقع على الجبال و أمامنا ١٠٠ ميلا من الأراضى و السهول التى تمتد شمالا لتصل إلى مقاطعة (لاشار).
لقد تابعنا مجرى نهر (تنك) لمسافة ميل واحد، و كان عرضه حوالى ۴٠٠ ياردة، و ارتفاع الجبال على كل جانب تتراوح ما بين ۵٠ إلى ٣٠٠ قدم. فى هذا المكان التقينا برجلين يمتطيان جملين محملين بالقش، لقد أخذ رجالى التحدث معهما لأكثر من ربع ساعة، فأمرتهم أن يجلسوا و يتحدثوا بشرط أن يكون هناك شخص مسئول عن الجمال و يبقى معها.
كانت الأخبار تفيد أن الأمير «حاجى» حاكم (بنت) قد قتل شقيق «همّام شاه» و هو أكثر رجل معروف فى (سوراك)، و أن ركبا مكونا من ثلاثين رجلا قد سبقونا متوجهين إلى (قصر قند) لرفع شكوى، ضد الأمير

«حاجى» أمام «حسين خان»- حاكم قصر قند- و المطالبة بالديّة. و تدّخلت هنا قائلا بأن ما رأيته فى الطريق الذى سلكناه آثار جملين و حمار واحد، و تساءلت عن العدد الحقيقى للمجموعة التى سبقتنا، و صاح الشخص مباشرة أنهم كانوا ٣۵ شخصا- و سكت قبل أن أعيد طرح السؤال حتى لا يصل العدد إلى مجموع جيش كامل، و يبدو أن الأمر يتعلق بقضية أرملة ثرية.
نحن الآن نقصد (شهران كوه) أو الجبال القرمزية الناعمة، بألوانها الحادة. الآن تركنا (تنك) و اتجهنا إلى اليمين نحو جدول ماء (شهرانى)، و سرنا حوالى ميلا واحدا أعلى المنحدر، و اجتزنا منحدرا شاهقا شديد الإنحدار إلى الجانب الآخر من نهر (غارى). و تابعنا ذلك لفترة قصيرة نحو جدول (ديرائى) و لمرة ثانية اجتزنا منحدرا آخرا حتى وصلنا إلى نهر (سرتابى) أو (النهر البارد)

فخيّمنا هنا عند غروب الشمس.

رحلة الكابتن فلوير، ص: ۴۷

الجزء الثانی: [الوصول إلی بنت– الأمیر حاجی– المدرسة الدینیة]

اشارة

هنا فی (بنت) و فی (بمبور) هما المكانين الوحيدين الذين كنت أسأل فيهما عن أی شيء عن ديانتی المسيحية، كان هناك رجلاـ مسنا قويا قد أحضر ابنه معه، إستهل حديثه معی باللّكز بعصاه الغليظة، فسألنی أن أقرأ و بينما كنت أقرأ بعض القصائد لحافظ الشيرازی بين جمع من الناس غيّر الموضوع و طلب منی أن أقرأ له القرآن كنوع من الامتحان و لاعتقادی فی ذلك الوقت بأن الناس كانوا يدعون أنفسهم بالمحافظين من أهل السنة ...

رحلة الكابتن فلوير، ص: ۴۹

أعتقد أن وصف أحوال المسافرين على الجمال سيكون مفيدا لغير المطلعين على هذه الأمور، ففی هذه الليلة كانت الشمس قد بدأت تغرب و نحن كنا لاـ نزال نتابع مسيرنا؛ لأننا لم نجد مكانا نستطيع أن نخيّم فيه و كانت هذه الأماكن المناسبة للتخييم تصادفنا لمرة واحدة تقريبا كل ستة أميال فی طريقنا. كان «حبيب» و هو المرشد الذی أعطيناه أجره كاملا و مقدما أصبح يقسم بالله أننا لن نجد مكانا مناسبا للتخييم، و كلما عبرنا مسافة تقارب عشرة أميال كان يزداد قلقه و يؤكد لنا أننا لن نصادف مكانا آخرا حتى منتصف الليل. و كان الرجال يؤيدونه بشدة مع أنهم لا يعرفون عن الطريق شيئا، و هكذا تدخلت فی الموضوع مضطرا و قرّرت أن أرفض التوقف من الآن فی أی مكان حتى الساعة الرابعة بعد الظهر. أما فی هذه الليلة فكانت الجمال مجهدة جدا و هی تمشی بين الجبال القاحلة فی ظلام حالك، و كنت أضحك على الرجال لأنهم تقبلوا أسلوبی تجاههم مع أنهم يعرفون طبيعة المنطقة أفضل منی و لكنهم امتنعوا عن التعليق على

رحلة الكابتن فلوير، ص: ۵۰

تعليماتی. و على أية حال لم يحدث شيء خطير فی هذه الليلة نتيجة تأخرنا عن التخييم و كنت أعرف هذا، و هكذا حملت المسؤولية على عاتقی و رفضت التوقف تحت تلال (سيهرانی) و كان الرجال قد تأخروا بسبب جدالهم الشديد حول إنزال الأمتعة، و تقدمت الركب و معی «صالح» محاولين إيجاد أرضا منبسطة على وادی (سرتابی) و ظهر لنا هذا المكان بوضوح فی الظلام الدامس، و بعد ذلك وجدنا الماء و وجدنا كومة من الأخشاب ملقية هناك أيضا. و بعدها ترجلنا و جلسنا بالقرب من أشجار (السمر) و بدأ «صالح» بعمل الشای، و قام «غلام» بربط الأرجل الخلفية للجمال، و انتزع اللجام منها، و بعد قليل رأينا «جلالا» قادما من على بعد جارا حماره من خلفه بقوة و هو يشتم دليلنا فی هذه الرحلة على المصاعب التی كبّدها لنا و ابتهجت أساريره فجأة عند ما علم أننا نود أن نخيّم هنا، و قال بلهجة متسارعة: «نعم يا صاحب، إنه مكان ممتاز، به الماء، و خشب للنار، و علف للحيوانات». و فی خلال دقيقتين قام بربط حماره فی شجرة صغيرة و قدّم له بعض الحشائش و التمر، ثم قال: «خيمتك هنا يا صاحب و هنا تكون خيمة الطباخين». و ظل يلّح على «صالح» حتى أخذ منه النرجيلة من حقيبة السرج، مع قليل من التبغ، و البلوش يموتون فی سبيل التدخين خاصة إذا كانوا مجهدين، فما بالك ب «جلال» الذی أصبح كبيرا فی السن و يظهر عليه التعب بسرعة.

بعدها سمعنا هرجا و مرجا من الرجال و هم يسوقون الجمال أمامهم خاصة الجمل العجوز «إبليس» الذی كان يتقدّم بخطوات

سريعة من صناديق الطباخين الثقيلة معلنا عن وصوله بزمجرة عالية ليؤكد لنا أنه برغم كل هذه
رحلة الكابتن فلوير، ص: ٥١
الأحداث فهو غير متعب.
«الحمد للّه» كانت تسمع من الكل بعد أن وصلوا المخيّم ثم بدأوا بعد لحظات يسألون عن خيمة الطباخ .. «أين الخيمة؟ هل هناك علف للحيوانات؟» .. ثم يردون على أنفسهم قائلين: «لا بد أن يكون العلف موجودا .. إننا نثق بقدرة «الصاحب» على توفير ذلك»، و فى خلال ٦ إلى ٧ دقائق كانت جميع الجمال مفرّغة من حمولتها و ربطت أرجلها ثم جلس الرجال لأكل التمر و مشاركة «صالح» فى تدخين النرجيلة، و أثناء ذلك ناقشوا مع «حبيب» احتمالات وجود شجيرات سامة حول المنطقة. و فجأة نهض «عبد الله» ليتسائل: ما إذا كانت خيمة «الصاحب قد نصبت أم لا»؟
و عند ما سمع بجوابى «لا» هبّ الرجال للعمل فورا. اثنان أخذا العصا ليرفعا عليها قرب الماء و ذهبا إلى النهر لجلب الماء، كذلك كان على اثنين آخرين أن يشعلا النار. و أخذ «عبد الله» فى تجهيز قدر من الأرز، أما الطباخ الذى بدا بلا عمل فقد بدأ يتشاجر معهما، خاصة مع «جلال» الذى رفض اعطاءه الكميات الكافية من الأكل للطبخ، و قام الرجال الأربعة بعد ذلك بأخذ أكياس من ملاءاتهم لجمع الأعشاب و القش. كانت ليلة سعيدة و جميلة بحق، و بدأت بالتجول و التنزه حول خيمتى. و فى وقت انتهاء تجهيز طعام العشاء، حضر جميع الرجال و بدأوا فى أخذ وجبتهم من الأرز مع نوع من السمك ذو رائحة الغير طيبة. ثم جلست على كرسى صغير بجانب النار، و قام «غلام شاه» بتجهيز الأسّرة و غطاها بالملاءات؛ لأن الرطوبة كانت مرتفعة. بعد ذلك أحضر الرجال جمالهم و حلوا عقالها و جاءوا لمساعدة صالح فى جمع الأعشاب للجمال و كانوا سعداء؛ لأنه لم تكن أية أعشاب سامة منتشرة فى المنطقة، و عند ما عادوا إلى المخيم بدا «حبيب» و كأنه منهمك مع جماله و هو يقول لهم «ألم أقل لكم لا توجد أعشاب سامة .. ألم أقل لكم ذلك».
رحلة الكابتن فلوير، ص: ٥٢
بركت جميع الجمال على الأرض موجهة رأسها نحو النار، إنه لمنظر جميل و يروق للعين. كانت النار متوهجة و وجوه الرجال مفعمة بالحيوية، و هم يتحدثون عن الجمال و الكران (أى قيمتها) و هى المواضيع الوحيدة التى يستمتع البلوش فى التحدث عنها، و كان كل رجل يمسك بحبل جمله بيده و باليد الأخرى يرفع رأس الجمل لمساعدته فى تناول الطعام و مضغه.
و لكى نتمكن من النهوض فى الصباح الباكر، قررنا عدم نصب الخيمة و النوم بجانب النهر، و ما كدنا نبدأ حتى بدأ رذاذ المطر بالنزول فى حوالى التاسعة ليلا- فورا غيّرنا أماكننا إلى أسفل الجبل و لففت نفسى بمعطفى الواقى من المطر و غفوت تماما. و لكن إذا تساقط علينا المطر مرة أخرى وجب تغيير هذا المكان أيضا؛ لأنه مع سقوط الأمطار الكثيرة فإن احتمال سيران الوادى كبير و قد يجرفنا فجأة معه أثناء نومنا .
رحلة الكابتن فلوير، ص: ٥٣
فى صباح اليوم الثانى و بعد أن تناولنا الإفطار، بدأ الرجال بتحميل الجمال، و فجأة ظهر أحد البلوش يمتطى حصانه يتبعه من خلفه عبده الذى كان ممتطيا حصانا أيضا. نزل هذا الشخص من فوق حصانه و تقدم إلينا للسلام و التحية، و لكن لم تكن لديه أسنان أمامية، مما جعل كلامه غير واضحا، و بدا ممن لهم علاقة بالقضية التى ذكرناها سابقا، و كان متوجها إلى (بنت) حيث المكان الذى التقينا فيه فيما بعد مع «كريم داد»، و هذا اسم له شهرة واسعة فى معرفة جميع الطرق الجبلية، ثم سألنا عن بهارات تسمى (مساله). و قد كان منظرا مسليا أن أرى وجه الطبّاخ الذى تجاهل طلب «كريم داد» و اعتبره هجوما على ممتلكاته الخاصة. إن بهارات (الكارى) و هذه تصنع فى (بنجغور) و (ميناب) و مناطق أخرى صغيرة، أما التى تصنع فى (بندر عباس) فإنها ليست

طيبـة، و قـد تكـون على الأرجـح مسـتوردة من (بومبـاى). و يقـوم البلـوش أيضـا بعمـل بهـارات (الكـارى) ذات الرائحـة القـوية مستخدمين أنواعا من الأعشاب و الأشجار المتوفرة لديهم مثل شجرة (الترات).

فى صباح اليوم التالى (الـذى كان يوافق الثامن عشر من يناير) تبعنا مجرى نهر (سرتابى) لمـدة نصف ساعـة بين الجبال نعلو و نهبط على الهضاب الحصوية بارتفاع ٨٠٠ قدما حتى ظهرت أمامنا (جوركوه) كما كانت مبيّنة فى الرسم التخطيطى الذى رسمه الملازم «ستيفى» على ارتفاع ٤٠٠، ٦ قـدما. و من هنا ينبع نهر (غاوريق) و إلى يميننا تقريبا تقع جبال (ليجانـدى) و (شاريكى) و هى حدود طبيعية تفصلنا عن مسارنا السابق. بعد حوالى ٥، ٢ ميل حوّلنا مسارنا لنهاية جبال (ليجاندى)، و شاهدنا سد (شاريكى). كانت هـذه السلسـلة الجبليـة المرتفعـة إلى ٦٠٠، ١ قـدم تثير الانتبـاه؛ لأنهـا صـعبة الاجتيـاز باسـتثناء أماكن معينـة و قليلـة، و نهر (شاريكى) الذى يفصل السلسلتين يحتوى على قليل من الماء و هو غير عذب،

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٥٤

و شاهدنا هناك قطعان من الأغنام ترعى على التلال التى يكثر بها نبات (الترات).

بعد ٨ أميـال من (ليجانـدى) مررنا بين نهايـة جبال (شاريكى) و هضبـة ذات نتوءات حادة، و على بعـد من ناحيـة الشـمال كانت تظهر القمم الزرقاء لجبال (هاشينجان). و فى نهاية سلسـلة جبال (شاريكى) ظهرت لنا تلة صغيرة كان شكلها مثل القلعة القديمة.

على طول رحلتنا هذه كنا نصعد تدريجيا عبر سهل مرتفع و عند ما عبرنا الممر العريض فى الجبل، كنا أمام منظر بديع هو الوحيد الذى تمتعنا به منذ وصولنا لهذه السلسلة من الجبال.

كان منظر الجبال و السـماء حولنا فى كل مكان على مـدّ البصـر بجميع ألوانها البنى و الأزرق و السـماوى، هنا سأذكر قصة كلبى «توبى» الذى تسبب فى مشكلة كبيرة لنا تستحق السرد.

كان من عادة «توبى» أن يمتطى الجمل مع الطباخ، أما فى هذا اليوم فقد سـمحنا له أن يركض على أرجله الصـغيرة، و بينما كنت أسير مجهدا فى مقدمة القافلة سـمعت الرجال ينادوننى و يبلغوننى أن «توبى» قد أخاف جمل أحد الرجال و التى على أثرها وقع راكبهـا على الأرض بشـكل قاس. و قـد تضايقت لـدى سـماعى بـذلك؛ لأنه دون شك من الخطأ السـفر مع كلب أليف فى بلد إسلامى كهذا، و انطلقت راجعا نصف ميل إلى الخلف لأتحرى الأمر.

و مـا أن وصـلت إلى هناك حتى سـمعت حوارا غاضـبا من قبل شخصـين بلوشـيين ملتحيين و معهما جمليهما اللـذين كانا رائعى الشـكل. و كان لكل من الرجلين أنف شامخ طويل و هو ما يتميز به وجه البلوشـى دائما. و كانا قد سـمعا من «جنكى» أننى «سيد القافلة»، فتوجها إلىّ بالحديث بصوت عال و هما يشتكيان الكلب «توبى» و قال أحدهما إنه كاد أن يقطّعه بسيفه لو لا أن تنبه أن للكلب صاحبا فتوقف عن ذلك ليرفع الأمر إلىّ و قال:

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٥٥

«ماذا لك أن تقول فى أمر كهذا»، كان صوته مرتفعا و كان علىّ أن أعالج الأمر بطريقة مختلفة؛ لأن هذين الشخصين من السادة الأشراف و هما من سلالة دينية و لهما احترامهما فى هذه المنطقة أكثر من أية منطقة أخرى حتى فى فارس مثل (يزد) مثلا، حتى أنهم يعيشون هناك بكثرة - تشجعت و قلت له: «إننى أعتبر أى شخص لا يستطيع ركوب جمله أن يكون بلوشيا أصيلا أو رجلا متمكنا فما بالك أن يسقط من على الجمل بسبب كلب ..

و أرى اختيـارى الجيـد لهـذه الجملـة و ضـربى على الوتر الحسـاس الـذى يتفاخر به الرجال سواء بأصولهم أو بهويتهم أو بطريقة ركوبهم جمالهم، فشجعنى الرجال الذين معى لتحكمى بالموقف مع هذين السيدين. و أكملت قائلا:

«من خبرتى الطويلـة مع البلوش فإنهم منـذ الصـغر إن لم يكونوا قـد نشأوا على الأصول الصـحيحة السـليمة فإنهم عنـد ما يكبرون

يصبحون عاجزين تماما .. و إن كانوا يريدون السفر مرة أخرى و لا يستطيعون ركوب الجمال فعليهم استخدام الحمير».
رحلة الكابتن فلوير، ص: ٥٦
لقد أفحمت الرجل و أسكته، و من ثم تقدم إلىّ و طلب مالا ـ لشراء دواء له، و لكننى رفضت ذلك بشدة، و لكنه تراجع إلى الوراء و طلب قليلا ـ من البودرة للعلاج، و نظرت إلى «غلام شاه» و أمرته أن يعطيه قارورة بأكملها و كان سعيدا بذلك. ثم قام هذين السيدين بدعوتى لزيارتهما فى قريتهما و قضاء يوم أو يومين عندهما ثم افترقنا و نحن أصدقاء.
بعد (جامكى) بدأ خط سيرنا بالإنحدار البسيط، و كانت الأرض بيضاء و ملحية و بها أشجار القش و مجموعة من الشجيرات الصغيرة، و بعد ٥، ٢ ميل من (جامكى) ظهرت أودية جميلة تمتد حوالى ٥ إلى ٦ أميال منها واد يسمى (غديج)، و كان فى قاع الوادى طبقة من الطمى، كان عرض الوادى ميلا ـ واحدا، و الجبال من الجانبين منزلقة و ذات حواف مغطاة بالنباتات و أشجار (السمر)، و كان يجرى بينها نهر أزرق قاتم هادئ بعرض ٦٠ ياردة و عمق قدمين، و كان معدل سرعته حوالى ٥ أميال فى الساعة. و من الجانب الأيمن من خط سيرنا كان هناك سد رملى بارز مغطى بطبقة من القشرة الأرضية وطمى أزرق يشبه الصخور. كل ذلك يجعل المكان جميلا لنخيّم فيه حيث الماء، و علف الحيوان، و خشب للوقود. هنا كانت الساعة قد تجاوزت الثانية، و حسب خبرتى السابقة مع مرشدنا «حبيب» الذى أكد لنا أننا لن نجد مكانا أفضل من هذا المكان حتى منتصف الليل، فقد قررت متابعة السير مع محاولات «حبيب» المتكررة بعرقلة الأمر. و هكذا تابع الطريق الذى أرشدته إليه و تبيّن أن اتجاهى هو الصحيح.
بعد أن عبرنا النهر اتجهنا إلى الشرق حوالى ٢ ميل عبر جداول منخفضة من الماء المالح، و منها اتجهنا إلى الشمال على سهل صخرى منبسط مكسو بطبقة زرقاء سمكها ٦ بوصات من الجبس، و كان يمكننا أن نرى من على بعد جبال (بندى نيلج) و بها الممر الذى يؤدى إلى «نانوج» و منها كان يمكننا أن نذهب إلى (بشكرد)، بعد ذلك مررنا بجدول ماء
رحلة الكابتن فلوير، ص: ٥٧
اسمه (شيرين كنداج) قيل إنه يصب فى البحر بالقرب من (سوراك).
و عند ما تركنا (الأميروى كوه) على يسارنا و قطعنا سيرا مسافة ٣ أميال أخرى على أرض و عرة داخل وادى (هوردين) الأبيض اللون بسبب الملح و كانت النباتات البرية تنمو بكثرة، و سعف النخيل تصل أطوالها إلى ٧ أقدام.
فى هذه المرحلة من رحلتنا وصلنا أرضا و عرة و عبرنا جداول مليئة بمياه سوداء، ثم شققنا طريقنا إلى وادى(Pasgah) و كانت أمامنا صخورا ملفتة للنظر أمكننا مشاهدتها من أعلى منحدر اسمه (كونار كانو) و (الPasgah) له مجرى أعرض من (غديج) و التلال حوله أكثر انخفاضا و النهر هنا يتشعب إلى ٣ قنوات كلها تمر خلال حشائش غزيرة و شجيرات قش صغيرة.
هنا فى(Pasgah) تخيّم جميع القوافل التى تمر بين منطقة (بنت) و شاطئ البحر على خليج عمان، و قد وجدنا قافلة فى ذلك اليوم تمر من (بنت) تحمل حوالى ٩٠ صندوقا من التمر لبيعها فى(Sadeij) و فى القرى المتفرقة على الطريق التى ربما يجدون فيها مشترين لهذه الصناديق.
و هنا فى(Pasgah) أيضا أشجار (الجيش) و التى هى كالسّم للجمال.
أما نباتات أو شجيرات الدلفى فهى مناسبة لجميع الحيوانات إلا الحمير.
فالجمال، و الماعز، و الخراف ليس مصّرحا لها بأكل الأعشاب، و لكن تقدم لها أوراق العلف. و بعض الحيوانات الأخرى تأكل العشب الأخضر فى أى مكان تراه.
صباح اليوم العشرين كان غائما و قد قال لنا «حبيب» أن النهر قد امتلأ، و إذا هطلت الأمطار سنكون غير قادرين على اجتياز

الوادى الذى كان عرضه عند ما تركنا الخيمة حوالى نصف ميل و هناك تلال عريضة و حشائش كثيرة على الجانبين. بعد ميل و نصف دخلنا أرضا فيها طبقة من القشرة الأرضية و الطمى بسماكة حوالى ۶ بوصات بلون بنى و ۴ بوصات حجارة رملية.
رحلة الكابتن فلوير، ص: ۵۸
بعد فترة وجيزة عبرنا مقاطعة (كالكيا) و نحن نتابع مجرى جدولها لمسافة حوالى ميل واحد، إن سطح هذه الجبال التى كانت تحتوى على الجبس و الطمى و رمال بنية اللون، دائما تغطيها قشور بارزة من الحصى الرملى، و هذه القشرة تتكون عند ما تزيل مياه المطر الطمىّ و يبقى الحصى على سطح الجبال.
فى هذا المكان تمكّنا من رؤية أول حيوان حىّ منذ دخولنا هذه الجبال، فقد كانت هناك أسرابا من العصافير الملونة تشبه عصفور (الدورى)، و لكن جسمها مستطيل و لونها بلون سلك معدنى غطاه الصدأ.
و عند ما واصلنا سيرنا كان على يميننا جبالا عالية، و على شمالنا كانت هناك أرض موحلة تغطيها طبقة من الطين سماكتها ۳ أقدام، و تمتد لمسافة قدرها إثنى عشر قدما، و بعد ميل واحد و ربع الميل وصلنا إلى وادى(Pasgah) و كان هناك جبلين ضخمين، واحدا على يميننا، و الآخر على يسارنا. و قد بدا منظرهما بديعا و هما مغطيان بصخور قرمزية اللون متداخلة فيها اللون الأخضر القاتم الذى تخترقه شبكة من الخطوط المتموّجة البيضاء.
لقد عبرنا نهر(Pasgah) الذى كان حجمه هنا أكبر بثلاث مرات مما هو عليه فى مكان مخيّمنا، كذلك مررنا على طريق (بيرتارى) كانت فيه كومة كبيرة من الحصى التى كان يساهم فيها كل عابر بهذا الطريق، فبعض الرجال الذين يمتطون الجمال يحملون عصاهم فيحركون الحصى بها، و الذين يمشون كانوا يأخذون الحصى و يقذفون بها ثانية على الأرض.
لقد أدهشنى هذا التصرف فى بداية الأمر، و لكن عند ما سافرنا عبر المناطق المقدسة باتجاه (كربلاء) فى العراق، وجدت أن ذلك كان بهدف الزيارات. و قد أخذت هذه التفسيرات على أنها صحيحة، و قد عرفت فيما بعد، أنه فى الجزء الوعر على طريق (كربلاء) كانت أكوام الحصى كثيرة، وفورا أدركت أن ذلك الحصى يجعل الطريق واضحا. و لكن السكان ذكروا
رحلة الكابتن فلوير، ص: ۵۹
لى أن الحاكم ألزم كل مؤمن بهذه الأماكن المقدسة أن يرمى حجرا واحدا على الأقل على كل كوم من الحصى؛ حتى يمكن الوصول بسهولة إلى الأماكن المقدسة.
إن هذه العادة قد امتدت إلى (بلوشستان) كما كان يؤكد ذلك البلوش الذين يمّرون عبر الجبال. إن كل كومة من الحصى تعنى مكانا أو قبرا لبعض الأولياء .
و عند ما اتجهت قافلتنا إلى (بلوشستان) قمت بعمل كومة من الحجارة على جانب من المنطقة، و عند ما اقترب الرجال منها كانوا يتباهون برمى الحجارة عليها، و بذلك يعتبر هذا الرمى هدفا متبعا بلا تردد.
كانت جبال (كاليكا) تقع فى الجانب الأيمن من المنطقة التى نحن فيها، و قد عبرنا (الPasgah) ثانية و مررنا بصخرتين لونهما أبيض كالثلج مستديرتين فى وسط النهر الذى يبلغ عرضه ۲۰ قدما و لعمق متوسط ۵، ۱ قدما من حولنا التقت الجبال بألوانها الفائقة التصور، و كان علينا أن نمر بمضيق من أصعب الطرق، اسمه «ريدا جون دارج»، بعد ذلك بلغنا بحرا من التلال المختلفة الألوان التى لا يمكن تصديقها لو لا رؤيتها.
بعد سير ۵، ۱ ميل عبر تلك التلال كان هناك نهر (هاليرت) على ضفافه بعض المستعمرات، ثم مررنا بين جبلين أو أربعة جبال مخروطية الشكل اسمها (كاتال جانين). نحن الآن متجهين إلى جبال (سيجا بوشت)، و التى تبعد حوالى نصف ميل. كل شىء حولنا يدعو للتعجب، ففى أسفل جبل

رحلة الكابتن فلوير، ص: ۶۰

(سيجا بوشت) ضريح يدعى (بيرتارى) و حوله زرعت البطاطا الحلوة و لم تكن بأوراقها خطوط بيضاء، و لكنها تلتف حول بعضها كالثعبان الصغير.

فى ذلك المكان أيضا غابة و الطريق التى تقطعها غير واضحة، فى الجبال التى نحن فيها الآن بدت القشرة الأرضية أسمدة من الحجر الرملى و بعبورنا جبال (سيجابوشت) وصلنا إلى واد فسيح به أشجار و شجيرات كثيرة. فى ذلك المكان دخلنا ثانية نهر(Pasgah) و الذى كان يجرى فيه جدول نهر (سيجا بوشت) و كان فى قاع النهر سياج من القمح بعرض ربع ميل و نبات آخر بارتفاع ۱۳ قدما.

عند ما بلغنا جدول نهر (كوشت) و تابعناه حوالى ثلاث أرباع ميل، وصلنا إلى نهر (جارى) ثانية و كان القاع أبيض و مالح حوالى ۴۰۰ ياردة عرض. ثم عبرنا مستوطنة جديدة تحتوى على غابات صغيرة و بساتين و أشجار نخيل طويلة تحيطها حدائق من التبغ و أشجار الفاصوليا و الفول.

و كانت هناك مساحات محجوزة لزراعة الأرز فى موسمه بعد شهرين من الآن. و كانت المياه الراكدة هنا منذ فترة تحتوى على أعشاب ضارة، بينما تقام فى نفس المكان الأكواخ التى كانت تميزها أسراب البعوض المنتشرة فى أعالى الجبال المجاورة.

كانت هذه البقعة المزدهرة فى الصحراء المكان الممتع الذى رأيناه خلال رحلتنا عبر بحر من التلال القاحلة التى يبدو أن استصلاحها كان بدافع علمى، بالإضافة إلى تلك الجسور الصغيرة المتعددة المبنية بطريقة حسنة. كذلك شكل أسوار الحدائق يدلّ على أنها مبنية من الطوب الإنكليزى المربّع و المنسق. كانت طبقات الجبال هنا من الرمال البنية اللون و تربتها صالحة و ليست مالحة. على يسارنا كانت هناك جبال كثيرة ذات ألوان ظهرت و كأنها إضاءة. و قد شقت فيها قناة لتمر المياه عبرها مباشرة من أعالى الجبال إلى النهر و كان طولها حوالى ميل واحد، و يخترقها

رحلة الكابتن فلوير، ص: ۶۱

جسران قويان مبنيان من الطين و الحجارة. و بينما نحن هنا قام واحد من أهالى المنطقة بضيافتنا، و ذكر لنا أنه شقيق (الأمير حاجى) و هو حاكم (جارى دراب) و هناك أيضا عائلتان أو أربعة من العلائلات المهمة فى البلدة أما بقية المنازل فيسكنها الخدم و العبيد.

لقد عبرنا فوق قاع النهر و كان على يسارنا قرية (واسكير) و على يميننا (راح قودار) و أمامنا (ترامبوك). كان النهر فى تلك المنطقة يجرى سريعا و عرضه ۵۰ قدما و عمقه قدم واحد و منبعه من (بانديبلاج). خلال عبورنا النهر مشينا بين قريتى (لترامبوك) و (ريبنداج) و قد كان حولنا أشجار النخيل و أشجار أخرى و خلفنا جبالا قاحلة.

و على بعد ۲ ميل بعد خروجنا من النهر كان الطريق إلى (نبوج) مليئا على يميننا بأشجار النخيل و كانت تدعى (أمكان). جميع أشجار التمر هنا كانت بشكل غير منتظم، و قد قال لى صلاح و هو مزارع لتلك المنطقة بأنه يلوم صاحب هذه النخيل إذ كان عليه من البداية أن يهتم بطريقة الزراعة بالشكل الصحيح حيث «أنه قد أكد لى أن أشجار النخيل عند ما تزرع بنظام سوف تعطى محصولا أكثر».

نحن الآن فى أعلى جبل مخروطى الشكل فخم اسمه (سى بورج).

و بعد أن تركنا الطريق المؤدية إلى (نبوج) بعد ۵، ۱ ميل، عبرنا مجرا صغيرا صخريا يدعى (دانجوتان) يصب فى الشرق و كان ذو قاع عميق، و عرضه حوالى ۳۰۰ ياردة. و قد قيل بأنه نهر صغير و مستمر خلال الفصول. عند ما عبرنا النهر خيّمنا تحت الجبل حتى الساعة الرابعة و كان الجو مظلما. كنت مقتنعا بأن بلدة (بنت) قريبة جدا من هنا، و لكن المرشد كالعادة قد أنكر ذلك، و

لكننا بمحض الصدفة رأينا مجموعة من الحمير تحمل علف الجمال إلى بلدة (بنت).

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٦٢

لقد راق لنا أن نخيّم فى ذلك المكان الواسع و أثناء الليل هطل المطر بانتظام و عند ما أشرقت الشمس كانت هناك سحب قاتمة أدت إلى هطول مطرا غزيرا متواصلا و كأنها تشير بذلك إلى عدم توقف سقوط الأمطار.

– الوصول إلى بنت:

كانت (بنت) تبعد حوالى ٣ أميال. و قد ظهر لنا هذا المكان فسيحا جدا غير ما كنا نتوقع. يحتوى هذا المكان من الرؤية الأولى على جبال عالية يحيط بها مساكن من الطين و العديد من المساكن الأخرى. و على كل جانب فى المكان حوالى ١ أو ٢ ميل من أشجار النخيل و قد انتشرت أمامها الحشائش الملساء و على الجانب الأيمن كان هناك جبل مخروطى و غريب الشكل يدعى (سى بورج). و ما أن تقدمنا و كان المطر يسقط وجدنا أن على أسقف المنازل أناس كثيرون بينما أعدادا كبيرة أخرى من السكان يخرجون من المدينة نحونا. و قد قمنا بعدّ ١٤٠ شخصا قبل وصولهم. و «كريم داد» الرجل الذى أخذنا الى (سارتاى) قد أخطر الأمير مما نتج عنه تأخير الرحلة إلى (جيه). و الآن و قبل أن نقوم بنصب الخيمة قد أرسل إلىّ لمقابلتى. لقد قمنا بنصب الخيمة تحت صعوبات كبيرة نظرا لأن الأرض قوية و مطاطية، و وجدنا صعوبة جديدة فى تثبيت أوتاد الخيمة، إذ صادف أن وقعت المطرقة على الأرض فلم نتمكن من العثور عليها إلا بعد مرور نصف ساعة لابتلال الأرض من المطر بشكل كثيف.

لقد تزوج صيادنا «جلال» ابنة «الأمير شوش» و نشأت صداقة بين الرجلين، أما «كريم شاه» فقد كان مهتما جدا بأن يخرج من الخيمة المزدحمة عند ما تثبت. إننى لم أكن مهتما من هو «الأمير» فى موكب المسيرة التى وصلت الخيمة الآن، و لكن من الطبيعى أننى قد خاطبت الرجل ذا الشخصية القوية المتحكم قليلا، و ما أن أصّر أحد قادته على

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٦٣

الجلوس معه فى سريرى المتنقل، حتى شعر الرجل بافتقاد كرامته أمامهم عند ما وقع على الأرض فجأة.

لقد وجدت أن حديثى مفيدا أكثر مع الرجل الذى يجلس بجانبه و الذى كان يتكلم الفارسية بطلاقة بدون أية رسميات. و كان يتكلم بشكل مباشرة بكل وضوح فى صميم الموضوع، هذا هو الأمير «حاجى» الحاكم. لقد جاوب على جميع أسئلتى بدون تردد و بدون تقيد و سألنى عن أى شيء يريد معرفته.

أما الرجل ذا الشخصية القوية الذى وجدته كان «عبد القادر» الشقيق الأكبر الذى لم يأخذ أى مكان فى الحكومة و ما هو إلا فلّاح أو ريفى من (جارى داراب).

الخراف فى بلدة (بنت) هزيلة الصحة و غالية الثمن، و علف الجمال و الحيوانات و خشب الوقود يجلب من مسافة ۴ أميال، أما مهمة جمع الحطب فقد طلبتها من «الأمير حاجى» فقد كلفت بها «الأمير حاجى»، كذلك كان هناك حمير لحمل هذا الحطب الذى كانوا يقضون نصف اليوم فى جمعه. أكثر الملابس هنا يتم صنعها فى البيت و كان صانعى الملابس يجلسون فى حدائقهم أمام ماكينة النسيج و ينتجون قماشا قطنيا خشنا و شاشا خشنا أيضا و يصبغ باللون الأحمر، و الأخضر، و الأزرق و يزخرف بالحرير الأحمر و الأخضر، بينما تقوم النساء بتطريز غطاء الرأس بزخرفة دقيقة جدا.

إن الملابس الطويلة من (ديزاك) أكثر ثمنا من أى مكان آخر، و القطن فى المقاطعة هو من النوع الجيّد و طويل التيلة، و لا ترسل تلك المنتوجات إلى خارج البلدة سوى طواقى الرأس (قلنسوة الرأس)، و التى اشترى منها

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٦۴

رجالنا كميـة كبيرة لبيعها و كان سـعر الواحـدة دولارا واحـدا. أما الأحذيـة و الأحزمة و المحافظ كانت أسـعارها معقولة و فريدة الصنع. كذلك كانت قرب الماء زهيدة الثمن.

إن «الأمير حاجى» قـد أعطى لى و بكل بساطـة تعريفا شاملا لأسـماء كثير من الأماكن التى مررنا بها. فقـد ذكر بأن كلمـة (بنت) تعنى بالعربيـة (بيت)، و قـد أختير هـذا الاـسم عنـد ما بنى جـده الأكبر قلعـة (سارتابى) بينما أعطيت (ماسـكوتان) كسـكن لقبيلة الهـوت («مسـكن» و يعنى بـذلك «سـكن»). و بعـد وصـول «الأـمير» جـاء بعض وجهـاء الإمـارة المتواضـعين، و كـانوا يقـدمون اعتـذاراتهم لمضايقتنا. بعـد ذلك تركوا الخيمة و بدأنا أنا و «جلال» و «صـلاح» نمشـى فى الحدائق فى هذا الفصل من السـنة. و كان هذا ممتعا حقا فلأرض كانت مرويّة مع الخضرة و النضارة، كما كان هناك البرسيم و زهور السوسن، و أكثر من مائة صنف من الحبوب كالفول الإنجليزى، و القمح، و الأرز، و قليل من التبغ، و التمر، و قد ذكر المزارع فى تلك الحديقة تسـعة عشـر نوعا منها فقط واحد أو اثنين من أصـناف هذه التمور معروف باللغة العربية، و الأرض التى خصـصت لزراعة الأرز ما زالت فيها سيقان النباتات حتى العام الماضى .

إن هـذه الزراعـة تسـقى بالرى من القناة التى قام بشـقها والـد «الأمير حاجى» و كان يأخذ عليها ضـريبة عند اسـتعمالها. إن توزيع الماء على الزرع كان سـيئا، فبعض من المحصول لم يسـقى و بعضه يسـقى من جدول الماء الذى كان يتفرع ليسقى أربعة حقول أيضا، فمالكى الأرض من الوجهاء

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٦٥

كانوا يأخـذون دورتهم من ماء القناة حسب مكانتهم و ليست حسب الملكية الجماعية، أما الأرض فقد كانت من الطين الجاف و تصلح لبناء القلاع و ليست من أجل الزراعة لأنها تحتاج الى السماد باستمرار. جميع القطن مزروع من (دشت)، و هذه التسمية لم أتأكـد من معناهـا ما إذا كانت اسم المكان الـذى نحن فيه أم أنها تعنى (البلاد المفتوحـة) عموما، على كل حال من الواضـح أن زراعـة مثمرة فى (جارى دراب). و عند عودتنا وجدنا أن «الأمير حاجى» قد أرسل لنا شاة و كيسا به تسـعين رطلا من التمر و أرز و جبن، و ما أن سـمع أننا بحاجـة إلى حصائر لعمل مطبخ حتى أرسل لنا قبة كاملة من مجموع أكواخه. و بعد تناول وجبة خفيفة معهم حضرت إلينا وفود من الملا أى فقهاء المدينة.

تعد الديانة شـيئا أساسـيا فى هذه المناطق، فقد كان فقهاء بلدة (بنت) يقدمون أنفسـهم على أنهم سـنة من المذهب الحنفى، و لا يعد أحد يملك المقدرة الأدبية فى (بنت) سوى الشـباب الذين يسـعون للحفاظ على دينهم حتى يصلوا إلى سن الزواج، و تمت مقاطعتنا عدة مرات ليذهبوا للصلاة.

إن مواضـيع الأحاديث الرئيسـية التى دارت كانت كالمعتاد عن الحكم الاستبدادى (للقاجار) أو (الفرس)، و كان البلوش يرغبون أن يأخذ الإنجليز بلادهم و هو شـىء هم يتوقعونه بالتأكيد بأنه سـيحدث قريبا . و قد سألوا بتلهف عن «حافظ» و لم يسـتطيعوا أن يقرأوا الكتب التى بحوزتى مثل «الشيكاسـتا» و «نموليسـتان» للمؤلف «هيرفورد» أو كتاب النحو للغة الفارسية و التى تهامسوا على نهايته فيما بينهم بصوت منخفض. اثنان أو ثلاثة فقط

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٦٦

متخصـصون فى اللغة العربية، و لكنهم لم يسـتطيعوا قراءة أى كتاب عربى إلا كتاب القرآن. لقد حيرنا آخر اثنان منهم حيث كانا يحوزان على نسخة مكتوبة من الشعر التركى الذى فشلوا فى اكتشاف اللغة المكتوب بها.

هنا فى (بنت) و فى (بمبور) المكانين الوحيـدين الـذين كنت أسأل فيهما عن أى شـىء بخصوص ديانتى المسـيحية، كان هناك رجلاـ مسـنا قويا قـد أحضـر ابنه معه، إسـتهل حـديثه معى باللّكز بعصاه الغليظـة، فسألنى أن أقرأ و بينما كنت أقرأ بعض القصائد

لحافظ الشيرازى بين جمع من الناس غيّر الموضوع و طلب منى أن أقرأ له القرآن كنوع من الامتحان و لاعتقادى فى ذلك الوقت بأن الناس كانوا يدعون أنفسهم بالمحافظين من أهل السنة، التفت إليه أسأله بغضب كيف يجرؤ أن يطلب منى أن أقرأ فى نفس الوقت عددا من أشعار الحب و كلام الله. فما كان منه إلا أن تركنى فى الحال، و كنت أهنئ نفسى على نجاحى فى توبيخه، و أخبرنى «صلاح» لا حقا أن لهجتى هى سبب مغادرته و ليس منطق الكلام الذى قلته.

إن شمس المغرب الآن تتجه نحو الخيمة، فذهبت للتنزه فى الحدائق نزولا نحو النهر العريض. كانت الحدائق بعرض حوالى نصف ميل ممتدة إلى الأمام نحو الجنوب، و قد بلغت حافة النهر العريض و لكن لم أتمكن من الوصول للقناة نفسها بسبب الكثير من الحصى المتحرك، و عند ما عدت إلى الخيمة بدأنا نحضّر لنحمى أنفسنا من ظلام الليل، و أرسل «الأمير حاجى» أن نتوخى الحذر من الأمن فى هذه المنطقة.

حسب مقياس الضغط الجوى تقريبا كان ارتفاع سطح البحر حوالى ٢٠٠٠ قدما تقريبا، و كان المناخ كمناخ بريطانيا عدا الشمس كانت ساخنة وقت الظهر. خلال النهار ذكرت «جلال» رغبتى العاجلة للذهاب إلى (بمبور)، و عليه فقد بذل جهده لشراء ثلاثة جمال جيدة لتحمله و تحملنى و معهم جمّالين. و فى اليوم التالى اقترحنا أن نرد زيارة «الأمير حاجى»

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٦٧

أولا. بعد ذلك سنذكر له حاجتنا و الصعوبات التى تواجهنا. فى صباح اليوم التالى سرنا على الطريق الرئيسى و عبرنا فجوة فى الحائط و صعدنا الانحدار و شوارع قذرة، و كنا أثناء سيرنا نشاهد يوميا حميرا تسير نحو البلدة محمّلة بجذور الحشائش، و الآن نجد أن فى كل شارع أو ركن فى البلدة ينتشر تبن الأرز و جذور الحشائش أيضا.

إن المنازل فى بلدة (بنت)، و (فانوش)، و (ماسكوتان)، و بلاد أخرى للبلوش قد بنيت بشكل بدائى حيث تشبه حظائر المواشى فى الشتاء، و هذا يعطيها رائحة سيئة فى بعض شهور السنة. أما تبن الأرز فقد كان قوتا لعصافير الدورى و كان قذرا و مكدسا خلف المنازل بإهمال، و لم يكن هناك أى ممرّ معتمد و لكننا صعدنا بحرص إلى منزل «الأمير حاجى» الذى كان على قمة الجبل، فى منطقة رياح شديدة، زلقة بسبب هطول الأمطار مؤخرا. و عند وصولنا إلى غرفة مستطيلة الشكل كان «عبد القادر» و «الأمير حاجى» و رؤساء آخرون فى البلدة يجلسون على الأرض فى الغرفة، و كان هناك سرير طفل يهتز بحبل مصنوع من شعر الغنم و مزخرف تستلقى به ابنه «الأمير» المحبب و وريثه، بينما فى الجانب الثانى من الغرفة كان يوجد ما يسمى (بشهارباى) أو مقعد سرير و هذا الذى جلست أنا فيه.

لقد تجمع رجال «الأمير» و رجالى عند الباب يتكلمون عن عدة أشياء و بكل حرية، و قد لا حظت الجدران ذات الحائط الطينى يتدلى منها زجاجات إنجليزية معلقة فى شبكة من شعر الجمال و مزخرفة، و كان هناك أيضا زهريات من النحاس مليئة بماء الورد من صنع روسيا على ما يبدو لى. ثم كان لنا حديثا سريعا عن الطرق و التجارة و التعليم و عن الروس و الأفغانيين الذين صنعوا لأنفسهم اسم فظيع هنا. و كنت دائما أسأل لأتنبأ إلى متى سيعيش الشاه. ثم لا حظت وجود غليون متواضع كان قد وضع على إناء إنجليزى للخمر و كنت أستعمله بغير أن يراه أحد حتى لا أوقع

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٦٨

«الأمير» فى حرج لاستعمال (المبسم) من بعدى، و كان رجاله فخورين به لأنه يعرف جيدا كيف يستخدم الغليون كرجال فارس المتحضرين، و خلال جولاتى الأخرى كنت أسمع من يعلق بأننى دخنت الغليون مع «الأمير حاجى».

بدون شك إنه خلال المقابلة لم نقم بذكر أعمالنا، كما أن «الأمير» أصرّ على أن بلاده، و منازله و جماله، و رجاله جميعهم فى خدمتى، و إننى بدون شك قد أكّدت بأن الشىء الوحيد الذى لعلاج قلقى هو يقينى أنه و عائلته لم يقصّروا فى حقى. و بعد أن

استرجعت خيمتى أرسلت صلاح إلى «الأمير» لإبلاغه بطلبى ثلاثة جمال جيدة لإرسالها فى نفس الليلة.

بعد أن أصبح «صالح» معتزا بنفسه لأنه قد وجد الفرصة لإبراز تفوّقه و ذكائه لنجاح المهمة التى كلف بها و بدأ يفكر فى اللغة الدبلوماسية التى يجب أن يتكلم بها مع «الأمير» للموافقة على طلبنا. عموما حرص «جلال» بأن يذهب معه كمترجم، و عند وصوله إلى «الأمير» و فى جمع الحاكم بدأ يصيح بحزم: «إن «صاحب»- أى الرجل الإنجليزى- يريد ثلاثة جمال فورا»، و طريقة المفاوضة هذه التى قام بها جلال كانت صحيحة لأنها تبين نوعا من ادعاء التفوق و السيطرة من جانبنا. و هذا كان جزء من التفاخر بين الأهالى الذين يدعون التواضع هو ضعف فى هذه الحالات. إن أسلوب البلوش مع أميرهم لا يختلف عن أسلوب البدو العرب عند ما يدخلون على حاكمهم حيث يتجهون مباشرة إليه و يلوّحون بعصاهم الطويلة و يصيحون «سلام يا محفوظ».

هذه كانت آخر ليلة لى فى بلدة (بنت) و إننى هنا سأقتبس ملخصا من مفكرتى التى احتفظت بها فى (بنت) عند ما كنت أنا فى (بمبور) هذه المذكرات تقول:-

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٦٩

«إن المدرسة كانت ببساطة جانب من غرفة تمتد حتى المسجد و التى كانت حوالى ٦٠ قدما مربعا، و قد بنيت ببراعة من الطين و مسقوفة بالحصير أو القش، و إمام المسجد كان ناظرا للمدرسة، و كان يعرف قليلا من اللغة العربية، و قد ذكر أنه قد تعلمها فى مكة. كذلك كان يلم بشىء من اللغة الفارسية، أما الدروس فكانت بالبلوشية. و كان معدل حضور الطلبة عشرة طلاب فقط بعضهم كان يقرأ القرآن. و بناء على طلبى قام أحد الطلبة بقراءة الجزء السابع عشر منه، فكانت قراءته جيدة، و لكنه كالعادة فى هذه البلدة كما هو واضح فإنهم لا يستطيعون إدراك المعنى. و قد قال الإمام:

«إذا ما أكمل أحد طلابه حفظ القرآن فإنه يستلم من والده مبلغ عشرة ريالات. و فى وقت جمع التمر تكون الهدية عبارة عن تمر».

بعد ذلك دخلت المسجد و رأيت فى تجويف الحائط أجزاء من ورق القرآن. كذلك رأيت كتابا مغلفا بقماش أخضر اللون مطرّزا بالذهب، و عند ما سألت أحدهم ما هذا؟ قال إنه كتاب «حافظ الشيرازى» و عند ما طلبت منه أن أراه أخذه بيديه بوقار و أعطاه إلىّ، و عند ما تاكدت أنه فعلاـ «حافظ» قلت له: «لماذا تضع هذا الكتاب الذى يتكلم عن مشروب الخمر، و الحب و الفجور هنا» فبرّر ذلك بلهجة عنيفة و أجاب لا تقل هذا إن هذا الكتاب نظيف من كل هذه الأمور، فأين نضعه الآن فى غير هذا المكان؟ فأجبت «هذا مسجد بيت الله و يجب ألا يكون به شىء غير كلام الله و سنة رسوله. هذا الكتاب للشباب و الجاهل، و ليس بكتاب دينى. ثم أجاب بالعكس إن أصل هذا الكتاب كان أصل الدين نفسه و هو غير ما تتصوره. «فالخمر» هو مشروب لحب الله و الحب يدوم من أجل الله».

و أخذ يعدّ لى كلمات مختلفة كما رتبت فى كتاب «قاموس و معانى الكلمات». و سكت لأنه قد يطول الوقت حتى يترك القرآن و يضع «حافظا» مكانة النبى «محمد».

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٧٠

لذا فقد استخلصت الآتى:-

«إننى قد سألته عن يوم صلاة الجمعة و إن كان يحضر الناس للخطبة، و عند ما أجاب نافيا، فبلا شك كنت استفسرت لماذا؟ فقال إنه لا يوجد قانون لحماية الدين أو قانون ضد الكفر و الشرك، و قد أضاف أنه من وجهة نظره عن الدين أن صلاة الجمعة يجب أن تقام فقط فى المناطق التى لا توجد بها قوانين الشرع الإسلامى و يوجد الحاكم العادل» .

و قد ذكر أن المواطنين هم على مذهب أبو حنيفة، ديانتهم هى الإسلام و هم أهل السنة، و لا يطيقون الفارسيين الذين ينعتونهم

ب (الخارجين عن الملة) و يسيئون للهاربين من دينهم.
أيضا لا توجد تجارة نظامية هنا، و عند ما تكون البضائع زائدة عن الحاجة، يباع التمر إلى البلوش المقيمين، و السمن و الماشية ترسل إلى مسقط و بندر عباس و ذلك مقابل القطن و الملابس و الحرير للتطريز. و فى ذلك الوقت لم تكن هناك عملة للتداول أقل من نصف «الكران».
سنويا يقوم «الأمير حاجى» بدفع مبلغ ٥٠٠، ٢ تومان إلى «الأمير حسين» فى (قصر قند) . و عند المغرب حضر «الأمير» ليودعنا، حيث أنه غادر إلى (كيه) فى صباح اليوم التالى و كان يصحب معه ابنه الصغير المفضّل الذى داويته بمادة الكينا أثناء مرضه. و قد كان طوله ٣ أقدام تقريبا و لكنه كان على مقدرة من قراءة القرآن بأكمله. ثم أعطيناه لفة من الخيط
رحلة الكابتن فلوير، ص: ٧١
و الحرير، و كان صالح يتباهى بذلك. و قيل أن «الأمير» سيترك المكان ممتطيا جواده الرمادى اللون و وعدنا بأن الجمال سوف تصلنا فى خلال ساعة.
رحلة الكابتن فلوير، ص: ٧٣

الجزء الثالث: [مسكن الهوت- بمبور]

اشارة

كان فى بلدة (ماسكوتان) عناصر قليلة من الفارسيين و سكانها ينقسمون إلى ثلاث فئات: «الفرس» ذو الشعر الطويل، و «اللاشاريون» بنظراتهم المتوحشة، و «البلوش» الذين يبدو عليهم القلق. إن الفرس حقيقة قد دخلوا هنا بواسطة «الأمير هوتى».
و البلوش هنا هم من قبيلة (الهوت) و هم نشيطون و لهم قدرة على التحمّل.
رحلة الكابتن فلوير، ص: ٧٥

بدء الرحلة إلى بمبور:

بالرغم من وعده لنا بإعطائى الجمال و بدون أى شك فى المساء، إلا أنه بعكس ما توقعنا، فقد ظهرت ثلاثة جمال رائعة فى الساعة العاشرة من صباح اليوم التالى، حيث كانت هناك ريحا عاصفة باردة قادمة من جهة الشمال. كان أكبر هذه الجمال هائجا ممّا جعل فمه مليئا بالزبد، و بعد المناقشة وعدنا الرجال إذا أمكن، بأن تكون الرحلة إلى (بمبور) فى خلال ستة عشر يوما، و لكن الآن لدىّ فقط عشرة أيام باقية بمعنى أنهم سيمنحوننى ستة أيام فقط للرحلة من (بنت) إلى (جاسك) و التى قررت أن أقوم بها سالكا طريقا جديدا. على كل حال، إننى قد عزمت على أن أنهض مبكرا فى الصباح للسير مع الرجلين اللذين أرسلهما صاحب الجمال معى، و اللذين ليس من المتوقع أن يراعيا الجمال كصاحبهما.
رحلة الكابتن فلوير، ص: ٧٦

رفقاؤنا الجدد فى الرحلة:

ربما نحتاج إلى بعض الشرح مع رفقاء الرحلة فى الطريق، أولا فيما يتعلق بتأجير الجمال، إن الرجل المتكلم فى هذه الصفقة اسمه «شوكارى» تلفظ هنا كاللغة الإنجليزية «شوجارى» و قد أنكر أية فوائد فى الجمال، و ذكر لنا أن سبب حضوره هو تكليف من

«الواجه» له بهذه المهمة، و قد زودنا بثلاثة جمال ممتازة، و قد حصل عليها بعد جهد، كذلك الموافقة على مصاحبتهم مع مالكى الجمال لعمل صفقة معى؛ لأن الرجلان صاحبى الجمال كانا خائفين من «الفرنجى» أى الأجنبى، و قد ذكر بأن الرجلين هما أشقاءه، و هو يفضل أن تنطق الكلمة الفارسية (سرد) ك (سوارت) و تعنى خفير.

إن «عبد الله» هو صاحب الجملين المذكورين. كان رجلا قصيرا ممتلأ شجاعا و قويا ذو أنف صغير و عينان سوداوان لامعتان، و طريقة حديثه كانت متحمسة و عنيفة. أما صاحب الجمل الصغير الذى كان عمره ٣ سنوات اسمه «بارجة»، رجل طويل قوى و وسيم، ذو لحية بتّية. و كلمة «بارجة» باللغة الفارسية تعنى وسيم .. «بارجة» هو الأخ الأكبر ل «عبد الله»، و إنه لمن الممتع أن ترى «عبد الله» و هو ملتف حول نفسه بغطاء رأسه و يرقد أرضا و هو ينادى على «بارجة» ليغطيه من جميع الأطراف ببطانية.

رياح الشمال:

بدأنا السير ضد رياح الشمال القاسية، «عبد الله» و «بارجة» يمتطيان الجمل الكبير و يتبعانى و «جلال»، و كانت رائحة الجمل الذى أمتطيه عفنة،

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٧٧

فقد قطعنا مسافة كبيرة من النهر و اتجهنا إلى أعلى حتى مجرى النهر، حيث كانت جوانبه مزروعة بالأشجار، التى كان يقوم بجمع أوراقها المواطنون لتخزينها كسماد حيوانى. وقتها كانت الرياح باردة تلفح وجوهنا ببرودة شديدة مصحوبة بقطرات من المطر.

و حوالى الساعة الثالثة توقف الرجال و قالوا إنه من غير الممكن أن نسير أكثر من ذلك فى هذا الجو، فخيمنّا على شاطئ صخرى للقناة التى تصب فى النهر. و كان المكان الذى نجلس عليه موحل بالكامل. كما أننا و لأول مرة نرى نبات (الطرفاء) هنا و الذى ترى منه حزاما من أشجاره فى (بمبور). إن الفواكه تجمع و تباع بالكران أو المّن (وزن من ٦ أرطال) أما الزيت الذى يستخرج منه يباع بثمن ٣ كران «للمن».

الساعة الآن هى الثامنة مساء، و كان هناك مشكلة تدبير أكل الجمل الذى أظهر العصيان على صاحبه و بدأ يدور فى الأرض ساحقا الشجيرات الصغيرة. ليس هذا الجمل فحسب بل إن البقية من الجمال لم تأكل، فما كان من كل واحد من الجمّالة إلا أن يضع الطعام فى فمها بالقوة و دفعه داخل حلقها لمضغها رغما عنها.

و فى حوالى العاشرة مساء جلس «برجا» بجانب النار و هو يلف اثنين من عنان اللجامين حول خصره، كذلك «عبد الله» كان يرقد فى الجانب الآخر من النار و حوله يلتف لجام آخر كبير. حتى الآن لم يصب أحد بأذى؛ حيث أن الجمل الكبير كان مربوطا من سيقانه الأربعة و هو بارك على ركبتيه و فخذيه.

و فى الساعة الحادية عشرة و النصف كان الجمل الكبير يرقد على بعد

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٧٨

ياردة من قدمى و هو يمدّ رقبته على الأرض مستسلما للنوم. و كانت الدماء تسيل من أنفه مكان عقدة اللجام، و الحبل يمر من فتحة أنفه؛ لذلك لم يتمكن من النهوض بغير أن يرفع أنفه لثلاث بوصات، أما «الواجه» فقد ذهب للنوم ثانية، أما «جلال» فقد رقد تحت ظل شجرة خضراء كبيرة.

و قد كان الرجال يقولون أنهم ليسوا خائفين على أنفسهم و لكنهم خائفين على الجمال الصغيرة، إلا أنه لم يراودنى هذا الشعور حينها.

فى صباح اليوم التالى كان الجوّ غائما شديد البرودة، و الريح قوية تهب من الجهة الشمالية. فقد أكّد الرجال أنه من المستحيل أن نتقدم، إلا أنهم بدأوا بالمسير بعد أن وزعت الأغطية عليهم و حثيتهم على النهوض. و بعد خمسة أميال قضينا بعض الوقت نمشى فى الماء و بعض الأحيان على الضفاف الرملية. الآن وصلنا تقريبا إلى مدخل جيرى و كانت هناك صخرة حمراء ضخمة و بركة كبيرة و عميقة. و بعد حوالى ثلاثة أميال إلى الأمام من (كيلات ايذانجى) كانت هناك جبال و صخور غاية فى الجمال من كل حجم و قياس و لون يمكن أن تتصوره.

إنه من الصحيح بهذه المناسبة إذا ذكرت بأن كل شيء كان رطبا من المطر و ليس هناك سوى اللون الأسود، إلا أننى قد اكتشفت أن الألوان الرئيسية فى هذا المدخل العجيب كانت الأحمر اللامع، و القرمزى، و الأبيض، و الأرجوانى و الفولاذى. كما أن جميع درجات اللون الأخضر من الغامق إلى الزمردى و أكسيد الحديد تعطى جميع ألوان الأحمر من اللون الفاتح إلى القرمزى، و الرصاص يعطى جميع ألوان الأصفر، و النحاس يعطى جميع ألوان الأخضر، و الحجر الجيرى عديم اللون يعطى لون الثلج الأبيض.

نجلس الآن فى أحد المنازل؛ حيث أعرف تماما بأن درجة الحرارة سترتفع بعد قليل إلى ١١٠ درجة. و إنه لمن المستغرب بأننى لم أحضر معى عيّنات و لا حتى خرائط لاستكمال مذكراتى، و قد شعرت بأن يداى

مخدّرتان لا تقويان على كتابة رسالة، و أن السرج سوف يبتل إذا نزلت من عليه و لو لخمس دقائق، و هذه كانت من الصعاب التى لم أتغلب عليها و لم يكن لدىّ أية فكرة كم يتبقى من هذه المرحلة، و علىّ أن أقدّر كم من الوقت يمكن أن أوفّره. ثم قال الرجال: «إن الرحلة طويلة، و الطريق طويل» و هم يحدّقون بى بلهفة؛ لأنه لم يسبق لهم أن قاموا برحلة مدخلها مثل هذا المدخل و فى جو كهذا. و إذا تقدّمنا أكثر فسيكون هناك مياه كثيرة و عندها سيتحتّم علينا رجوع الطريق بأكمله إلى المكان الذى خيّمنا فيه الليلة الماضية لايجاد مأوى آمن و مريح.

شاطئ النهر هنا صخرى و عمقه حوالى ثلاثة أقدام، و هناك كثير من الدوّامات المائية. ترتفع مياه النهر من حوالى ١٢ إلى ١٥ قدما فوق سطح الماء لحدّ يفوق الوصف من حيث بالحجم و العمق و يصعب اجتياز هذا النهر بسبب وجود الكثير من الطحالب البرية، كما أن هدير المياه المرتفعة كاد أن يصدم رأس جملى، و بعد جهود قوية بدأ باستعادة توازنه لبضع ثوان فتقدم على حجر أملس و بعد ثباته بدأ يدور و يدور و هو يثير الشفقة. و قد فهم الرجال وضعه و عدم قدرته على الحركة. و قد جاهدنا حوالى أربعة أميال حتى رأينا سلسلة جبال (باندى نيلاج). فى هذا المكان بلغنا تقريبا آخر الممّر و قد سمعنا أنه لا يوجد خشب للوقود فى (بنوج)، فتوقفنا لجمع بعض فروع الزرع اليابس. فى نفس المكان رأينا نوعا من السمك طوله حوالى ست بوصات و قد لفت انتباهى (سرطان البحر) ذو اللون البنى، طوله حوالى بوصة و نصف. و عرفنا بعد ذلك أن أهل (بنت) يتباهون بسمكهم الذى يتفوق بكثير على الأسماك التى تأتى فى البحر لأنها

طويلة و نحيفة و ذات لون رمادى على ظهرها.

ثم أكملنا سيرنا تحت حائط عال من الصخور الأرجوانية و هو جزء من العمود الفقرى ل (باندى نيلاج) و تظهر للعيان من خلال الممر. و عند ما اتجهنا إلى اليمين نحو الضفة، كانت هناك أشجار النخيل فى (بنوج).

و بعد أن قطعنا ميلا- كانت هناك على الجانب الأيمن بقايا قلعة، و قد ذكر لنا بأنها قد هدمت من قبل الأفغان. و فى مقابل الشمال كان على يسارنا رافدا لنهر (بنت) بحوالى ربع حجمه و ضفة شديدة الانحدار فيها قلعة من الطين، و على الجبل أكواخ

من القش تشبه مخازن القمح الإنجليزية. و كان كل قدم بين الأكواخ فيه عيدان الأرز، و جذور الحشائش لاستعماله كسماد للحيوانات. و بسبب غياب «شاكر خان» دلّنا خادم «الأمير حاجى» على أحد منازل سيّده الذى كان خاليا و دافئا و بكل معنى الكلمة كان نظيفا. و بعد أن شعرنا بالاستقرار فرشنا السجاد و كنا باستقبال حوالى مائة شخص من الأرستقراطيين، بعضهم يتمتع بأخلاق جيدة و بعضهم لا ..

«أدوين بيرس» الذى يدرس لغة البلوش، كان دائما يذكر الصعوبات التى واجهته لاقناع السكان بأنه يفهم و يتكلم لغتهم. إننى أيضا قد مررت بتلك الصعوبات و لكن كان هذا فى بداية رحلتى عند إبداء الرأى الذى كان يجبرنى عند شرحه أن أعزه بلغة البلوش.

و مع ذلك فإن الحالة الآن تختلف بالنسبة ل «جلال» الذى قال: «إنه لا يرغب فى أن يوجهوا أية كلمة لى فيما يخص ملاحظاتهم عنى التى أبدوها بحرّية». و عند ما كنت أظهر لهم أى إعجاب من جانبى كانوا يتهامسون بكلمات .. «هو يفهم ذلك الآن»، أيضا هم لا يصدقون أن ملابسى و حذائى الكبير الحجم قد اشتريته من (كرمان) المكان الذى يتكلم عنه السكان كثيرا كما يتكلم الإنجليز عن لندن.

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٨١

لقد أصبنا بالدهشة حيث أن أحد الرجال قد أخذ يظهر نفسه بأنه شخص بارز و رفيع الشأن، و كان ضخما أسود اللون يتبختر فى مشيته و ذو صوت خشن، و كان يلبس ملابس الفرس، و قفازات سميكة و جوارب طويلة، و كان حديثه عن الجياد؛ لأنه كان سائسا لخيل «شاكر خان» و لكننى كنت مندهشا عند ما عرفت أنه عبد. و عند ما رأيته يحدّق بملابسى التى تشبه ملابس البحارة القصيرة و الحذاء الكبير، سمعته يقول: «هذا هو زى الشاه»، و أضاف: «إنك الآن تعلم أن الشاه ملك مدهش فأى شخص قد يحكم عليه ظلما أو يعامل بقسوة، ما عليه إلا أن يذهب إلى منزله و يقول أين الملك؟ فيأتى الملك إليه فورا ليمنحه عدالته.

إننى لا أصدق أن هذا الرجل كان عبدا أو خادما و لكن ثلاثة أشخاص قد أخبرونى بذلك، و لم تحن لى الفرصة لمحادثته على انفراد، و لا أعتقد أن وضعى يبّرر طرح أية أسئلة أو استفسارات معه عن هذا الوضع، لذلك كان علىّ أن أترك الأمر معلقا.

و قد طلب منى «مراد خان» نائب «شاكر» بإلحاح أن آخذ أحد خيوله و أذهب إلى (بمبور) خلال يومين، و لكننى لم أكن مستعدا أن أترك حقيبتى الصغيرة هنا. عرضه هذا جاء ليشير بإصرار و بلهجة حادة إلى الجمّالين الذين سيرافقوننى بأن الرحلة ستستغرق معهم خمسة أيام.

عند ما تعوّدنا على الناس أكثر أصبحوا يلحوّن فى طلب الأدوية لجميع الأمراض و بصفة رئيسية لأوجاع الرأس. و عند ما تعبت من إلحاحهم إدعيت بأننى قد نسيت جميع الأدوية فى (بنت) و لكن بدون أية مقدمات قام (جلال) بدور الطبيب بكل جراءة فقط ليتساوى مع «أبو زيد».

إن الطريق المؤدى إلى الضريح الذى عرفناه من أحد الرجال حيث أوصى «جلال» بأن يزوره و يذبح له ماعز كقربان، كان نوعا من السخرية و تعبيرا عن استغرابهم لمعرفته السطحية بالمكان.

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٨٢

لقد قدّم لنا «شاكر خان» عشاء فاخرا. و قمت بدورى بدعوة ابنه الأكبر أيضا للعشاء معى، و كان ولدا خجولا يلبس رداء من شعر الماعز مطّرزا و مزخرفا بالحرير و هو شعار الملوك، كذلك كان يرتدى سروالا حريريا قرمزى اللّون، و عند ما سألت عن عمره قال صديقه إنهم لا يعرفون عمره و رجعوا إلىّ لتخمينه، و حسب تقديرى فقد أعطيته عمرا لعشرة سنوات، فتعجبوا و اعتبروا أن تخمينى هذا إثباتا و دليلا على أن الإفرنج يعلمون كل شيئ.

كانت المنازل هنا بعضـها مستطيل و الآخر دائرى و بعضها من طابقين، الجدران قوية بنيت من الطين القوى الأزرق. و فى الحالة التى تتطلب أن يكون المنزل مستطيلا، فإن جذوع أشجار النخيل توضع بالعرض و تغطى أولا بالحصير، و بعد ذلك بالطين. و لكن الأكواخ المستديرة هى الأفضل؛ لأن جدرانها ترتفع إلى اثنتى عشر قدما، و السقف مبنى من عيدان شجر التمر المغطى بالحصير و ورق البيش و هو (القش).

المؤذن هنا رجل عملى من نوع خاص. فبدلا من أن يحثّ رعايا المسجد و المصلين للقيام بالصلاة، كان يستعرضها فى الطرق و هو يصيح «بره نماز» و تعنى «اذهبوا للصلاة» و قد قدّم لى «مراد خان» هدية عبارة عن قطعة قماش بنية اللون من «ديزاك».

صباح اليوم التالى كان شديد البرودة، و قد رأينا حوالى عشرين رجلا و طفلا على الحمير و كان معهم أكياسا كبيرة من الحصير يجلبون فيها الحشائش و جذور النباتات كسماد للحيوانات و كذلك كوقود للنار، هذا هو آخر شيئ رأيناه من الحمير التى أستوردت من عمان.

فى نفس الوقت عبرنا (بيادلدولى على) و كانت هناك سلسلة من الدوائر بقطر ياردة تقريبا و قد قيل بأنها علامات على الأرض و هى آثار أقدام فرس

سيدنا «على»، و يختلف العلماء إن كانت فرسا أم بغلا؟ و هل هو ملك سيدنا «على» أم سيدنا «محمد»؟ .. بعد ذلك اجتزنا جدول ماء غير عذب فيه سيقان طويلة لنبات «الإثل» أو «السمار»، و هذه تستعمل لعمل الحصائر. ثم عبرنا سهولا و جبالا منحدرة حتى بلغنا جدول ماء جاف فيه نباتات نخيل صغيرة، و بعد ذلك بقليل كان هنا آخر امتداد لنبات (البيش) أو (القش) حيث ظهرت بعده نهاية الجبال، و لم يكن هناك سوى ممر واحد، و كان باستطاعتى استلام القيادة حينها للسير مسرعا حيث قطعنا عشرة أميال حتى الساعة العاشرة و النصف، و بلغنا حدود الجبال. وراءنا كانت الصحراء و سراب أزرق تخيّلنا أنه البحر. بينما على مسافة بعيدة ظهر الثلج يغطى سلسلة (بشمان) و (توريك).

إن اتجاهنا كان مقرّرا للشمال، و لكننا الآن تحوّلنا إلى الشرق. أرض البلدة كانت خليطا من الرمال و الحصى الأحمر، و كان هناك خطا أحمر اللون من الصخور البيضاء مرصّعة باللون الذهبى، و فى الساعة الرابعة مساء عبرنا جدول ماء جاف اسمه (مورج)، و قبل غروب الشمس بساعة رأينا بلدة (ماسكوتان) واقعة بين جبال منخفضة ظهرت بين رمالها أعشاب خفيفة و قليل من أشجار الصمغ.

هنا كنا نراقب غلاما صغيرا يحمل خشب الوقود و هو يلهث، الأمر الذى أغضب جلال؛ لأن الغلام لم يستعمل حماره لعمل كهذا. و قد وجد الآن أن بإمكان بعض أطفال زوجته الثانية القيام بهذا العمل. إننى قررت حسب خبرتى فى (بنوج) أن أقطع المدينة إلى الجانب الآخر منها و أخيّم هناك. و عند ما بدأنا طريقنا مررنا بغابات من شجر النخيل التى كانت فيها المياه بعمق قدم واحد. عبرنا قنوات مياه الرى بمساعدة أناس كانوا هناك

و يلبسون ملابس الفرس، بعد ذلك صعدنا تلة صغيرة حيث ظهرت المدينة جاثمة فى مكان عال.

إن الملابس الفارسية هنا لا تعنى أنها دليل على أن اللذين يلبسونها هم من الفرس. و بلوش (مكران) يحتقرون أى زىّ غير زيّهم. عموما، الفارسيين هنا أكثر خوفا، أما البلوش فهم أكثر جهالة و هم يلبسون هذه الملابس تكيفا كهؤلاء الأفريقيون الذين يلبسون معطفا أحمر اللون بغير السروال.

إن بلدتى (بنوج) و (بنت) تشبهان المكان المخصص للتجارة أو ساحة العمال الإنجليز، و لكن فى بلدة (ماسكوتان) تمتلىء

طرقاتها بالسماد الحيوانى و القش الذى يعطيها مظهرا يشبه حظيرة الخنازير، ثم مررنا ببلدة (بارجة) لنشترى قربا للماء لرحلتنا عبر الصحراء، و عبرنا بعد ذلك قاع النهر إلى أسفل فهو ضحل عميق، و قد خيّمنا على بعد من أسفل الجبال المنخفضة فى المكان المقابل.

هناك وجدنا مكانا دافئا و هادئا تحت الشجر، و ما أن أخذ الماء يغلى فى إبريق الشاى حتى ظهر لنا أحد سكان (ماسكوتان) بمظهره المرعب و يرتدى ثوبا قصيرا ليعبر النهر. فقمت فورا بالتوقف عن تخطيطى و بسرعة تسلقت أقرب جبل، حيث كان قد أوشك على الانتهاء تماما عند ما رأيت أربعة رجال يتصببون عرقا و يلبسون أحسن الثياب، يتحركون بمشقة على الحافة أمامى و بدون أى نوع من التحية أخذوا فى انتقادى. و بعد حوالى عشرة دقائق غيّروا رأيهم و حضروا إلى أعلى ثم سألنى أكثر رجل أناقة فيهم، إذا كان لدىّ روبية أو قميص قديم ممكن أن أعطيه له. طلبت منه أن ينتظر لحظة و انسحبت إلى الخيمة حيث رأيت «جلال» يصف دواء لحوالى ستين مريضا. كانت إحدى النساء كفيفة منذ عشرين عاما توبّخ الرجل العجوز، و لكنه أسكتها أخيرا بقطعة من الكيك و التى طلب منها أن تمضغها.

كان طعامنا فى تلك الليلة عبارة عن قليل من الأرز و لحم من أرجل الضأن التى أحضرته معى من (بنت)، و قد جهز هذا بواسطة «جلال»، و عند ما شبعت و الثلاثة الآخرون قد أكملوا ما فى القدر من طعام، تناولنا طبق من الحلوى المصنوعة من التمر، و فى طعام بسيط كهذا كان هناك نقطة واحدة لم نوافق عليها، و قد اكتشفتها و هى أن (جلال) بدون شك قد وضع كثيرا من الملح فى الطعام. كان الملح لونه أسود و اللحم قوى، و كان يقوم بتقطيع اللحم بطريقة همجية، و عند ما تحدثنا عن الموضوع ذكر لنا أن اتفاقنا مع الجمّالين لا يشمل الطعام، و هذا على كل حال، يوضح أنه ليست هناك علاقات ناجحة، و قد رفضت أن أقبل وجهة نظره عن الموضوع. بعد ذلك وجدنا الحل لهذه الصعوبات و هو أن يقوم كل منا بإعداد الطعام بدوره و إنه لمن المسّلى أن يمزح كل مع الآخر أثناء دوره فى إعداد الطعام.

إن النهر هنا يجرى ناحية الجنوب و غابات النخيل كثيرة، و الجبال الوعرة تمتد بضعة أميال إلى أسفل حيث الجهة المقابلة أو إلى الشاطئ الغربى.

و فى الجهة المعاكسة لنا أيضا كان النهر ينحدر و كان ينتج عنه تكوّم الحجارة البيضاء الكبيرة التى كانت تلتقى بشكل جميل مع الحشائش الخضراء التى تنمو تحت شجر النخيل على أعلى الجسر. مياه النهر كانت عذبة تصلح للشرب، و لكن كانت هناك عدة عيون ماء عذبة تختلط مع مياه النهر.

كان فى بلدة (ماسكوتان) عناصر قليلة من الفارسيين و سكانها ينقسمون إلى ثلاث فئات: «الفرس» ذو الشعر الطويل، و «اللاشاريون» بنظراتهم المتوحشة، و «البلوش» الذين يبدو عليهم القلق. إن الفرس حقيقة قد دخلوا هنا بواسطة «الأمير هوتى». و البلوش هنا هم من قبيلة (الهوت) و هم

نشيطون و لهم قدرة على التحمّل. لقد أجّرنا رجلا كبير السن نظير روبية واحدة ليدلنا على (بمبور) فى خلال يومين، إن جميع السكان الذين قابلناهم حتى الآن مختلفين عن بعضهم البعض.

و صديقنا الجديد «كولى» كان قصير القامة مقوّس الساقين، فمه كبير و وجهه كتلة غير منتظمة و كان يرتدى قميصا و سروالا و يحمل سكينا و سلاحا آخرا طوله ١٨ بوصة جانبا منه حادا و الآخر خشنا كالمنشار و المقبض هو قطعة غليظة من الخشب. و هذا السلاح الذى كان مربوطا فى الوسط هو لقطع الحشائش أو الحطب. هذه السكاكين معروفة فى (ماسكوتان) على أن اسمها

الحقيقى «كاهكين» و تعنى «قاطعة الحشائش» و لكن معظم السكاكين التى رأيتها كانت أصغر من التى مع «كولى».
أما الثلاثة رجال الآخرين كانوا كالنبلاء، و لم تكن هناك أية حاجة للسرعة أو الحزن، على العكس كان كل شىء على ما يرام. على كل حال، إن «كولى» حقا هو كالغول لأننى أصدق أنه لم يرى أى نوع من الطعام خلال ثلاثة أيام متتالية، و إنه لم يذق طعم اللحم أبدا، فالقرون و الصوف و الحوافر و أى جزء من الشاة يأكله بنهم من غير طهى و يمكنه أن يشق أو يقرض العظام بأسنانه كالكلب، و دائما بعد أن نفرغ من الوليمة يقوم «كولى» بوضع قطع من العظام فى جيبه حتى يأخذ فى قضمها أو مصها فى أى وقت.
و فى طريقنا دائما كنا نتقابل مع رجال يسألون عن اللّحم و التبوغ و لكننا لم نصادف شخصا فظا و خشنا مثل «كولى». إنه لم يستلم الروبية قبل أن نعود إلى (ماسكوتان) فى الوقت المحدّد. و فى اليوم التالى وصل «كولى» مبكرا يلبس غطاء من الصوف، و بدأ بالشكوى من سائقى الجمال و الذين سنسير معهم الآن. و ما أن بدأنا نغادر (بنوج) حتى كان بصحبتنا حشد من الرجال ذاهبون إلى جزّ الحشائش و جمع حطبا للوقود، و عند مغادرتنا

البلدة كان معنا حرّاس فى مهمة قصيرة، يركبون البقر، و أخذ البقر يعاندنا فى السير و لكن كان لدىّ خبرة فى ركوب جميع الحيوانات و البقر. و لم أبالغ إذا ما ذكرت أن حقيقة الناس الذين يمتطون البقر إنهم مسؤولون جزئيا عن تعديل اللهجة؛ لأن الأسلوب الجديد يصبح ضروريا ليعبر عن شعورهم بالسخط و الغضب.
كانت الصحراء أمامنا، و على الجهة اليسرى بمسافة بدت (باسمان) و على الجهة اليمنى بحوالى ثلاثة أميال تقع سلاسل جبال (باجنج) و (جاشومال) و (باندى لاجى). فى هذا الجزء من رحلتنا كان «عبد الله» لا يجاوب على أى من الأسئلة إلا «بقافية» و «نعم» و إننى سأذكر إجابته على سؤالى عن الجبال. أثناء مقاطعتى له عند ما كان يغنى أغنية يبدو أنها طويلة على الفرنجيّين و عن الصيد و سألته «ما هى أسماء هذه الجبال على يميننا؟
فتقدم أمامى ببطء و هو يمتطى جمله و جاوب و هو يغنى:
هما كوه .. هما كوه .. جوستن كوهانى
... إيش باكينك .. و بند لاكى.
بعد حوالى ثلاثة أميال عبرنا جدول (جيه) الذى يتدفق جهة الشرق، و بعد ذلك مباشرة أدركنا قافلة من الحمير تحمل التبغ من (مهترآباد) إلى (بمبور) لقد كانوا فرحين. و أحد الشاب الذى كان يعزف على آلة موسيقية، خاطبنى باللغة الهندوستانية، فقد كان فى الهند فى (حيدرآباد) و فى (كراتشى). و عند ما سألته عن عمله قال فقط إنه «كام والا» أى «رجل كادح»، و كان الشباب جميعا يرتدون جوارب طويلة. بعد ثمانية أميال شاهدنا سلسلة جبال «لاشارى» الباهتة و ذلك خلال يومين من السفر إلى الجنوب الشرقى، و بعد أن مررنا بصف كبير من الحفر فى الأرض للوصول للماء كان على الجهة اليسرى نخيل التمر لبلدة (دارىآباد) و بعد ميلين

آخرين وسط الأشجار وصلنا إلى (مارى).
مائتان من النخيل فى هذا المكان، من هنا ملئنا مياهنا للرحلة من شق صغير محفور عبر الصخور على بعد بضع ياردات من جدول ماء غير عذب. فى هذا الوقت من السنة توجد مياه فى (لوكان شاه) و (جيشكوك) و لكن حيث أن سائقى الجمال التابعين لنا لم يسافروا على هذا الطريق من قبل فقد رتبنا أنا و «كولى» خطة لنمر فى أول مرحلة إلى (لوجان جاه).

إن الجنرال «جولد سميث» قد ذكر فى ملاحظاته عن (بلوشستان) بأن عددا من الشيعة يزورون هذه البلد السنية. و مع هذه المفارقات فى مثل هذه الحالة فإننى أعتقد بأن ذلك يعتمد على الوقائع الآتية:-

أولا: إنه من بلدة (جيشكواك) حتى الساحل لا شىء يعرف باسم دين الشيعة أو السنة إلا الاسم و بعض كلمات عربية.

ثانيا: لا يوجد أحد من الخمسمائة بلوشى يكلف نفسه ليعتقد فى أصل أى من الأضرحة (المزارات).

ثالثا: إن هذه الأضرحة ينظرون إليها على أنها طلاسم أو سحر مع مراعاة الشعائر و الطقوس و التى ربما تجلب الحظ، و لا تسبب أى أذى.

كذلك قد سمعت مناقشات عمّا إذا كانت كومة الحجارة هى لضريح أم لا. و فى مكان آخر ذكرت أن ديانة البلدة تقتصر على ثمانية أو عشرة أولاد و شباب فى كل بلدة تعتز بالملا. و الضريح الوحيد الذى صادفته كان للشيعة «لباى إى دولدولى على» و هو ينتسب إلى (فانوج).

بعد أن ألقيت علينا التحية العسكرية سرنا فى ممر مرصوف بالحصى إلى خيمة كبيرة، و كانت الخيمة فى غاية الجمال حائطها مغطى برسوم و شعارات بلون أحمر، مرورا بوسط الخيمة كان هناك مبنى مستطيل نصفه مغطى بالسجاد يستعمل كمتكا بينما النصف الأخر مغطى بالحرير و به بعض

الوسائد. حول عمود الخيمة تذكار عن الصيد، إنه حقا يبين براعة الفارسين فى العمل. و كنت على شوق أن أسأل عن ذلك التذكار، و عن أسلحة الفرس الجيدة حقا و ليس عن رداءة مثيلاتها.

كان «الخان» رجلا فارسا متعلما و كريما و كان مضيافا لى، حتى على مائدته الخاصه، و الحفاوة الطيبة التى لم أتوقعها منه بعد أن شاهدت هذا الحشد الطويل من المصلين عنده. وقتها كان شهر محرم يقترب و بعد ذلك لاحظت أن الفرس كالأتراك و الرومان الكاثوليك يقدرون قوة الدين لديهم كسلاح لأجل الناس. فى كل مكان من العراق كانت لهجة الأتراك منتشرة على النحو: نحن أولياء الله، «السلطان هو أمير المؤمنين». و نحن نعيش فى إسلام بول» (تعديل لإسطنبول) فكن حريصا فيما تقوم به تجاه قوم مثلنا مقربين إلى الله.

إن الفرس الذين يتكلمون مع الرجال هنا هم جهلة أكثر من رجال العراق و إشارتهم صارمة فى تمثيل الطقوس الخارجية لدياناتهم و العروض الكبيرة بمناسبة المهرجان . إن التحضير لشهر محرم مازال قائما و قد دعى «الخان» جميع البلوش للمشاهدة حتى الرجال الذين هددهم بالضرب الآن.

جلسنا نتحدث حتى المساء و كان حديثنا يشتمل على مواضيع كثيرة و متنوعة، و زوار جدد يصلون باستمرار، و قد سأل «الخان» ما إذا وجدنا أية علامات تشير لوجود مناجم فى رحلتنا، و خلال مناقشات عن سياسات (مكران) أراد أن يعطى انطباعا بأن جميع الشيوخ المنطقة تحت سيطرته، و هذا صحيح عدا قبائل الساحل التى هى تحت حكم (ميناب). بمحض

الصدفة حولت الشك إلى يقين حيث أكدت فعلاـ أننى كنت ظابطا مسئولا عن سلاح المدفعية، وزال هذا الشك عند ملاحضتهم للأزرار المعدنية الكبيرة التى فى معطفى. و بأنى قد حضرت إلى (فانوج) و كنت أقصد أن آخذ معى حقيبتى، عند ما سألت مسئول المدفعية ما إذا كان بالإمكان إحضار مدفع عبر هذا الطريق أم لا، فأجاب أنه من الممكن إذا كان صغيرا .. و هكذا لم يعد هناك أى شك بأنى كنت ظابطا سابقا.

عموما أستأنف قصتى عن رحلتى فى هذه الأرض عند منظر جبال الرمال الغير مألوف هنا فى هذا المكان، و قد علمت أولا أن

«كاتنخار» و «شاكول» التى حتى الآن أعتبرها مترادفة، فقد كانا جنسين مختلفين. و المسطحات الملحية هناك تغطى سطح الأرض حيث تجد عشب الصندل تحتها بكثافة منذ سبعة أيام فقط. و هذا الملح بالمعنى ليس ملحا حقيقيا بل إنه نترات الصودا.
كان من الصعب جدا ملاحقة الجمال ليشربوا الماء، حتى أخذ ثلاثة من الرجال يستعملون معها الأسلوب الخشن فى نفس الوقت.
كان «بارجة» يرتدى كنزة التجديف الخاصة بى ذات اللون القرمزى مع الكاب و الشال الخاصين بى أيضا اللّذين أحضرتهما من نادى لندن للتجديف. و كان «عبد الله» كالعادة يتعارك مع جمله و هو يرتدى فانيلة و عليها شال قرمزى اللون بينما عيناه الصغيرتان تلمعان تحت عمامة سوداء صوفية. لغته مع الجمل كانت غير عادية و كانت سلسلة من شتائمه فاحشة و بذيئة، هو بدون شك يجهل العربية و الأسماء المستحسنة بصدق فى الإسلام.
إن «كولى» يصّلى فى المزار، و «جلال» يجلس ساكنا يمضغ التمر و يرتدى الفانلة الصوف و سترة غطاء قرمزى. إننى أعتقد أنه ليست هناك أية مجموعة غير مألوفة قد سلكت هذه البقعة المهجورة المقفرة. إن الرجال فى كل مكان مهتمون بالملابس الإنجليزية حتى فى (بمبور) حيث توقعت
رحلة الكابتن فلوير، ص: ٩١
منهم أن يظهروا بملابسهم العادية، و لكنهم كانوا يمشون بمنتهى العظمة و هم راضون عن أنفسهم بتلك الملابس.
«كولى» الآن يحثّنا على الإسراع فى المشى حيث أنّ باقى المراحل كانت فوق التلال الرملية، و إننى بكل بساطة سوف أعطى ملخصات من مفكرتى لنستمتع معا بقرائتها. قائدنا الآن قلق على كيفية تدبير علف الجمال؛ لأن بعد موافقة سائقى الجمال بأن نسافر من أى مكان قد نمّر به، و لكن أيضا كان حماسى فى أن نسرع بمسيرتنا بقدر الإمكان.
تقدّمنا بسيرنا من (مارى) نحو الشرق تقريبا لحوالى ثلاثة عشر ميلا من (مسكوتان)، و قد مررنا بين جبال (ديربوم) المنخفضة و هى على بعد ثلاثة أميال على الجهة اليسرى، و من (كانوك) على بعد ثلاثة أميال على الجهة اليمنى. و كانت هناك فقط أشجار شائكة صغيرة. و بعد ثمانية عشر ميلا عبرنا جبال «جانجا» القاتمة و أرضها ذات اللون البنّى المغطاة بطبقة من الحصى الرملى، و هى تعطى شكل التلال البريطانية المحروثة جيدا. تلالها تمتاز بنباتات شوكية ذات أوراق جلدية و بكل نبات أربع أو خمس أوراق ميتة لونها أبيض جافة. و على بعد ٢٠ ميلا لجهة الشمال الشرقى كانت هناك تلال رملية. أما على جهتنا اليمنى فكانت تقع بلدة «لوجان جاه» حيث عندها توقف الرجال لقطع «لورتى» و لكننى دفعتهم حتى لا يفسح أى مجال للتساؤلات أو التلميح فى أى مكان نحن. و عند ما انضم إلينا «عبد الله» كان وجهه عابسا و قد ذهبت ابتسامته و مرحه لأنه وقع على قدميه أرضا من فوق ظهر جمله.
و على بعد ثمانية و ثلاثون ميلا على قمة جبل رملى عال بدت لنا قلعة (بمبور) على مسافة قريبة، و عندها بدأ التمرّد يظهر على «جلال» الذى يعلم سرّ اختراقنا بميلين آخرين للوصول إليها.
رحلة الكابتن فلوير، ص: ٩٢
و أثناء سيرنا لهذين الميلين، ترجل الرجال أربع مرات رافضين تماما التقدم أكثر؛ لذلك خيّمنا عند غروب الشمس. و قد تشاجرنا لأن الرجال يعلمون تماما المسافة الباقية للوصول لبلدة (جيشكواك) التى كانت فى الحقيقة على بعد ثلاثة خطوط رملية إلى الأمام. عموما، انتهى الموقف و نحن نضحك، فهم حقا رفقاء جيدين. هذا و إننا قد وفّرنا كمية من علف الجمال فى هذا المكان المقفر، حيث لا يوجد إلا نبات (البيتو) و سيصبح الوقت ليلا مباشرة بعد وصولنا. تلك الليلة كانت شديدة البرودة، و فى صباح اليوم التالى نهضنا مبكرين و أخذنا نمشى بثقل فى أعلى الجبال الرملية حتى وصلنا إلى (جيشكواك)، التى كانت تظهر كمدينة على خارطة(Pottinger) و كانت لا تبرز أيه علامة من أى نوع. إن هذا الاسم يشتمل بكل بساطة مكانا من الجبال

الرملية حيث تتراكم مياه الأمطار لمدة طويلة مما يحيّر (اللاشاريين).
بدو البلدة الذين من حين لآخر يلجأون إلى بسط خيمهم المصنوعة من صوف الغنم أثناء سيرنا. توقفنا أربع أو خمس مرات لنقدم العلف للجمال، و هنا مررنا بقوافل من الجمال حيث كان المسافرون عليها نائمون على الأرض، و هذه الحقيقة كان يشير إليها سائقوا الجمال خاصة قبل أن تنتهى رحلتنا التى تخللها فصلا مضحكا ضدى، فقد صادف دائما كلما مررنا بقافلة نرى المسافرين فيها نائمين و حسب رأى سائقى جمالنا، يلزم علينا أن ننام مثلهم.
بعد أن سرنا أكثر لمسافة ميلين على الرمال العميقة بعد (جيشكواك) توقفنا على قمة جبل عال و رأينا فى الجانب الشمالى الغربى حزاما من

الأشجار الخضراء التى كنا نرى بينها قلاع (قاسمآباد) و (بمبور)، و قد كان الطريق هنا منقسما فأخذنا سيرنا على طريق (بمبور) حيث كانت الجبال الحجرية و السهول الكثيرة. بعد ستة أميال و خلال الطريق بين (قاسمآباد) و (أسبهكه) تقابلنا مع قافلة من الحمير تحمل الحبوب و القمح من (بمبور) و كان بصحبة تلك القافلة رجل أنيق يمتطى جاموسا. بعد ستة أميال من (أسبهكه) رأينا حزاما من الأشجار التى قطعنا منها حطب الوقود. كان عرض حزام الأشجار حوالى ميلين بمحاذاة نهر غير عميق كان يتدفق من الغرب إلى نصفه، فعبرناه حتى وجدنا أنفسنا فى قناة للرّى فأيقنا أن مياه هذه القناة سترشدنا إلى (قاسيمآباد). و كان هناك على طول ضفة النهر من الجهة الشمالية أكواخا صغيرة من القش بنيت من عيدان الأرز و تبدو فى حالة جميلة و نظيفة، أما الأشجار بجانبها فقد قطعت فبدت ضعيفة. ما زلنا سائرين إلى الشمال الشرقى حتى بلغنا أرضا واسعة صالحة للزراعة و التى بعد شهرين ستزرع بالأرز. بمرورنا هذا المكان اقتربنا من قلعة (بمبور)، و بعد ذلك سرنا فى مكان منحدر أوصلنا إلى فناء المحكمة فأفرغنا الحمولة حتى الظهيرة تحت شجرة الكونار، و قد شعرنا بالفرح عند سماعنا لغة طهران الفارسية بعد اللغة البلوشية الغير جيدة و التى ستكون الشيء الذى سوف لا أنساه.
كان «الخان» نائما عند ما وصلت و لكن «الماجور» قد أدخلنى غرفة كبيرة من فناء واسع، تحيط بها المساكن، المطبخ، و مخزن الغلة التى تدرس بها الغلة و بجانبها برميل الماء. كان جانب من الغرفة مفروش بالسجاد و قد التقيت ببعض المسؤولين الذين تعجبوا من لغتى الفارسية عند ما فقدت غليونى و طلبت منهم غليونا بلغتهم. كان الجنود يرتدون ثيابا منظمة و نظيفة و قد حيّرهم زيارتى أخذت خصوصيتى و استحممت لبست بدلة ملكية تتكون من بزة بيضاء، سروالا، قميصا نظيفا، و طربوشا و حزاء

واسعا، و كان «الخان» يمشى بعد أن رافقنى الحرس إلى مسكن بموكب كبير. و عند ما بلغنا هذا المكان كانت هناك ثلاث حدائق مجاورة للقلعة.
إنه بدون شك كنت مسؤولا و لكنه غير مصرّح لى أن أدخل إلى القلعة أو أرى البنادق. على كل حال إننى قد تعلمت من قائد الموكب الذى رافقنى من مكان إقامتى حتى خيمة الخان الكثير من الأشياء. و لم يكن ثابتا لى أن الجبل الذى بنيت عليه القلعة هو أجوف، حيث أن هناك احتمالات عن حفر بممرات سرية تحت سطح الأرض. لقد دعى الخان خمسة أو أربعة من الأشخاص المحترمين لتناول الغداء، على كل حال فقد كانت هذه الليلة ليلة جميلة. و كان الخان قبل العشاء يحاول أن يعرف ما إذا كان لدىّ بيرة أو براندى، و قد أدركت بأن ماء الشعير يعنى البيرة. و كان تأكيدى له بأننى فى البلاد التى تدين بالإسلام لا أستعمل الخمر أبدا، فقدّم لى زجاجة تحتوى على شراب كحولى التى صنعها هو بنفسه من التمر و حفظها للمرضى. و فى «بنوج» كنت قد سمعت كثيرا عن فرقة «بمبور» الموسيقية العسكرية، و لكن هنا لم أسمع أى شيء عنها، و لا حتى عن البوق الذى ذكر

عنه الجنرال «غولد سميث».

«بمبور» بلدة كبيرة فيها قلعة مبنية بناءا جيدا من الطين تتوج قمة الجبل، و هى على بعد ثلاثة أميال شمال النهر، و على طول حافة النهر توجد حوالى مائتان من عشب سيقان نبات الأرز و هى الشىء المهم فى المنطقة، و إلى جهة الجنوب من هنا معسكر الجنود، الذين كانوا يسكنون فى الخيام و بين جزء من عيدان نبات الأرز. إنهم يعملون فى الحقل كعمال باليومية، و كذلك كان أكثر الجنود من الفرس. و الحقيقة التى كانت ظاهرة هى أنّ مجموعة من الجنود الترك كانوا متواجدين فى المكان الذى خيّمنا فيه.

أيضا كان هنا مائتان من رجال المدفعية و تسعة مدافع و مائة جندى من المشاة. و كانوا يعملون بالمياومة فى الحقول للزراعة خلال النهار- و هذا ما

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٩٥

يقوم به الجنود الفرس هنا- و هذا ما كان يذكره الأتراك فى المكان الذى كنت فى فترة سابقة به بكل إزدراء عن هذا الأمر. و لكن فى حقيقة الأمر أن هؤلاء (الجنود الأترك) كانوا يلجأون للسرقة لأنه لم يكن تدفع لهم المعاشات.

و قد كان هناك فى هذا المكان حوالى مائتان من رجال المدفعية و تسع مدافع و مائة من الجنود المشاة. و كان الجيش مجهزا بالبنادق. أما سائقى الجمال فكانوا سابقا يكرهون (القاجار) و لكن فجأة تحول كرههم إلى انبهار كبير. إننى أرى أن مهمة حاكم (الخان) جمع الضريبة الخاصة به و كذلك تهدئة مشاكل البلوش، و قد نظّم على أن تكون الزراعة بجانب قلعته، و أعطى الحبوب إلى المزارعين الصغار. و مهما يكن الموسم يحدّد الفائدة منه. كان المزارع يحتّج بأنه يزرع البذور و لكنها لا تنمو بينما قد ذكر (الخان) رأيه بوضوح أن الفلّاح قد خبأ القمح. حسب خبرتى الزراعية فى هذه البلدة بأن الرجال الذين سيبذرون الأرض، إذا لم يراقبوا فإنهم يخفون كمية كبيرة منها فى الحفر. كذلك اشتكى رجال سلاح المدفعية حيث أنهم قد وجدوا أنه من المستحيل أن يجدوا علفا لخيلهم، و أن (الخان) كالعادة مع الآخرين قد اشتكى عن تأخرهم فى الدفع، و قد قرأ رسالة من «الأمير هوتى» يقول فيها إن (الخان) قد جمع (٧٠٠) تومان و سيرسلها قريبا. و كنت هنا قد لا حظت أن شجر النبق هو أفضل ما رأيت حتى الآن.

كان هناك أيضا طاحونة عجيبة للقمح فى الفناء الذى به سكنى، إنها تحتوى على قرص طوله إثنى عشر قدما يرتكز على قاعدة طولها ثلاثة أقدام فى إحدى الجوانب. كان الرجل الموكل بها يقف بجانب الطاحونة

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٩٦

يرفع المدقة الثقيلة إلى الهواء و عند ما يقفز من عليها تنزل إلى أسفل بقوة حفرة على الأرض. بعدها يوضع القمح الذى دقّ أولا بالطاحونة لتقوم بعض النساء البلوش بدقه ثانية و نقله.

بعد أن عبرنا النهر و وجدت غليونى بواسطة امرأة من القرى، وقفنا لبضع دقائق ربما أرتدى جلد حيوان الطوبين الذى كان (جلال) يحمله على يديه. و إنه حسب المتبع كل قد قام بغسله عند ما وصلنا إلى «بمبور» و خبأته و خبأهم فى حفرة مظلمة فى الحائط و كانت مبتلّة.

إن هذه الواقعة قد أغضبتنى كثيرا. فهذا الأسلوب قد بيّن غباء ذلك الرجل العجوز. نحن الآن نعبر قنوات كثيرة. بعض الجمال تقفز و تستمر فى القفز إلاـ إذا ربطت أقدامها و وضع العقال فى الخلف على ذيلها. سمعت بعد ذلك صوتا مرتجفا يصيح «صاحب، صاحب» هذه الجمال لا بد من ربط أقدانها»، عند ما التفت حولى وجدت رجلا مسنا يرقد خلف ظهر الجمال و يجز الصوف من على أجسامها من وسط السرج حتى الذيل. كان ليلا كئيبا مع ريح باردة تهب أحيانا، و قد مررنا على أشجار القطن

و وصلنا إلى «كالات قاسم‌آباد». لقد لا حظت أن اللغة الفارسية هنا عامة أكثر من اللغة البلوشية، و لا أحد هنا يحاول أن ينطق العربية الصحيحة مثل ما فى «كالات».

يبدو المكان شتوى و معزول و سكانه القليلون تبدو عليهم الكآبة، و من شدة البرد يرتدون ملابس خشنة بدون أكمام. كان الرئيس عبد من عبيد محافظ «بمبور». على كل حال نجح (جلال) فى إخفاء الرجل المرافق لنا الذى أرسله معنا الخان. بدأت الريح تعصف من الشمال مباشرة من جبال (باشحان) المغطاة بالثلوج بالرغم من النار المشتعلة للتدفئة و الكوخ الذى نمنا به تلك الليلة. ثم سمعنا صوت كسر صندوق صغير و أصدقاءنا لم يسمحوا لنا بأخذ أى حليب لنشربه، و لكننا قد اكتشفنا فى الصباح أن بيتنا المريح هذا قد أفرغ من المرضى لتوه. عند ما أردنا أن نبدأ أوضحت

للرجل المسؤول «بأننى أتمنى أن لا أكون قد أزعجت أى شخص بدخولى لهذا الكوخ. لا أبدا قال «إنهم قد ماتوا جميعا» و قلت «الصندوق الصغير» نعم قال «لقد أرسله الله».

كان الجو باردا للغاية تلك الليلة و إذا كنا الآن فى لندن إنه بدون شك ذلك الشيء الأبيض الذى بدأ يظهر هو الثلج. لقد شققنا طريقنا و عبرنا الصحراء إلى (قاسم‌آباد) حيث كان غدير المياه مغطى بطبقة من الثلج و لم يعد الجو طبيعيا.

لقد قيل لنا بأنه يوجد الكثير من الجمال هنا، و لكننا لم نرى أى شيء، كذلك لم أرى أى جمال ترعى و تأكل العشب. غالبا معظم الأشياء تحمّل بواسطة البقر، و أطفال صغار، و قد شاهدنا طفلا صغيرا على ظهر بقرة ترعى فى أعلى الجبل. و هو يبكى بشدة. و قد تركها صاحبها بعض الوقت لإنهاء بعض الأعمال على الجبل.

كان (لجلال) لقاء مع (الخان) الذى حثه على زيادة التناسل فى عائلته، فقد ذكر عن تجربة دوائية، و من خلال الحديث عن عظمة (الخان) و ذكاءه العجيب، و أصبح مهتما لأن يرسل له. وصل الرجل العجوز فحيّاه و هو يبتسم برفع يديه إلى رأسه و قال «خوش آماديد خان» (أهلا و سهلا بك)، رجع (الخان) إلى الخلف و تلعثم و قال «و أنت أيضا أهلا و سهلا بك»، و قد قدّم له الخدم الشاى و الغليون. إن هذه المجاملة (لجلال) كانت مفهومة جيدا و هى فى الحقيقة تعنى أن يكف (جلال) كلامه عن (بمبور)، و ميرزا «حسين خان» الذى تبلغ عدد خيوله (٠٠٠، ٩) خيل. فى الحقيقة إن نوع الأحاديث التى دارت بينى و بين (الخان) كانت على نحو «أنا قلت له» «و هو قال لى». فى اليوم التالى و هو أول محرم صمّمت على أن أرحل فى المساء حيث أننى ليس لدىّ رغبة فى أن أحضر الاحتفال الدينى فى العشرة أيام الأولى من هذا الشهر.

كان سائقوا الجمال فى اليوم التالى سعداء للسفر مبكرا، و قد قاموا بشراء سجاد، و أحذية، و جميع الأشياء اللازمة التجارة، و قد وجدوا أن الأحذية هى الشيء الوحيد الذى يمكن العثور عليه. لقد قررنا أيضا أن نذبح شاة لدى وصولنا، و لكن الماشية هنا غالية الثمن فقررنا أن نؤجل الأضحية. فى صباح يوم ٢٨ سرت مسافة من القلعة لرسمها و كان بصحبتى «جلال». و فى طريق عودتى إلى (بيد) كان «الخان» مشغولا بالنظر إلى محفظة الأوراق الخاصة بى، يبحث عن خرائط للأرض. و بعد وداع ودى اتجهنا إلى الغرب و جلسنا بين حزام الأشجار فى (كاسيماباد). إن مرشدنا «دومو» رفض أن يأخذ البقشيش بينما خان العجوز المتكلم عند ما منحوه دولارا قال إنه قليل. لقد أعطانى «الخان» رجلا مرافقا يدعى «وفاد» ليرافقنا فى الرحلة إلى الشيوخ و لإمدادى بأى شيئ أحتاجه حتى الثانية بعد الظهر.

فى الساعة الرابعة بعد أن سرنا مسرعين بالجمال، و كانت الجمال هائجة فى ذلك الوقت وصلنا إلى (لوشان جاها) و هو ليس إلا مكان فى الصحراء به بئر ماء و بعض الأشجار التى لا تنمو و وجدنا هناك بعض (اللاشاريين) مخيمون بجمالهم. و لكننا وجدنا

صعوبة فى بداية الأمر؛ لأننا كنا نقيم فى الأكواخ الخاصة بهم، حيث أن قوانين الضيافة تتطلب منهم أن يذبحوا لنا شاه. على أية حال إننا قد قبلنا منهم كيسا من الجلد يوضع به الحليب، و قمنا بشراء شاه بدولار. إن (اللاشاريين) قد أخذوا معهم الشاة و ذهبوا بها بعيدا ليأكلوها مع عوائلهم بالإضافة إلى أنهم قد أكلوا معنا بقدر طاقتهم، بعد أن انتهينا من الطعام قاموا بإشعال النار، و قد ذبح الشاة بسرعة بجانب الخيمة بغير الدعاء المعتاد عند الذبح. ثم بدأ الرجال فى سلخ الشاة بالطريقة العادية و لكنهم كانوا متشوقين لأكل اللحم، و ذلك قد انعكس على عدم تجهيز جلد الشاة لأخذه معهم، فقد مزقوه قطعا صغيرة. و ما أن ظهر اللحم أخذوا يتدافقون على النار لشوى هذا اللحم، و هكذا انشغلت أسنانهم بأكل اللحم المشوى أما الأحشاء فقد أعطيت (للاشاريين) و قد

التفوا حول النار ليأخذ كل منهم حصته من اللحم الغير مطهى و بعضهم يقرض العظم بعنف بقوة محمومة و فظيعة.

و بعد مدة أخذ اثنان منهم يأكلان كل ما تبقى منا بعد أن فرغنا من طعامنا. أما نصيبى من الكبد فقد قمت بشيه مع قطعة من دهن الذيل.

و كان «جلال» تقريبا بدون أسنان، و لكن الشىء الذى كتبته مسبقا بخصوص تمثيل «كولى» الممتاز، و الفكرة الغير واضحة عن المخطط، التى قررتها من الغول «عبد الله» و «بارجا». لقد وقع «عبد الله» للمرة الثانية من على ظهر جمله مما أعاق ذهابه إلى البئر لجلب الماء على بعد ميل من هنا.

حقا إنه كان خائفا هذه المرة و إنه قد قرر أن يكتم شعوره فى هذا العشاء الفخم.

إن (اللاشار) قوم نحيلون و لكنهم أقوياء كل منهم كان يرتدى «خنجر» من جانب واحد من حزامه و مجموعة أدوات من الجانب الآخر.

عند ما سألنا من رئيس (اللاشاريين) أجابوا بأن هناك عدة رؤساء و لكن الأفضل هو «الأمير هوتى» حاكم (بيف) مسافة يومين نحو الجنوب الشرقى. لقد قالوا أنهم دائما يصلون إلى (شابهار) على الساحل أحد الرجال باع لى بدلة ثمنها ستة كران كان لتوه قد أكملها. نسيجها من الصنف الردىء الخشن و بدون أزرار على الأكمام و شكلها غير مناسب.

هؤلاء الرجال قد أوقفوا بعض الجمال التى يمكنها أن تأكل أى نوع من العلف، ولديهم أيضا حمير صغيرة، و أغنام و مواشى. إنهم دائما يأخذون هذه الحيوانات معهم ربما يجدوا قش يابس و يحملون معهم القطع الصغيرة من القماش و يثبتونها على العصى و يستعملونها كخيم. فى صباح اليوم

التالى كان غطائى مثلجا و الزرع كان متجمدا و لا يذوب عنه الثلج طيلة اليوم.

كان المتبقى من شاة الأمس، الرأس و الأرجل فقط، و حتى الأحشاء لم ترمى. قبل أن نترك الخيمة بقليل رأينا قطيعان من المواشى، و الماعز حوالى ستمائة، و قد مروا من أمامنا بحثا عن الطعام. إننى قد ذكرت هنا أن السكان عند ما يقومون بشراء المواشى أساسا ينظرون إلى قوة الشاة بالنسبة للعلف الذى معهم. إذ شاهد الشارى قطعان من المواشى تأكل فى مكان به قليل من العشب فإنه سيلاحظ بأن هذه الحشائش قليلة. و آخرون يطعمون مواشيهم فى الفضاء و هم فى تشوق لأن يروا فى الرقعة المكشوفة عشب للمواشى.

الآن قد تفاجأ أن قافلة (اللاشاريين) قد بدّلوا مكان إقامتهم. فقد كانت القافلة تتكون من حمير و رجال و نساء كثيرات، و لكنهم منتشرون على خط حوالى خمسة أميال. أول من قابلناهم اثنين من النساء يرتديان ملابس رجال بالية من البفتة أمامهم حمارا

وحيدا لا يقوى على المشى بسبب الرملة التى على ظهره. و بعد ذلك حمارا آخر محمّلا بخشب الخيام و أوانى الطبخ و بعض من الرجال و هكذا حتى بلغنا آخر القافلة.
إن الثعالب فى هذا المكان كثيرة و قد رأينا ما لا يقل عن ثمانية.
بعد ذلك مررنا على (مارى) المكان الذى جمع فيه «كولى» كمية من التمر و سار سريعا حتى (ماسكوتان) و هنا كان «كولى» مسرورا مع مجموعة دولاراته. لقد خيمنا على بعد خمسة أميال من (بنوج) و كان الرجال ساخطون للغاية بسبب الخمس أميال الباقية، و لكنه من الواضح أنه ستكون هناك عاصفة ثلجية ربما أحتاج إلى طعامهم الخفيف لم يخففوا غضبهم كالعادة كانوا ينذرونى بأننى لن أسوق الجمال غدا إلى (بنوج) و هذا يعنى أنه علىّ أن أسير المسافة المتبقية أربعة أو ثلاثة أميال إلى

(بنوج) المكان الذى يمكن أن أجد فيه جمالا قوية.
عند ما نهضنا من النوم فى اليوم التالى كنا مكسوون بالثلج، و نجلس تحت أشجار (البير)، الآن هناك سرب من طيور (الكولاكس) الصغيرة، و كان تغريد البلبل جميلا. و قد تخيلت صورة صف من طيور صغيرة تعشش مع بعضها فى غصن مكسو بالثلج، و كانت هذه الطيور لا تستطيع النهوض بسبب البرد القارس. و تغريد هذه الطيور كان عبارة عن زغردة طويلة تبدأ من أعلى النوتة إلى أسفلها و كل نوتة تنقسم إلى ثلاثة أقسام كما تخيلتها. بعد ساعات من التغريد تبدأ فى اصطياد طعامها.
إن «عبد الله» و «بارجى» ما زالا متجمدين و لكن أمام النار كانت هناك كومة ثانية تحترق بلا دخان فى الرماد. إننى قد عرفت من خبرتى أنها رأس الضأن التى بدت و كأنها قطعت الآن من الشاة و إنها مدفونة فى رماد النار و الرماد مدفون فى الرمل. كان الطعام يعد فى الليل و لكنه فى النهاية لذيذ الطعم، يظهر أن أحدا قد نادى على جلال و أبدى ملاحظاته الشائنة عن قذارة البلدة.
لم نتمكن من السير حتى تتوقف العاصفة الثلجية، حسب البوصلة، فالثلج سيستمر لمدة ثلاثة أيام و ربما تموت الجمال. لقد خففت ملابسى و بدأنا فى السير حوالى الساعة التاسعة و النصف و كانت الريح الشمالية قد أذابت الثلج و أصبح البرد غير محتمل و أصابعى المكشوفة قد تجمدت تماما.
بعد أربعة أميال مررنا بقافلة تستظل تحت شجر (البيش) أو (القش)، و قد قرر رجالى فورا أن نتوقف لكن أنا و «جلال» و أنا تابعنا سيرنا فوجدوا أنفسهم خلفنا، أما سائقوا الجمال فقد لحقوا بنا. و للمرة الثانية توقف رجالى و هذه المرة قلت بأننى سأتركهم و أذهب، و حيث أنهم رفضوا أن

يعطونى جملا، قررت أن أمشى. و مرة أخرى ذهب معى «عبد الله» و كان يضحك و هو غاضب يقول أنهم سيأتون وراءنا. و قد كان سرجى هذه المرة عليه طبقة سميكة من الثلج لأننى قد اخترقت أخدودا طويلا من الثلج المجمد.
بعد ثلاثة أميال أخرى نزل «بارجة» من خلف «عبد الله» تحت شجر (البيش) كان كومة من الأغطية، فقد قام «عبد الله» بسلوكه البطولى بأن ترك أخاه و لحق بى. حقا إنها عاصفة ثلجية عنيفة و لإعطاء فكرة عن البرودة فقد شعرت بأن فخذى الأيمن قد تجمّع عليه الثلج و تجمّد و قد تقشر الجلد من عليه، كان ذلك خلال الأيام الثلاثة التالية.
بعد ساعة أخرى توجهنا إلى الجنوب و كان الجوّ أفضل من السابق.
و بعد حوالى ٢ ميل من (بنوج) توقفت الريح و أشرقت الشمس فتوقفنا و أشعلنا النار، و كان معنا بارجة و مزحنا معه ثم أكلنا بعض اللحم و التمر.
و قد تابعنا سيرنا تقريبا حوالى ميل واحد بطول الطريق. بعدها كانت هناك أرض واسعة و بيت مبنى من الطوب الأبيض فتبين

بأنه مسجد. بكل دقة ألقيت نظرة على المنطقة فوجدت دوائر مخططة، و حسب توقعاتى كانت تلك الدوائر قد رسمها الملّا بمناسبة شهر محرم، و قد قالوا بأنه فعلا كذلك، لم يكونوا مهتمين بالأمر و إننى قد ذكرت سابقا أن الدين فى هذه المنطقة محدّد «بالملّا» و الشباب فى المدينة.

لقد كان «شاكر خان» غائبا فى (جيه) و قد أرسل رجاله عشاء طيبا و لكن كمية بسيطة. و قد كان الرقاق المصنوع من الأرز هو من أطيب الطعام. إننى قد بدأت ثانية علاوة على البرد الذى مررنا به أن نصادفنا صعوبات أخرى، لذلك فقد نهضت فى اليوم التالى قبل ساعتين من شروق الشمس و أخبرت «جلال» بأن يوقد النار. و كان فى الخارج حاجزا بالعرض ليعلّق عليه قرب الماء للمنازل المختلفة و كانت صلبة مثل

الحجارة مع قطعة جلد بطول ٢ قدم لتعلق عليها.

على كل حال إنّ الرجال الآن مطيعين، و كان «بارجة» خجولاـ و قد قلت ل «عبد الله» ربما يترك الغطاء الأحمر الذى عليه كهدية.

كان الرجال قد بدأوا المسير فى شروق الشمس، و قد تركتهم قبل نصف ساعة لأخذ خارطة الطريق، و سرت تحت غابات من شجر النخيل و تعجبت أن أرى المستنقع وسط عيون للماء لا تعد و التى تنبع من الجبل إلى النهر.

إن فى هذا الفصل البارد يتصاعد البخار دائما حول مدخل الطريق.

و الثلاث أو الأربع أميال الأولى كانت ظلماء و باردة و قد عرضنا بين الجبال. إن الممّر الذى نحن به الآن كان كما مررنا به من قبل و لكنه قد فقد الكثير من جماله المتوحشة، فالجبال كانت يابسة، و نفس الألوان اللامعة كانت هناك. ثم سرنا بسرعة، و فى حوالى الساعة الرابعة عصرا خيّمنا، و ذهب صلاح الآن لتحضير الطعام و الطبّاخ البرتغالى كان يراقبه محاولة منه ليقوم بعمل شيء من الطعام.

جميع الرجال فرحين مبتهجين بى، و بنجاحى فى الرحلة خلال التسعة أيام، إن «عبد الله» المسكين كان يقبّل يداى و هو يقول: «شارين أتاكى شارين أتاجى» «إنك أثبت ذلك لوحدك و هذا جيّد».

إن الوقت يمر ثقيلاـ معهم و كل واحد قال إن «صاحب» مجنون، و سائقى الجمال لم ينكرو هذا القول، و هكذا إنها وعود، و وعدتم الاتفاق عليه تحت الصعوبات، الآن كل شيء فى الخيمة منظم، و نظيف.

إن الإجراءات الأولى هى أن أخلع ملابسى و أضعها للفحص مع ملابس الرجال، جميع الرجال و الجمال كانوا على أحسن حال ما عدا «عبد الله» المسكين، حيث أن درجة حرارته كانت مرتفعة و قد أعطيناه عشرة جرعات

من مادة الكيناء. أما «عبد الله الآخر» و «بارجة» فقد كانوا عطوفين. بعد ذلك ذهبت إلى سريرى لأنام و قد نجحنا فى تلك الرحلة و نتائجها، و أشعر أننى قد عدت إلى بيتى أخيرا. قبل أن أنام ذكرت فى مذكرتى الطباخ و «جوزى»، أو «جوجى»- كما ينطقها البلوش- الذى كان يأبى أن يتعلم لغة البلوش و كان قصير القامة ممتلئ الجسم قصير التنفس و كان منظره و هو قادم من رحلة طويلة يرثى له. فقد كان كقديس أو ولى من أولياء الله، لقد سمعته يتكلم مع سائقى الجمال بالهندوستانى و يشرح لهم عن «سانت فرانسيس» الذى يمشى تحت الأرض و هو يسخط، و من المتوقع أن يصعد إلى أعلى ليسأل لماذا هو الآن لا يقوم بعمله.

و كان أيضا يشرح لهم أى اعتذار قد قدم إلى قداسته، كاعتذار عن حالة الفسق و الهمجية من البشر المحيطين به، بدون شك إن كل هذا لم يكن مفهوما لديهم.

اللیلة و بینما کنت أحاول أن أنام سمعت صوته خارجا و هو یتکلم بالهندوستانی و یلاطف شخصا لا أعرفه یتوسل بقوة: «تعال إلی هنا و لنذهب إلی البیت کأصدقاء» «کیف لک أن تتصرف هکذا، ألا تعرف أنها بلد بربریة ملیئة بالحیوانات المتوحشة. کیف لک أن تترکنی هکذا و تعلم أننی أرید أن أنام.

إننی قد استغربت لسماع هذا الحدیث و لکننی أعلم أنه لا یوجد أحد فی المخیّم یتکلم أو یفهم اللغة الهندوستانیة غیری أنا، فکان عندی حب الاستطلاع و نظرت من باب الخیمة لأری ما یجری خارجا. کان «جوزی» یضع الطیور فی قفص صغیر یمکن نقله و کان دائما یحب القنص، و کنت أقول بأن «جوزی» قوی، المهم أنه قد أمسک بها جمیعا ما عدا الدیک لأنه کان یطارده و قد صعد لأعلی الخیمة و حاول أن یلاطف الدیک لینزل من أعلی الخیمة و کان کلامه غیر فعّال و أخذ یزجره بعصاه القصیرة.

رحلة الکابتن فلویر، ص: ۱۰۵

الجزء الرابع: [العودة إلی جاسک – المرور من هون و هیمن]

إن البلوش لیس لدیهم مقیاس للمسافات. فی القری المعروفة التی تبعد اثنان أو ثلاثة أمیال عن بعضها تستعمل لقیاس المقارنة. إن الطریق الجدید الذی وصف لنا کان أبعد من (جاسک) إلی (یکدار) و لیس بعیدا کالمسافة ذاتها من «گیگن» إلی (حشدان). و إذا سألت أحد البلوش سیحاول أولا أن یصف الطریق حسب قاعدته هکذا قائلا: سیلف ببطء و یواجه الاتجاه و إذا کان بعیدا جدا سیقف علی جبل رملی صغیر و یؤشر بیدیه و یقول «أووووه» هناک.

رحلة الکابتن فلویر، ص: ۱۰۷

فی صباح الیوم التالی کان یجب أن أقوم بعمل تفتیشی دقیق .. «غلام شاه» و «جلال» کانا علی قائمة الاتهام، و مع کوننا أصدقاء- و لکن یجب الحفاظ علی النظام، کما یقول السید «باکنیت» .

إستولی علی «غلام شاه» هوّس لأنه قد اقترض من جمیع سائقی الجمال نقودا و قام بشراء بنادق، سیوف، و دروع، و قد أمرته إذا لم یتخلص من هذه الأشیاء فإنه سیحرم من مرافقتنا، أما جلال العجوز فقد قمت بتأنیبه عمل غیر مقبول لأنه استخدم إسمی فی طرق غیر صحیحة، و قمت بتنحیته إلی رتبة أقل للتعامل مع (الجمّالین) و یأتی یالشای و السکر.

کان الجو باردا و لکنه لم یکن کأول الطریق، و قد بدأنا الاتجاه إلی (جاسک) فی الیوم التالی. کان علی «جانکی» أن یحضر حطبا و ماء للمعسکر و قد أمر أیضا بأن یحضر جمیع الجمال. لقد سمعنا الکثیر عن

رحلة الکابتن فلویر، ص: ۱۰۸

قافلة الفرس الغجر الذین قد طردوا مؤخرا من (بنت) حیث أنهم کانوا یسرقون و قد ذهبوا إلی (جاسک). إن قوافل الغجر هذه قد عرفت فی المنطقة بالبراعة فی الخداع، و کانوا دائما میسوری الحال، و لیس بفترة بعیدة قام مأمور السند من (کراتشی) بإرسال حوالی أربعمائة متشرّد منهم وصلوا إلی (جاسک).

إن «الأمیر حاجی» کان ما یزال فی (گیه) و لکن وزیره (کریم شاه) قد أمر من قبله لامدادنا باحتیاجاتنا. فقد طلبنا مرشدا لطریق (غابریغ) إلی البحر و خمسین (مّنا) من أرز (بنت).

إن أرز (بنت) کان فی الأعوام الماضیة له نکهة القمح و کان أفضل عند ما کان یستورد من الهند و یخلط معه الحامض لیحفظه من التسوّس.

و کان الأرز جاهزا فی تلک اللیلة و أیضا کل شیء. و لکن المرشدین لم یأتوا و لکنهم قد أکدوا أنهم سیکونوا فی المعسکر قبل شروق الشمس فی الیوم التالی.

على كل حال كان علينا أن نترك أحدا هنا.
إن «غلام» شاه المسكين قد أتى إلى الخيمة فى هذه الليلة و قال بصوت مضطرب إنه متأسف؛ لتركى له يرحل عنا، و شرح الأمر كالتالى: حينما كنت فى (بمبور) كان مخيمنا كئيبا، و كان «صالح» يقرأ القصص الفارسية و لم يقصّر فى روايتها فى الوقت الذى كانت فيه معرفته باللغة الفارسية قليلة كما تبين عند قدوم ال «مهدى».
إن هذا ال «مهدى» كان شخصا صغير السن و مرحا و مغنّيا كبيرا و يلعب على المزمار. بالإضافة إلى أنه سعيد الحظ و كان لامعا، كما يقولون فى (بومباى) «النصّاب الأوروبى».
و قد كان غشاشا مهذبا، ليس فقط استعار ملابس «غلام شاه» و لكنه
رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٠٩
أقنعه بشراء ما سبق ذكره، و الذى استلم عنه عمولة. على كل حال كنت عند ما أحدّد الأمر الذى ذكرته سابقا صبّر ذلك مهدى أولا ثم بعد ذلك أخذ «غلام شاه» فى يده و أقسم بأنه سيزوجه شقيقته.
فى صباح اليوم التالى نهضنا مبكرين، و لكننا تأخرنا حيث أنه بدون شك يجب تنظيم الأشياء؛ لأن المشكلة المذكورة قد استمرت حتى الساعة العاشرة. و قبل أن نبدأ رحلتنا عرّج المرشدون إلى أعلى و كان هناك «مهدى» و «غلام شاه». إن الوزير «كريم شاه» المسؤول قد تأخر، على كل حال رجالى كانوا جيدين و كان ليس لديهم مانع من أخذ المرشدين معنا، إننا فعلا قد تأخرنا و لكننى قد قررت أن أتجه إلى(Pasgah) لذلك أعطيت جمالى ل «عبد الله» الذى كان لا يزال مريضا و سرت نحو القافلة بعصا طويلة بعد أن حملناه بخفة سرنا مسرعين لأعلى حوالى ثلاثة أميال فى الساعة.
بعد أن عبرنا (زانجوتان) أخذنا طريقا أكثر إلى الشرق، و وصلنا إلى بلدة (جارى داراب) إن الصديق الغدّار لغلام شاه قد تركه ليأتى ببعض التمويل للرحلة من الأكواخ المجاورة و لكننا لم نره.
و قد كان يرتدى فى ذلك الوقت جاكيتا و قميصا و سروالا و يحمل بندقية و سيف.
و أصبح «غلام شاه» محرجا بسبب هذا الأمر، و طوال المرحلتين فى رحلتنا كان خجولا و يرفض كل أكل يقدم له و لا يقترب حتى من جمله المفضل «جوجى».
بعد يومين عفيت عنهم جميعا، فأعيدا «جلال» و «غلام شاه» إلى عملهما. فتابعنا طريقنا السابق إلى بلدة (بازجا) و للآن لم تظهر الأنهار.
و وجدنا أنفسنا نسافر على أرض لا بأس بها و لا يوجد بها شىء جديد.
رحلة الكابتن فلوير، ص: ١١٠
و رحلنا إلى معسكرنا القديم قبل ساعة من غروب الشمس و أمرت الرجال بتثبيت الخيمة لأنهم تعاركوا على ما يتعلق بحمولتنا.
فى اليوم التالى و قبل غروب الشمس حاول «رمضان» أحد المرافقين الغير متمكنيين معنا أن يضع بعض الصعوبات على طريق رحلتنا التى هى من بين جبال غير معروفة بدون مرشد، و لكن من استفساراتى و استخدامى للبوصلة تأكدت أنه من الممكن أن أجد طريق (غابريغ)؛ لذلك واصلنا سيرنا بصحبة «جلال» و حماره العزيز. بعد سيرنا حوالى (٢) ميل من الجبال وجدنا ثلاث طرق. أخذنا الطريق الأيمن و اتجهنا (٢) ميل نحو الغرب. بعد ذلك عبرنا (جيديش) و قد تأكدنا أننا على الطريق الصحيح حيث أننا وجدنا أثرا للقافلة التى كانت هنا فى الليلة السابقة.
عند ما أتكلم عن الطريق، يجب علىّ أن أفهم المعنى فى أنه ليست ممرات و عربات نقل و لكن عبور العقبات مثل الهاوية، و السير لمرور الجمال المحمّلة. ثم تابعنا نهر (جيديش) و وصلنا إلى خيمتان و كان هناك قطيع من الماشية و الغنم التى وصلت

الآن من (سذيج)، أما السكان هنا فقد تعجّبوا من أن يروا رجلا أبيض يتكلم البلوشية، لقد قالوا لنا إننا فى الطريق الصحيح، و على بعد ثلاثة أميال يوجد طريقان، الطريق الأيسر يتجه إلى (سذيج) و الطريق الأيمن يتجه إلى (غابريغ).

حسب إشارات رأسه و يديه يمكنك أن تقدّر المسافة. إن رجلا من ساكنى بيوت السعف قد رافقنا إلى الطريق الصحيح إلى (سذيج) من ممر شديد الانحدار و قد فكرت أن أنتظر حتى أرى الأمتعة.

إن الطريق إلى الشمال أطول و لكن الأمتعة خلفنا، و قد حللنا هذه المخاطرة بجمع الرجال ليدفعوا الجمال و لكن ثلاثة من الجمال نقلت

الحمولة التى عليهم فتأخرنا لمدة نصف ساعة. و نحن الآن فى أرض مرتفعة. و قد أدركنا المسافة إلى (بندى ديشكارى).

حوالى خمسة عشر ميلا من بداية سيرنا تقع (جامكى) على بعد خمسة أميال غربا. هنا طريق يقطع طريقنا إلى (سارتاربى). الآن قد لحقنا بالقافلة التى تعسكر فى المكان الذى مررنا به هذا الصباح. كان هناك سبع عربات محمّلة عشرة أو اثنى عشر كيسا من التمر فى كل واحد منها، يصحبهم ثلاثة أو أربعة حمير يحملون كيسين.

كان الرجال يسيرون على أقدامهم و كانوا سائرين ثلاثة أيام من (بنت) إلى (سذيج) و لكنهم كانوا يقومون ببيع سلة من البلح عند ما يصادفون جمع من الناس فى أى مكان و يأخذون بدلا عنه الملح، السمك اللذيذ و الملابس الزرقاء، و كانوا بغاية اللطف.

عند ما تركنا (شاريكى) باتجاه اليسار و شاهدنا صديقنا العجوز (شيهران إيكوه) سرنا ستة أميال، عبر (نهر سورينى) و سرنا نحو ٢ ميل حتى وصلنا (سذيج) كان المكان بديع للتخييم و لكن سرنا ساعة أخرى و قررنا أن نخيّم هنا. كان قاع النهر الرملى به نبات «الكورتى» بكثرة. أعلى الساحل الصخرى حوالى سبعون قدم إلى الشمال الشرقى و كانت المياه حلوة. إن البلوش المقيمين فى تلك المنطقة قد ذكروا أن أحلى المياه هى التى وجدوها هنا، كذلك يوجد فى نفس المنطقة بطاطا حلوة. و صديقنا الذى شاهدناه بالأمس قد مرّ من هنا عند ما خيّمنا فى المكان، فى هذا الطريق ضحكنا كثيرا على «جلال». بعد ذلك لم أتمكن من النوم و لم أسمح لأى شخص أن ينام حتى بجانب خيمتى. هذه الليلة كانت باردة و كان «جلال» بجانب الخيمة و لم يكن هناك لمدة نصف ساعة قبل أن يجبرنى أن أطرده خارجا بسبب شخيره. لقد حمل فراشه و خرج. و جلس مع بعض الرجال حول النار بجانب الخيمة. متوقعا أن يجد مكانا للنوم أفضل و لقد قالوا له

«لا يوجد إله إلا الله الواحد» هل تعرف أنكم قوم عاديّون و لا تعلمون هذا الرجل «صاحب» له هالة قدسية.

ثم أكمل «جلال» قائلا: «و صدقونى- إذا لم يكن مع هذا الرجل «صاحب» كلبا فإن الملائكة ستكون بمقدورها رؤيته فقط لا غير، و إذا لم يأكل لحم الخنزير؟ يأكل الخنزير؟ قال «جلال» و من أنت حتى تقول يأكل «صاحب» لحم الخنزير؟ هل أنا لا أرى أى شىء يأكله؟

و تمنى جميع الرجال قائلين «لا لا هو لا يأكل لحم الخنزير»، و كانت هذه الأيام هى أيام صيام، و فى الحقيقة فإننى لم آكل لحم الخنزير و لو أكلت لحم الخنزير فإنهم لا- يستطيعون تناول الطعام و يبقى القدر غير نظيف، قال جلال هل تعلم لماذا لا يسمح صاحب لأى شخص أن ينام فى خيمته؟

لماذا؟

لماذا؟ قال «جلال» بسبب أكل لحم الخنزير سابقا فإنه يقضى كل الليل فى الصلاة و إنه بلا شك لا يريد أحدا أن يزعجه. إنه

كان صادقا تماما، و إننى قد شاهدته من قبل يومين يؤشر على كتاب للصلاة.
إن نهر (سذيج) الذى نخيّم بقربه الآن هو أكبر من السابق عند ما كان يصب فى البحر. من الجداول المختلفة فى الجبال التى كانت ثلاثة أو أربعة منها تصب فى ممرين للجبال و البحر، و قلة كمية المياه و الباقى منها كان يضيع فى الرمال. إن نهر (سذيج) ينبع من خلف (باندى نيلاج) و الذى يشكل ممر (شمسان) مما يؤدى إلى سلوك الطريق للمناطق
رحلة الكابتن فلوير، ص: ١١٣
الداخلية؛ لتجنب المرتفعات الخمس أو الأربع إلى الساحل الصخرى المنحدر فى جانب أو آخر، و لمراعاة الإنحناء الكبير الغير عادى، لتجنب ذلك بدأنا سيرنا إلى أسفل الوادى عند النهر. أحيانا كنا نمر على طريق حصوى قاسى و أحيانا أخرى نمر أسفل الوادى على نهر ضحل. إن قاع النهر كان يختلف من حيث العمق، و كان عرضه حوالى ميل و نصف، أما الآن فيجرى بكل إنسيابية مكونا أركانا تسمى (كجه) و كل ركن له اسم و لكن رجالنا لا يعرفون تلك الأسماء. إن هذا المكان يصلح ليخيّم فيه أى فرد يكون طعامه و زاده معه .
رحلة الكابتن فلوير، ص: ١١٤
و من الآن و بعد هذه المقدمة فإنى أرفق مذكراتى كالتالى:
فى الخامس من فبراير و بعد خروجنا من المعسكر بخمسة أميال من (سذيج) كان الطريق غربا ممتد بطول ٢ ميل. طريق حصوى و قد تركنا (شيران) خلفنا و هبطنا من المضيق إلى الوادى الذى كان من أعلى الضفة يظهر بشكل جميل من الخضرة و الأشجار. عبرنا جنوب الضفة و تابعنا سيرنا لمدة ثلاثة أميال أخرى، خلال هذه المسافة عبرنا أربعة طرق خطيرة، عدا الجانب الأيمن.
طبقة صخر تنحدر من الجهة الشرقية لضفة النهر إلى منتصف المجرى و تنتهى بصخر وعر من بضعة أقدام من الماء. إنها المرة الخامسة التى نعبر فيها النهر الذى يجرى من الجبال إلى الساحل. و جبال عالية على الجانبين، بعد مرورنا للمرة السادسة فى طريق ضيق.
بين العبور السابع و الثامن عبرنا مساحة بعرض نصف ميل جميلة للغاية و بها حشائش طويلة و أشجار كثيرة. بعد ذلك عبرنا مرتفعا ضيقا على الضفة الشمالية. و لم يكن هناك أثرا لأى عربة منذ وقت مغادرتنا المعسكر، مسافة بسيطة التقينا بشيكارى أو قناص اسمه «شيه مريد» و كان معه جملان محملان ب «القش» متجهة إلى (سذيج) و بعد (٢) ميل إلى الجنوب ثانية كان أمامنا ظهر جبل «سوراك» عبرنا النهر ثانية وجبنا حوالى أربعمائة قدم إلى أعلى ضفة النهر من الغرب. لقد أكّد لنا «شيه مريد» بأنه ليس هناك طرقا مستقيما و لا بد أن يوجد طريق و من الممكن أن نسير فيه، و عند ما اتجهنا إلى الشمال الغربى كانت (سوراك) خلفنا حيث تنتهى من الجهة الغربية ببلدة (غابريغ) و الجهة الشرقية ببلدة (سذيج).
لقد دخلنا وادى (سذيج) مرة ثانية و توقفنا قبل ساعة من غروب
رحلة الكابتن فلوير، ص: ١١٥
الشمس، بينما كنا فى انتظار وصول أمتعتنا اقترب منا رجل بلباس أنيق و معه عبد و جمل. و قد أخبرانا بأن هذا الطريق سينقسم قريبا إلى طريقين غدا و يجب علينا أن نسير فى الطريق على الجهة اليمنى إلى (غابريغ)، إنهم كانا فى طريقهما إلى (بنت) و كانا خادمين للأمير «حاجى».
عند ما أتى الليل كنا هنا أنا و «صالح» و «جلال» و حماره و الجمال. و قد أشعلنا النار حيث كان الجو باردا فى تلك الليلة، و قد تأسفنا لأنه لم يكن هناك طعام معنا، ثم سمعنا صوتا فى الظلام، فمشى جلال فى اتجاه الصوت و أخذ يصيح و لكن صدى الصوت كان بين الجبال. و قد تحيّرنا و لم نعلم من أين أتى ذلك الصوت، و أخيرا وصل الرجلين الاثنين و حيواناتهم، فقد ضلوا

طريقنا عنـد ما قطعناها عبر منحنى من سـتة أميال، و لكنهم تبعوا النهر حتى رأوا النار التى أشـعلناها، و قد جلسـنا فى مكان سـبقه إلينا بعض الفرس الـذين تم طردهم من (بنت). لقـد قمنا بتوزيع التمر و الأرز، و قـد رفع الجميع أيـديهم للتحيـة عنـد الأكل عدا «تاجو» الخبير فى ركوب الجمال كان هادئا.

إننى أود أن يأخذ الرجال قسطا من الراحة، و كذلك الجمال و لكننا قررنا أن نتابع السـير، و فى الصباح الباكر من اليوم السادس حمّلنا الجمال و عبرنا النهر للمرة الثانية عشر، و اتجهنا إلى الطريق الغربى و إلى الجنوب الشرقى لنهاية جبال (جورانى)، و بعد أن عبرنـا للمرة الثالثة عشـر اتجهنـا إلى الطريق الغربى بين عيون المـاء التى بهـا الحشـائش الكثيرة و هنـا قـد لحق بنا «شـيه مريـد» و الحمّالين اللذين يحملان «القش»، بعد ذلك صعدنا إلى المضيق على الضفة اليمنى من أعلى ذلك المكان فشاهدنا منظرا عظيما للنهر الأزرق، و الحشائش و حوله الجبال الجميلـة، و مررنا على أرض مردومـة منـذ زمن بعيـد. و قد انقسـمنا حينها عن أصدقائنا الذين أخذوا طريق (سذيج) إلى الجهة اليمنى، و دخلوا إلى طريق منحدر و وصلوا إلى منطقة

حصويـة عنـد ممرات الأغنام، و فورا اندفع الرجال ليسألوا عن الطريق و لكن الساكن الوحيد كان امرأة عجوز بدون أسـنان، و لم تقل أية كلمة. جميع من معنا تابعوا السير و عملوا بالرأى بأن أى شـخص لا يفهمونه يجب أن يصـمتوا. إن الاتجاه الذى أشارت إليه المرأة العجوز كان على جبال صـعبة المسير، و لكننا أخذنا الطريق الجنوبى الغربى فرأينا النهر الذى لا حظنا بأنه سيكون على طول طريقنا.

التقينا هنا بولـد صـغير و قد أغاظنى كالمرأة العجوز التى التقينا بها، إنه من السـكان البلوش و قد أزعجنا فى هذه الرحلة؛ لأن من عادة البلوش أن يسـتهلوا أيـة ملاحظـة أو الردّ بتكشـيرة كبيرة، سألت هـذا الطفل «أنت بلوشـى، أليس كذلك؟ و كان هذا يعنى نوعا من التحيـة، و إننى أعتقـد أنه ليس هناك كلمـة صـحيحة بالإنجليزية بهذا المعنى، و هى تعنى أيضا «جميل»، أو «أنت رجل مـدرك أليس كـذلك؟ عنـد ما التقينا ب (الاشاريين) فى المرة الأولى فى (لو كان جاه) أخـذوا يعنفون عبد الله» بشدة ردا على سؤاله عن الطريق دون مقـدمات عن السؤال عن قبيلتهم و أصـلهم. إنهـا شـهادة واحـدة عن الشـعور القوى لوطنيـة البلوش و التى كانت واضحة فى تعاملاتهم.

حسب هذه المعلومات خضنا النهر و أعتقد أن اسمه كان «هيمانى».

و بعد تأخيرنا لبعض الوقت بسبب الوحل و الجمال واصلنا السير.

ربما يلزم أن أسجل هنا أن قافلة الجمال تمشى لمسافة مائة ميل على

خط مستقيم، تعطى رؤية جميلة للطريق. بالممارسة أيضا ممكن أن يعرف إذا كان الجمل محملا أم لا. بعد ربع ميل بطول الضفة جبنا إلى جهـة الطريق نحو الجنوب الغربى، و فى محاولـة منى لمعرفـة الطريق عبرت واحة صـغيرة و جميلة فيها غابات من شـجر النخيل، تظهر الأشجار جميعها كأنها ماتت منذ سنين، غالبا ما يكون ذلك بفعل تغيير مجرى النهر الذى كان قديما يسبقها.

هناك فى (مكران) مساحات كبيرة من الأشـجار قد دمرت بنفس الطريقة و هذا دائما نراه عند ما يقطع النهر الطريق خلال الرمال الناعمـة و يشق مجرا جديدا كل سـنة. إن قاع النهر هنا حصوى تماما كنهر «هيمانى» و لكن يوجد جبلان كبيران واحدا على كل جانب، و قد حددنا الطريق الذى اخترناه بعد أن سـرنا حوالى أربعة أميال بين مساحات عالية و عبرنا انحدارا عريضا على الجانب الأيمن. إن هـذا الانحـدار الوعر كـان مغطى بحجارة و حصـى رملى و كانت به آثارا لأقـدام رجال و جمال و قـد شـققنا طريقنا بدون أى أثر للطريق لمدة ثلاثة أميال و قد وجدنا حفرتان مليئتان بالمياه فتوقفنا للعشاء.

لقد رأينا الآن أننا نقترب من حدود الجبال و نمشى على مسطح منبسط مالح و وصلنا إلى مكان مفتوح خلف (جبال هون) توجد هنا بيوت سعف النخيل و قطعان المواشى، و بعد أن مشينا كل هذه المسافة كانت لى الرغبة الشديدة بأن نخيّم هنا. على كل إنه باقى ساعة على مغيب الشمس و قد خيّمنا تحت بعض الأشجار.

مسيرتنا اليوم كانت من شروق الشمس حتى مغيبها، و قد كانت رحلة شاقة و الرجال قد تعبوا لدرجة أن الصندل الذى يصنعه البلوش من سعف النخيل قد إهترأ، و الجمال أيضا تعبت و كذلك الحمير.

رحلة الكابتن فلوير، ص: ١١٨

كانت هناك قرية صغيرة و ملامح السكان هنا تختلف عن أية أناس شاهدناهم من قبل، كانت أعينهم كبيرة لامعة و بشرتهم زيتونية اللون و نظيفى المظهر. و قد حضر رئيسهم إلينا و طلب بشدة النرجيلة، و عند ما ذبحنا الشاة، جميع الرجال ألّحوا علينا أن نعطيهم بقايا الذبيحة و أحشائها.

و كانوا يريدون شراء المعطف الخاص بى. و كان علىّ أن أخرجهم من المخيم.

و قد أقاموا فى هذا المكان حديثا و كانوا من قبل يقيمون فى (غابريغ) و لكن كان الأمير «عبد النبى» يتقاضى منهم الخراج و كانوا يظنون بأنهم سيكونوا فى مأمن فى المستقبل.

طريقنا الآن مستقيم على ساحل شديد الانحراف نحو الغرب. لقد ظهر الطريق أمامنا على ساحل رملى، و عند اجتيازه كانت أقدام الجمال متكيفة معه، و كان بيننا و بين (جاسك) فقط نهران هما (غابريغ) و (جكين). فى صباح اليوم التالى كنا فى غاية الفرح. أنا و «صالح» اتجهنا إلى الأمام و قد رحلنا إلى النهر كما توقعنا و كان «صالح» يدفع الجمال بعنف قبل أن يرسل أولا شخصا ليستكشف عمق القاع.

يجرى النهر قاطعا الرمال و له مظهر مختلف عن المجرى نفسه، بينما كانت الرياح تعصف بين الجبال الصخرية. و بدلا عن الماء النظيف إننا نمشى الآن فى ماء غير صاف و مساحة واسعة موحلة بينما لا يمكن أن ترى شيئا، كان قاع النهر حوالى ثلاثمائة ياردة و فى هذا الفصل يبلغ وادى

رحلة الكابتن فلوير، ص: ١١٩

(غابريغ) حوالى مائة ياردة عرضا. و صفة هذا النهر له ضفة أو طرف جانبى رملى بارتفاع اثنين إلى ثلاثة أقدام، و هذا الساحل به كتل من الرمال التى تندفع مسرعة إذا ما لمسها الماء.

الضفّة الأخرى بها انحدار رملى كذلك و هناك جزر رملية و هى مغطاة كلية بوحل زلق كان مهلكا للجمال. بحيث تنزلق فى بعض الأوقات أرجلها و تشج. إن أول عملية عند وصولنا إلى ضفاف النهر أن نتوقف و نرسل اثنين من الرجال ليقطعا النهر و ليكتشفا مدى عمق القاع. لقد وضعا ملابسهما على رؤوسهما و أخذا يمشيان بالعصى و هم يتمايلان فربما تعلق أرجلهما بالوحل فى المكان الرملى الناعم الزلق. باقى الرجال يقفون على الضفة و يتمازحون حتى أن صدى هذا المزاح كان يحدث صوتا، و فى بعض الأوقات يصل مستوى الماء و الوحل إلى وسط أجسادهما إلا فى المجرى العميق فإنهم يطفون إلى أعلى عند ضرب الماء بأيديهما. أحيانا تكون هناك أماكن سيئة نجد فيها علامات من نبات «الطرفاء»، و أحيانا أماكن مستوية و قد يقطع الرجال مسافات من السير، و يسيرون أسفل الممر هكذا عكس ما ذكره «د. نوتون» فى كتابه (نصائح للسفر) و الذى قال فيها:

«إن خوض النهر أحيانا يكون سهلا مرتين و أحيانا أخرى يصعب خوضه»، و فى بعض الأحيان يكون الجمل غير محمّل فيقطع النهر مرات و مرات عديدة، و إذا كان الجمل محمّلا حملا ثقيلا لا يقدر على عبور النهر.

عند ما يكون الطريق جاهزا يمشى الجمل المحمّل أولا مع اثنان أو ثلاثة من الرجال على جانب ليسندون الجمل، و اثنان خلفه

بعصاهم الكبيرة لحثّه على المشى ليبذل قصارى جهده قبل أن يغوص فى الوحل.
مع عدد من الرجال تصبح عملية اجتياز النهر سهلة، و لكنها كانت تختلف معى و «صالح» بغير رجال آخرين معنا. على كل حال إننا حاولنا مع الجمال السير لنعبر النهر و لكنها كانت خائفة تريد الرجوع إلى الشاطئ

رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٢٠

و قد أوقفناها فى جزيرة موحلة فى منتصف المجرى و بدأنا فى شدها.
إن النصف الآخر كان عميقا و ليس أمامنا سوى ساحل موحل رملى يرتفع حوالى ثلاثة أقدام. إننا مضطرون للسير، و كنا نتراقص بفعل الأرض الموحلة الزلقة المهلكة. أخيرا كان الرجال يزمجرون و هم خائفون مما أربكهم و قد غطسوا ثانية و وجدوا أنفسهم غير قادرين على ضمّ أرجلهم فالأرض كانت زلقة، و قد برك الجمل على ركبتيه و كان «صالح» خلفى يحدث صوتا كأنه كان يغوص فى الوحل و المياه تغمر الأشياء التى معنا.
و قد أعدت أشيائى بواسطة العصاة الغليظة التى أستعملها لضرب الجمل، و أخذ «صالح» يدور حولى و أنا فى الوحل. إننا الآن مبتلين و «صالح» يمسك يلجام الجمال، إلى أن أقتطع عصاة أخرى جديدة و هو الآن يدفعها إلى الأمام و أنا أضربها من الخلف لحثها على وقمنا بعبور النهر (نهر وادى غابريغ).
نحن و كل ما نحمله من فرش النوم و البطاطين فى حالة سيئة و لن نتمكن من سياقة الجمال لمدة العشرة أميال المتبقية للمعسكر التى نحن الآن قد قطعنا نصفها بين (غابريغ) و (جغين) و قد خيّمنا و تناولنا طعام الغداء، بعد ذلك غفونا لمدة نصف ساعة و كان القمر متألقا و لا معا بعد ذلك اتجهنا إلى (جاسك). رحلة الكابتن فلوير ؛ ص١٢٠
وما إننا الآن قد قطعنا الجزء الأكبر من الرحلة على غير ما كنّا متوقعين، و عند ما بدأنا السير توارى القمر خلف الغيوم، فصعوبة ركوب الجمل على الطريق الوعرة من سطح الجبال الرملية فى ليلة مظلمة يحتاج إلى خبرة، و الأمور التى كانت من الممكن التحكم فيها أصبحت الآن ليس لدى القدرة على اختيارها، و هكذا حسب ما كنت أنا و «صالح» نسوق الجمال حتى على الأرض المستوية و فى أثناء النهار و نفكر فى أننا ربما نقع بسهولة فى المجرى أو نقفز. لكننا اليوم نبذل قصارى جهدنا لنشق الظلمة.

رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٢١

و فجأة كان هناك شيئا أمامنا على بعد خطوات، اصطدام قوى و إرتجاج مع دوران سريع يفتت العظام، و وجدنا أمام جمالنا جبلاـ رمليا ضخما و مرعبا، كان علينا أن ننحنى بشدة و نقبض على السرج حيث أن الجمل دائما يقف على رجليه الخلفيتين ليرتقى المكان المرتفع إذا كان هناك حملا ثقيلا. على أية حال الرجوع إلى الخلف أو التقدم سيكون صعبا، لقد اندفعنا بحرارة إلى أسفل و كان عزاؤنا أن نلتقى بأصدقائنا فى (جاسك).

«حصن جاسك»

و فجأة، بغير توقع وجدنا أنفسنا بين الأشجار التى كانت تحيط بضفة نهر (جغين)، فالأمر أصبح خطيرا حيث أن هذا النهر به بعض الأماكن بحوالى أربعون قدما صخريا و وعرا و أقدام الجمال لاـ تنغرز فى تلك الأماكن. و هنا قررنا أن نتوقف لبعض الوقت و كان القمر منيرا و قد أدركنا أننا نتوقف الآن فى مكان كانت فيه قبل لحظات قافلة.

رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٢٢

لقد توقعنا مشاكل أخرى مع الجمال، و لكن نبات الطرفاء قد هدّأ من روعها، صالح يمشى أولا لعمل مناورة عسكرية ليستكشف المنطقة. لقد اتجهنا إلى الضفة المقابلة فوجدنا بها عددا كبيرا من طائر البحر «المالك الحزين»، بلونه الأبيض و هو يقف على المياه الضحلة.

إن بلـدة (جغين) هى منطقـة للصـيد و القنص و قـد توقفنا الآن، و علينا أن نؤدى العمل على أجزاء متفرقة حيث أن فى النهر حفر خطيرة متفرقة.

لقد تقدمنا على أرض مالحة منبسـطة فيها غابات صغيرة و عبرنا (يكدار) حيث جلسنا و استرحنا فى حدود ١٠ دقائق تحت شجرة «الكنار»، و أيضا على الجبال الرملية حتى رأينا غابات شجر النخيل لبلدة (شهرنه) حيث توقفنا لمدة عشر دقائق لنتعشى قليلا حيث كان هناك الكثير من التوت المليء بالعصـير. بعـد ذلك اتخـذنا الطريق إلى البحر و قـد جبنا الرأس البحرى ل (حشـدان). و فى الثالثة مساء رأينا (جاسك) و بعدها بساعة و نصف كنا نتصافح مع الرجل الأبيض و كانوا يباركون لنا على سلامة العودة.

لقـد عاد الرجال و الجمال إلى بلادهم خلال الأربعة أو الثلاثة أيام التالية و كانت أحزمتهم التى يلفونها حول الخصـر قد امتلأت بالمال.

رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٢٣

الجزء الخامس: [بنى ياس حكّام هنجام- قشم- جيش البلوش- لنجة- البحرين]

على الشـمال فى نهاية جزيرة هنجام توجد قرية صـغيرة لصـيادى السمك تحوى على مائتى عائلة من بنى ياس من إمارة (دبى) و هى بجانب (الشارقـة) و معهم رجال جيـدون بكل ما تعنيه الكلمة. لقد قمنا بجمع عينات من كل حشـرة تقريبا فى الجزيرة تصـل إلى عدد ١٤٠، بالأولاد المحليين المرافقين معى أصبحوا خبيرين فى جمع الحشرات و بهذا و فروا علىّ الجهد.

رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٢٥

بقيت فى (جاسک) بعض الوقت أجهز لأعمالى الرسـمية، عن حفر الآبار و زراعـة الأشـجار، و شـجر النخيل هنا قاحل مجدب، و توجد رمال كثيرة فى مكان اقامتنا و لكن بعد ذلك بدأنا فى الترتيبات لرحلة أخرى أطول و التى تتضمن قراءة فى علم النبات، و الجولوجيا، و دراسة علم الحشرات، و الاكتشافات الفلكية و الأرصاد الجوية إلى آخره، لقد حصلت على تحويلى إلى (هنجام) و هى جزيرة صحراوية صغيرة فى الخليج.

على أن أشكر المسئولين فى السفينة الحربية الملكية و التى إسمها (عرب) لأنهم ساعدونى لأجل أخذ العينات و التوقف لجمعها، و قـد أعطونى الكتب المطلوبـة، و قـد طلبت منهم آلـة ملاحيـة (و هى آلـة لقياس ارتفاع الشـمس و تحديد مكان السـفن) و قد حجزت آلتى التى عند ما وصلت لى من أوروبا كنت قد تمكنت من معرفتها و أصبحت بارعا فى استعمالها.

رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٢۶

إن «صالـح» المطوّع العربى قـد تبعنا لوضع خطـة الرحلـة و «جلال» كان معنا كمتعهد الطعام. و قد كانت جزيرة (هنجام) قاحلة و مجدبة و علينا أن نبحث عن شاة أو أى طائر، إمّا دجاجة أو ديك و ممكن أن نجد هذا فى الجزيرة القريبة منها و هى (قشم).

إن «جوجى» الطبّـاخ البرتغالى قـد حضـر و هو يشـكو و يتـذمّر كيف له أن يـذهب إلى مكان ليس به سـمن أو دهن، و كـذلك «غلام شاه» و امرأتان عجوزتان تطحنان الذرة و غيرهم بدءا فى إكمال القصة.

فى جزيرة (هنجام) ليس هناک أى شـىء لنفعله و لكنها جزيرة حيـة. و هى حوالى خمسـة أميال فى ثلاثـة أميال فيها جبال رثة و التى نراها للوهلة الأولى قاحلة و لكنها تمتلىء بالنباتات فى شـهرى مارس و أبريل لمئات الأصـناف من الزرع و منها أحدها التى دخلت مصنف النباتات الزراعية.

فى الماضـى كان لهـذه الجزيرة تاريـخ مختلف و كان فيها آلاف الأكواخ الباليـة المصـنوعة من الحجارة تخص السـكان الأولين الذين ليس لهم أثر

رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٢٧

اليوم. لقد صقلت خزانات الماء الكبيرة فى الخارج من حجر الكلس القوية و كسيت بالأسمنت ، إن المناطق فى التجاويف بين الجبال قد تجمّعت فيها التربة منذ نحو ٣٠٠ أو ٤٠٠ سنة كانت الأمطار أكثر من الآن و كان السكان لا يستطيعون جمع التمر و الفول و حليب الماعز، لذلك لم يتخلوا عن طعامهم المكوّن من السمك المجفف. فى الجهة الشمالية على نهاية الجزيرة توجد بقايا بلدة فيها مسجدان فاخران.

إن دمار هذه البلدة تأتى من تاريخها المتناقل؛ فالمبانى و واجهاتها دلالة على أنها كانت مستوطنة فارسية و لكنها دمرت بواسطة حملة (نهب) من العرب .

على الشمال فى نهاية الجزيرة توجد قرية صغيرة لصيادى السمك تحوى على مائتى عائلة فى بنى ياس من إمارة (دبى) و هى بجانب (الشارقة) و معهم رجال جيدون بكل ما تعنيه الكلمة. لقد قمنا بجمع عينات من كل حشرة تقريبا فى الجزيرة تصل إلى عدد ١٤٠، بالأولاد المحليين المرافقين معى أصبحوا خبيرين فى جمع الحشرات و بهذا و فروا علىّ الجهد.

أما الكهوف الضخمة فبدت عجيبة الشكل، و كان هناك واحدا أيضا فى وسط الجزيرة، و إذا ما دخلت من الجانب الشرقى فإنك ترى أنه ينقسم إلى

رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٢٨

نصفين و أمامك حائطا من الحصى الرملى مغطى بكلس أصفر اللون.

و إذا ما تسلقت إلى الجانب المفتوح فإنك تجد كومة من الحديد و هذا حطام معدنى و حجارة كبيرة خضراء لامعة، و أخرى صفراء. إن المعدن ثقيل جدا و قد كان يستعمله غطاسى اللؤلؤ. و فى الأسفل نجد الكهف الواسع تحت الجبل و لا أحد يشعر أنه ربما يكون أحد الكهوف الجميلة التى تستعمل لليالى العربية. على بعد ٢٠٠ قدم يوجد كهف آخر جميل ليس فقط فيه الصخور المتكونة من الملح، و لكن السقف و الحائط مغطى بملح جميل الشكل كأنه الثلج.

إن مسؤولين فى إحدى السفن قد رافقانى إلى أسفل هذا الكهف و أثناء رجوعهما كانا يتحدثان بصوت عال عن جمال ذلك الكهف، و رجلان آخران قد كانا متحمسين، معهما فوانيسهما ليقوما بدخول مفاجئ إلى الكهف، على كل كان لديهما فكرة خاطئة عن حجم الكهف و كانا سيختنقان بمحاولة اطلاق الضوء الأزرق فيه، بعكس ما فى قرية صيادى اللؤلؤ فيوجد فقط ثلاثة آبار فى الجزيرة عميقة جدا و نادرا ما كانت تحتوى على أكثر من دلو من الماء الغير عذب.

و على الساحل فى الجهة الغربية الجنوبية كان هناك شيئا أكثر أهمية للاستطلاع. إنه ماء ذو نكهة قوية تشبه رائحة القطران، فى مكان ذو فوهة ضيقة للغاية، و عند ما تتعود عيناك على الظلام و تحدّق النظر على عمق ١٢٠ قدما فى القاع سوف تندهش حيث أنك ستجد فى المكان الكثير من طير اليمام. إننى قد اكتشفت هذا البئر قبل أن أرحل من البلدة، إنه تقريبا متصل بمنحدر البحر بحوالى ٢ ياردة و فيه شرخ لفتحة كبيرة حيث أن اليمام يجد له مدخلا من خلالها.

قبل أن نترك بلدة (هنجام) علينا أن نذكر هذه الظاهرة الغريبة و التى

رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٢٩

تدعى «تحجر أشجار النخيل» فى بعض الشواطئ التى فيها تربة مالحة متكلّسة و فيها أعمدة من الطين الثقيل القوى، إننى لم أصدق بأن تلك الأعمدة هى أشجار حقيقية متحجرة، و قد اقتلعت شجرة واحدة أرسلتها إلى الوكيل السياسى فى مسقط، و بقينا فى الظلام طوال تلك الليلة، إن الجو الحار فى (هنجام) كان مخيفا و كان لدى ما لا يقل عن خمسة أفرشة للنوم فى أماكن مختلفة فى الجزيرة تعدّل لأى جوّ محتمل فيها، و ربما الأكثر استعمالا هو الذى بجانب البحر و الآخر الذى على حافة الساحل

الصخرى، و قد كان عملا متعبا كنت أحاول بعده أن أنام و لكن كانت الرطوبة ثقيلة و الجو مسمّم برائحة الطحلب البحرى الذى يتعفن فى الأمواج البطيئة الحركة.

على كل، إننى أتذكر فى أغسطس ١٨٧٦ م بعد أن استلمت «الكونوميتر» و هى ساعة دقيقة جدا تستعمل لتحديد خط الطول و قد أرسلت

رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٣٠

من لندن فى نفس الوقت الذى استلمت فيه تعليمات بالمغادرة إلى (بوشهر) بأننى قد تعجبت لأن هذه الجزيرة قد بيعت، فقمنا بتحميل الأشياء على الجمال بعد أن أرسل جلال إلى جزيرة (قشم) لإحضار الجمال.

إن أهالى (هنجام) لهم طريقة غريبة لعبور المضيق مع الجمال فيأخذون اثنين بسرعة و يجبرونها على الركوع أرضا بجانب بعضهما و يقومون بربط أرجلها معا و يضعون القارب على الساحل و يدفعونهما بشدة و يربطونها بالقارب من الخارج و يبدأون فى الإبحار. و هكذا تسافر الجمال لساعات و هى دائما ما تتعرض للغرق فى الماء بسبب ثقل الأمواج.

إن سطح جزيرة (قشم) يتكون من سهول مالحة تقسمها أخاديد من حجر الكلس. و هى الآن أشبه ما تكون قد ظهرت لتوّها من البحر، و لا يستطيع المسافر أن يعبرها فى شهر أغسطس بدون خيمة، فى هذا الوقت من السنة أيضا يذهب السكان بين غابات النخيل فى (ميناب) ليقيمون هناك فى الأرض الأصلية.

فى الليلة العشرين كنت قد عبرت المضيق، و بعد سير حوالى ثلاثة أو أربعة أميال فى الظلام الدامس و على طريق وعر عثرت على مخيمنا على ربوة صغيرة بجانب قرية (ديريستان) و قد لاحظت بأن الكثير من سائقى الجمال العابسين لدينا أدوا إلى تعرضنا البعوض و الثعالب.

فى صباح اليوم التالى أرسلت القافلة فى الساعة السادسة و بدأت فى السير و لكنى تقريبا قد ضللت الطريق. و لكن بعد جهد من السير وصلت إلى غابة جميلة من أشجار النخيل و كانت ملك (شيخ حاجى أحمد)، و قد رحّب بى كثيرا و أعطانى حصيرة تحت شجرة «الكافور» فغططت فى النوم.

كان هناك بئر و حوض لا يبعد أكثر من عشرون قدما من هنا و عند الظهيرة كنت أرى الطيور و الحيوانات و الوحوش تحوم و هى عطشى. إنه لأمر

رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٣١

غريب و أنت تراقبها فكل نوع من هذه الحيوانات يأتى و كأنه يتكلم فى الوقت المحدد له. أولا حلقة الحمام، بعد ذلك البلابل و أخيرا الديوك.

و كم هو مضحك عند ما ترى كل نوع يروح و يجىء فى حركة مستعجلة و هو منهمك على ما يبدو. بسرعة كان هناك رجالا مسنين يلفون فى محاولة للفّ عمامتهم على وسطهم و بدأوا واحدا واحدا ينزلون إلى الماء على أسلوب الكتاب المقدس. و عند ما ظهرت البقرة سارت على نفس طريقة الرجال و لم يستطيعون التحكم فى الأمر بدون نزاع.

كان هناك رجلا مسنا بقى بعد رفاقه و لم يكن شيئا ظاهرا من الماء غير رأسه المحلوق تماما. ربما كان غارقا فى التفكير أو نصف نائم، بعد لحظات ظهر ثور كان يقود قطيعا من الماشية، تقدّم من البحيرة بهدوء تام و وضع فمه فى الماء ليشرب و فجأة رأى ثمرة جوز الهند فى الماء فصاح و وضع فمه و أنفه و غطس بشدة، تلك الصيحة قد جعلت الرجل العجوز يهرب غطسا تحت الماء، ثم بدأ يظهر فى الجانب الآخر من البحيرة و هو يسعل و بدأ يبصق على الثور و يسبّه بلغة مفزعة قائلا: «اوه» ربما سيمزقك الذئب إلى قطع و كنت أرقب ذلك و أنا أقهقه. و الآن ظهر رجل فارسى طويل القامة و هو يرتدى قميصا نظيفا و كان

يحمل صينية كبيرة من النحاس بها الإفطار الخاص بى، و هو طبقا من الكارى كالمعتاد، و دجاجة مطبوخة بإتقان و زبد و قشدة اللبن، و تمر طازج و سكر، و زبيب، و قطع من الرقاق يستعمل كطبق للأكل. عند ما فرغوا جميعهم من أعمالهم كان الخادم جالسا على الأرض فصرفوه خارجا بأسلوب مهذب حيث لا أشعر به، حينها كنت جائعا بشدة. و ربما كان وجهى يعبّر عن النوم بسبب الفوضى التى قمت بها وقت الطعام، و كان الرجل يؤكد لى بهيبة بأننى لم آكل بما فيه الكفاية حتى بالقدر الذى يحتاجه طفل لغذائه.

لقد انتهى الإفطار و كنت اتمدد تحت الشجرة و أنا أكتب هذه المذكرات

رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٣٢

على قبعتى، حيث قد نسيت دفتر المذكرات، بعض الأوقات كنت أتكاسل فى اشعال الغليون بعد أن أنفخه نفختان و أنا أراقب النمل يحمل نواة التمر التى رميتها، و كنت مسرورا عند ما استيقظت على صوت ثرثرة و مزاح و ضحك بصوت عال و عند ما التفت وجدت فتيات يقفن حول البئر و حوض الماء و على ما يبدو أنهن يريدن الاستحمام. و كان هناك جدال حادّ بينهن و كنت أتابعهن بتمعن و ذكاء و قد أخذت فكرة عن معنى حديثهن، لقد قطعت عليهن الحديث بأن أكدت لهن أننى سوف أنتقل إلى شجرة أخرى عند ما أجد سترتى، و قد شكرننى و هن يضحكن بسرور على تلك المغامرة.

حملت بندقيتى و أخذت أمشى ببطء تحت ظل الأشجار فى الحديقة حيث وجدت صاحب الدعوة و كان قد استيقظ من نومه لتوه، و أخذنا نتناقش عن المحاصيل و الضرائب، و أشياء أخرى، و كان القمح فى نبتته الأولى ملوثا، و كان التبغ نادرا ما يستعمل. خلال فصل الشتاء، تصبح الحدائق جرداء و جميع السكان يذهبون إلى المدن أو القرى المبنية من الطوب. إن مضيفى شديد الذكاء و قد أعطانى معلومات كثيرة.

تناولنا غداءنا فى الخامسة و كانت الشمس ساخنة قليلا، و علىّ أن أسير ١٢ ميلا، فسرت مع أحد الرجال ليدلّنى على الطريق الصحيح إلى (سوزه).

خرجنا من الحدائق و سرنا تحت الشمس الحارقة، إن بلدة (قشم) فى أغسطس تكون قاحلة. و قد عبرنا الأخدود الكلسى مرة ثانية و هذا الذى عبرته الصباح بالخطأ عن طريق غريب. بعد ذلك قطعنا أميالا و نحن نتسلق الصخور و نسير فى السهول. إن رحلة كهذه التى نحن فيها الآن مستحيلة، لو لا وجود خزانات المياه المغطاه بالقبب.

إن المرة الأولى التى رأيت فيها هذه الخزانات لا تنسى فقد بدأنا السير مبكرين جدا فى المساء، و بعد حوالى ساعة فقد مرشدى الطريق و كان دمى

رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٣٣

يغلى و عقلى كاد ينفجر. لقد أمرت أن أتوقف كل مائة ياردة للحماية من ضربة الشمس هذا قد عرفته من خبراتى بالسفر. أخيرا وجدت الماء فهجمت إلى حوض الماء العميق بأيادى ترتجف أخذت وعاء الماء المصنوع من الطين الذى يسحب به الماء. و هل يصدّق أن الحبل كان قديما و بال حيث أن هذا قد أدى إلى وقوع الوعاء إلى الأرض و كسره. كم من الأيدى قد هزت هذا الوعاء، فشرب الماء هذا يشبه تدفق الماء فى قرية يابسة فى مكان ما بجانبى. كانت الجرعة الأولى أفضل، و بعد ثالث جرعة ماء جلست و أنا شبه أبكى و أنا مسرور، و قد قمت بربط الحبل، و بكل شجاعة ملأت الوعاء كاملا. كل ذلك لا يمكن أن ينسى، لأننى إذا كنت قد سقطت فى هذا المكان فهذا يعنى أن الذئب و ابن آوى لن يعرفا مكانى لمدة ثلاثة أيام على الأقل.

لقد كان الظلام حالكا عند ما وصلت قرية الصيادين فى (سوزه) و وجدت معسكرنا هناك، فقدّم لى «غلام شاه» كوبا من الشاى. و لكن سائقى الجمال قد امتنعوا تماما عن إحضار الحطب أو الماء، و كان لا بد من حل عاجل بعد أن قمت بسؤال الرجال

أنفسهم و قمت فصلهم بدون أى أجر.
فذهبوا و هم يهددون و يتوعدون. و أمرهم المسؤول عنهم ليأتوا إلى (سوزه) ليأخذونه و عائلته إلى مكان إقامتهم، و قد تعهدوا أيضا لأخذى إلى (قشم) و ليكونوا تحت تصرف مسؤولهم فى اليوم التالى.
و فى اليوم التالى كنت أجلس تحت ظل شجرة تين قاحلة و هذا كان هو الظل الوحيد فى المنطقة، فقد كانت القرية مهجورة من جميع السكان، حيث ذهبوا إلى الحصاد فى (ميناب) و قد كان رجالى يتعجبون عن الاستفسارات بخصوص الجمال. و لكنى علمت بوجود رجل كبير السن ترك فى القرية فطلبته و بعد مناقشات وعدنى بالجمال بعد ٣ ساعات.
و فى حوالى الساعة ١٠ مساء قررت أن أقوم بتحرياتى الخاصة.

و أخذت مصباحين بدأت بالمشى بين المنازل و قفز ثعبان أثناء مرورنا حتى وصلت إلى منزل مسؤول البلدة. و لم أدع له مجالا فذهب بنا إلى حوش داخلى حيث وجدنا جمالنا الثلاثة التى وعدنا بها.
و تبين أن العجوز قد تأخر فى جلبها لنا حتى يحصل على أجرة إضافية.
و لكنه وجد رجلا أجن منه حيث أمرت أن يتم وضع الأمتعة على جمالنا و بسرعة، و بدأنا بالتحرك فى الساعة ٤٥: ١٠ مساء، و لم نتوقف حتى وصلنا إلى (قشم) فى صباح اليوم الثانى الساعة ٣٠: ٨ صباحا. و لم يكن الشيخ الذى أعطانا الجمال مرتاحا حيث لاحظت عليه أنه طرد حماره الذى يركبه من الحوش.
كان الطريق مخيفا مع الظلام الدامس و كان لدينا مصباحا فى العربة و آخر فى الخلف و كنت فى النصف مع عصاة بيدى، و كان لا بد لنا من التحرك.
و اقترح الرجال أن تتم رحلتنا على ثلاثة مراحل إلى (قشم) و لكن لم نتوقف خلال الرحلة كلها.
و بعد حوالى ١٨ ميلا أحد الرجال الثلاثة المرافقين لنا مع الجمال الثلاثة وقف يبكى على الطريق. و بعدها بقليل سقط الآخر معلنا أنه لا يستطيع الاستمرار لأنه على وشك الموت و لم يستطع حتى الرد على أحد الجمال.
إن رجال (قشم) هؤلاء يمشون مثل النساء العجائز- أما البلوش الذين معى و الذين كانوا فى (سوزه) بلا عمل جاد- كان لا بد لهم من أن يتأقلموا مع هذه الظروف الجديدة و كانوا سعداء؛ لأن هذه الظروف تغيرت. و كان قد بقى معى رجل واحد فسقط من الثلاثة و اضطررت أن أتحمل و وضعته على ظهر حمارى الذى لم أركبه قط. إن هذه الرحلة بينت معدن هؤلاء الرجال

و شخصياتهم. و قد يسافر الشخص لمسافة طويلة مع البلوش قبل أن يرى أحدهم يترك صديقه متعبا باكيا.
قبل الفجر واجهتنا مشكلة جديدة و ذلك فى وسط ظلام داكن لأننا قد وصلنا البحر و بدأنا بالمشى على ساحل طينى مستوى و مزحلق و زادت أثر سلبى على الجمال المحمولة و زاد الأمر سوءا أن المنطقة كانت تمر بها خيران نحيفة و عميقة.
كان منظرا مزعجا و كل هذه الأمور الصغيرة المزعجة نسيناها لأننا اقتربنا من الوصول لأجل عبور القناة إلى (قشم). و بدأ الرجال فى دفع الجمال التى كانت تمشى و تدخل فى عمق المياه المظلمة لدرجة أن أحسست أن الجمال بدأت تخرج من البحر عائدة للشاطئ، و لم ينفعنا المصباحين بتاتا.
و لم أتمكن من معرفة حال المد و الجزر، و رغم ذلك وضعت ساعتى

فى القبعة و ثبت سلاحى فى سرجه و بدأت مستعدا لأى طارئ. و بعد عشرة دقائق كنا قد عبرنا المكان حيث خفّ العمق و تبينا

الشاطئ الرملى مرة أخرى. و قمنا بعدها بدفع الجمال إلى منطقة أخرى و حوالى شروق الشمس فى الفجر وجدنا طريقنا فى قرية مهجورة و بعدها بثلاثة أميال. و بعد ميلين عبرنا تلة عالية على يميننا وصلنا تحت شجرة السنط– كنا فى قشم.

أما الآن فقد كنت أحاول أن أسمع من أين يصدر صوت الأمواج و يبدوا أنه هدير مياه حولنا، و قد كنت مسرورا إن لم يكن هذا القلق قد حدث أيضا للرجال الذين معى، فالتفكير قد أتعب عقلى، لأننى لا أرى إشارة أو دليلا على الطريق الذى نسلكه. إن ما أفكر فيه الآن هو أن أضع الساعتين اللتين معى فى عمامتى، و بندقيتى فى السرج لربما قد يحدث أى تغيير.

على كل حال، إننا كنا مشغولين لمعرفة مدى ترددنا فى ذلك الوقت، و لكن بعد مرور عشرة دقائق أصبحت المياه ضحلة و بلغنا الرمال ثانية.

و أصبح أمامنا مرحلة أخرى من الطريق، و لكن دم الرجال كان يغلى و كانوا يسوقون الجمال و كأنهم أصحابهم، لم يكن أهالى (قشم) موجودون. و فى صباح اليوم التالى بعد مشقة من السير بين قرى مهجورة و على بعد ثلاثة أميال وصلنا إلى البحر و مررنا تحت ساحل صخرى على الجانب الأيمن، و بعد سير ٢ ميل جلسنا تحت شجرة «السنط» فى (قشم) و كان السوق فى قرية (قشم) فقير و لكنه نظيف، و كان هناك منزل جميل «للشيخ صقر» الحاكم. و النوع الوحيد من الفواكه المتوفرة فى البلدة هو ثمر اللوز، و كان يطلق عليه اسم «جورومزانجى» الذى تؤكل قشرته المليئة بالماء و ترمى النواة. كان لونه أحمر و طعمه كطعم الكمثرى. أما المانجو و البطيخ كانا يزرعان فى واحة صغيرة و هى تشكل الجزء الذى فيه يعيش سكان الجزيرة.

و القمح كما ذكرت سابقا يكون صغيرا. أما أوراق الشجر و اسمه «مدرت» يعمل منه بودرة و يستعمل لعلاج الحمى.

رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٣٧

لقد بقينا فى (قشم) لمدة يومين و لم نحصل على قارب، هنا البحر هادئ و يقال أنه من الصعب أن ترسو القوارب على شاطئ بندر عباس نسبة للأمواج الكثيرة التى ترتطم بالشاطئ. عادة كنت أقضى صباحى هائما فى السوق و الدردشة مع كابتن المركب التى سحبت إلى الرمال لعمل التصليحات بها.

إن هذا القارب كان يعانى من نقص الماء فى رحلة من يومين إلى (بوشهر) و لقد حضروا فيها إلى (هنجام) لطلب أو سرقة الماء من حوض المياه الخاص بنا. كان الجو هادئا، عند ما أتى بعض الرجال من الجزيرة لتفريغ السفينة على أن يدفعوا ثلث البضائع. بعد ذلك حضر الشيخ «عبد» من جزيرة صيد اللؤلؤ و منع تفريغ الحمولة إلا إذا وافق قائد السفينة على دفع نصف البضائع. و فيما كان الموضوع يناقش و كادت السفينة تتحول إلى أنقاض لو لا تدخل الشيخ «صقر» و منع تفريغ السفينة إلا بعد أن يستلم ثلثى البضائع.

و هكذا أصبحت هذه السفينة تابعة للملكية البريطانية، و قائد السفينة كان رجلا عربيا يستحق التقدير مع لحيته البيضاء، و قد أرسلت برقية بذلك إلى المسؤول السياسى فى (بوشهر). بعد ذلك كان لدينا بحث قضائى عظيم و هو عبارة عن استشارته عن القائد، و كان المترجم بين القائد و «الشيخ صقر» و «الشيخ عبد».

كذلك كان علىّ ترجمة ما كتبه القائد على البضائع التى كانت مسجلة هنا و هناك و فى كل مكان على مئات القطع الصغيرة من الورق القذر. ما هذا العمل؟ كان لديه مئات من الكتل الخشبية. كل واحدة تختلف عن الأخرى فى الحجم، بالمقياس، و الخامة و النوع، و هناك أيضا ٦٨٠ قفصا من التمر الهندى، و الفلفل، و البنجر، و ثمر الكوكا و كل قفص له مرسل و مرسال، كذلك تختلف أوزان هذه الأقفاص عن أية أقفاص أخرى. و كان

رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٣٨

البحر مغطى بثمر الكوكا، عموما كان أمامنا ساعات من العمل الشاق.

و حيث أن هذا الموضوع حتما سيعرض أمام الشيخ «صقر» و عليّ أن أقلد بقوة و جدية قائد السفينة فى سلوكه، و ربما يتخيل إليّ أنه لا يهتم ليرينى حسن ضيافته عند مجيئى، و قد بقيت تحت شجرتى كل الوقت حيث أننى لا أريد أن أقبل ضيافة من أى شخص مرؤوس أقل مستوى.
على كل إنه لا يوجد أفضل من النوم فى ظل شجرة التين القاحلة فى (سوزه) حيث أن الظل قليل حتى إنه عند ما انتصف النهار أخذ أحد الرجال يلكزنى حتى هبطت الشمس.
إن الشيخ «صقر» نائم (هو ليس فى البيت) و عند ما طلبت من قصره الذى بدى بمظهر غريب كان هناك سلما من حديد و الزهر الأصفر اللون يضم بيتان مبنيان من الطين. فى المساء كنت مع صديقى و القائد نجلس فى المجلس فى مربع مغطى بالسجاد. بجانب الشاطئ حيث كان يجلس أيضا «الشيخ صقر» و كان لى أن أؤيد الحديث بثلاث لغات فى الحال.
كان الحديث عن صيد اللؤلؤ و الملح الذى يأخذونه إلى مسقط، و بدلا عنه يجلبون الحرير، و الثمن المرجّح لذلك أو ذاك كان الرجل يدفعه لذلك أو ذاك الاحتكار.
إن أربعة من التجار قد استنفذوا أموالهم فى صناعة السفن، سفن البغلة أو البوم. لقد أرسل الشيخ «صقر» أمرا بأن الضريبة العادية هى ٣٠٠ قران أو ١٢٥ جنيها يجب أن تدفع قبل أخذ إذن العمل، بعد مساومات لمدة أسبوع بواسطة القوم فى المجلس وافق التجار على ذلك. و لكن لم تأخذ المساومة الوقت الكافى ليعبّروا للشيخ «صقر» بما فيه الكفاية عن فقرهم، لذلك فقد أصبحت الضريبة مبلغ ٤،٠٠٠ قران، ثم ارتفع المبلغ ليصل إلى ١٠،٠٠٠ قران.
رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٣٩
فى مساء اليوم التالى وجدت قاربا بواسطة قائد السفينة، و لكن استطاع «الشيخ صقر» أن يقنع ثلاثة من رجالى بعدم الرحيل فى الدقائق الأخيرة.
و كان الجو معتدلا و كنا أقوياء بما فيه الكفاية لمواجهة الإبحار الطويل، لذلك قررت أن نبدأ. و قد أرسلت كلمة إلى الشيخ «صقر» أخبرته بأننى سأسافر الآن للقيام بعمل لصالح الحكومة البريطانية، و هكذا سأتحمل المسؤولية لأى حادثة أتعرض لها. و بالجهد وصلنا إلى جزيرة (هرمز) و حيث أن الجو معتدل تابعنا حتى وصلنا فى المساء إلى بندر عباس. إن الأمواج كانت عالية و كان رسو السفينة غير ممكن و لكن السفينة التى أنتظرها إلى (بوشهر) ستصل غدا.
و بالرغم من الصعوبات التى وجدناها و بالرغم من أن الجميع كانوا مرضى إلا أننا قد تمكّنا من الرسو بجانب ثلاث سفن كانت كانت أيضا تنتظر السفينة القادمة.
لقد كانت ليلة مضطربة. فقد سحبنا الهلب و أبحرنا بين الأمواج بحرا بعد بحر و قد ابتّل جميع الطعام معنا و ملابسنا أيضا، و فجأة سمعنا صوتا فى الظلام و فى الدقيقة التالية اصطدمنا بسفينة أخرى و لكننا بعد ذلك تفاديناها و لكن كيف، لا ادرى؟ و مرة أخرى وجدنا أنفسنا نندفع إلى خارج البحر. و بالرغم من نقص طاقم السفينة إلا أنه كان هناك شجاعة و نشاط و نحن الآن بجانب الثلاث سفن مرة ثانية، و قد كنا فى انتظار السفينة التجارية التى تقلّنا إلى البلد التى نقصدها.
كان الوقت حوالى الساعة العاشرة. فى الحال رفعت مراكب الشحن خطاطيفها و بدأت بالإبحار. أما بالنسبة لنا و بسبب وجود تلف فى مركبنا فلم نتمكن من الإبحار، سمعنا صوت خشخشة جهاز الإرسال للسفينة البخارية و لكننا لن نتمكن من اللحاق بها. إن مسؤول الرسائل البريدية قد مرّ من أمامنا و معه البريد، و قد قمنا جميعا لمخاطبته. و لكننا لم ننجح. فى
رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٤٠
عودته كان أقرب إلى مركبنا من المرة الأولى و قد حاولنا مرة أخرى أن نحيّه و لكننا أيضا لم ننجح، فرفعت قبعتى على قلاع

المركب و لكنه قد تركنا خلفه و ذهب.

فى الساعة الثانية عشر و النصف و حسب ما أعلم جلس هؤلاء الأشخاص على السفينة البخارية لتناول غداء فاخرا على مائدة نظيفة باستعمال أطباق و أكواب نظيفة أيضا، و لأننا نحن فى غاية الإرهاق و الجوع لم نتمكن من الإبحار ثلاثمائة أو أربعمائة ياردة.

لقد جلسنا لتصليح العطل، و رفع «غلام شاه» رأسه قليلا و هو يقول «هذه هى طريقة التمتع» برحلة ممتعة فى المساء بدأنا الإبحار إلى ساحل (سورو) و هنا قد تأخرنا حوالى ثلاثة أميال عن الشاطئ، نصف المسافة قد خضناها فى الماء و النصف الآخر سباحة و باقى المسافة كانت طين و ماء، منطقة غير واضحة. و كان عدد طيورها كبيرا جدا و فى البداية كانت تبدو و كأننا الساكن الوحيد لتلك المنطقة. إنها منطقة منبسطة رملية بها غابات من شجر النخيل، سرنا وحيدين فيها و كانت ملابسنا و أحذيتنا مبتلة بالعرق و الطين و ملح البحر و فجأة رأينا عشة بجانبها رجل مسن منهمك فى تقسيم كومة من التمر إلى ثلاثة أقسام لبيعها فى السوق.

لقد علمنا أننا قد وصلنا إلى منطقة أخرى تبعد حوالى ثلاثة أميال عن بلدة (سورو) فكانت قرية صغيرة بها أغنى التجّار من (بندر عباس) و كان عدد هؤلاء التجار تسعة تجار، بعد أن أكلنا كمية من التمر و شربنا الماء البارد، و بعد أن حصلنا على الجمال بدأنا سيرنا نحو بندر عباس، و حوالى منتصف الليل قوبلنا مقابلة فخمة من السادة «جرى باول» بالميناء.

كانت (بندر عباس) توصف دائما، و إليك وصفا كاملا عنها، فكما هو جار فى البلاد الشرقية كقاعدة مسلم بها بأن فيها كل شىء بال، رث،

قذر، و رائحة كريهة. فالمظهر العام للبلدة هو مجموعة غير منتظمة من المنازل المستطيلة الشكل مبنية من الطين و التى صارت ربعها مجرد بقايا خراب. إن مبنى الوكالة الهولندية هو الآن بيت الحاكم يبهر العين، و تحتوى البلدة على ستة أو سبعة أبراج هوائية أنشأها أغنياء البلدة.

كان كل بيت له شىء أشبه بالمدخنة أو للتهوية و بغيرها لا يحتمل المكوث فى أى بيت. المناخ حار و غير صحى، خلف المدينة صحراء رملية و بحر مالح، و جبل ضخم اسمه (جبل جينو).

إن الشىء المهم فى (بندر عباس) هو الميناء على عكس «ميناب» و التى بها واد كبير و حدائق غناء، فيها مياه وحلة و لكن لا علاقة لها بالوادى. و تقع ميناب على بعد حوالى أربعة و خمسون ميلا خلال صحراء شديدة الحرارة من (بندر عباس) و هذا سبب انسحاب التجار من (بندر عباس).

و كان «ميرزا عبد الله» و هو ممثل الحاكم من (بندر عباس) فى

(ميناب)، و بعد أن مكثت ثلاثة أيام فى البندر قمت مع مضيفى بأخذ الجمال فى الساعة العاشرة مساء فى أحد الليالى، و فى الساعة السابعة مساء اليوم التالى كنا بين أشجار النخيل ثلاثة أو أربعة أميال أسفل حصن (ميناب)، و فى صباح اليوم التالى ظهر لنا المنزل الصيفى ل «ميرزا عبد الله» كبناء ضخم و حديقة جميلة فيها أشجار الرمّان و الحنّاء و كرمة العنب، و شجر القطن، و الليمون، و البرتقال، و أشجار اللّوز، و فيما كان الإفطار يجهز كنا نغتسل فى النهر، و هذا قد أنعشنا. نحن الآن تحت سلسلة من الجبال المنخفضة، ينحدر النهر على صخور منحدرة وعرة، يقطعه مجرى من ناحية الشرق بعمق مائة قدم. على سطح هذه الجبال و فى مكان ما هناك كان هناك معسكر و مبانى كبيرة و قلعة، و بها (أى ميناب) سوق- و يقام سوقها الكبير كل يوم خميس.

و عند تسلقنا كنا نتسلق الأبراج العالية للقلعة تحت إرشاد الرجل البلوشى المسؤول الحارس هناك، و من أعلى ذلك المكان

شاهدنا منظرا مثيرا و غريبا- جيوش البلوش.
و عنـد مـا أتكلم عن البلوش فـإننى دائمـا أعنى بلوش (مكران). فـأصول هؤلاء مختلفـة تماما و أرفع شأنـا من رجال بلوشستان الشرقية. و قد كان منظرهم و هم يتدفقون كالسيل فى مجرى النهر و ينـدفعون على الضـفة أشبه بجيوش النمل. و كان حوالى مائتى شخص طويلى القامة يمشون كمجموعات فى نهايته تتبعهم مجموعة من الدواب. و يحملون أغراضهم على ظهرهم، و سيوفهم تتدلى من على أكتافهم جهة اليسار، و كان كل منهم يحمل أيضا على الأقل مسدسا واحدا و خنجرا معلقا فى خصرهم.
من بين هؤلاء الرجال كان يوجد خمسون آخرون يمتطون الجمال. و هؤلاء يعتبرون جهاز الاستخبارات لأنه يمكنهم أن يقطعوا حوالى تسعين ميلا (أى

حوالى ۱۴۰ كيلو مترا) فى اليوم إذا لزم الأمر.
و كانت هناك مواكب من الفرسان و تسعة أو عشرة خيول يحملون الحكام و الأمراء.
و فوجئت و أنا أرى من خلال المنظار الرجل طويل القامة بانحناءة، ذا عمامة كبيرة بيضاء، و أشيب الشعر و المحنّك القديم و الذى يدعى «عبد النبى» و هو حاكم مقاطعة (جاسك) التى تقع على بعد حوالى ۱۲۰ ميلا- على الساحل. و عرفت لا حقا أنه استغل عدم وجود حاكم فى (بندر عباس) لأجل أن يكون حاكما لمقاطعة جاسك و التى هى موضع نزاع بينه و الأمير «يوسف»، و بالطبع اصطحب معه كل رجل استطاع الإتيان به لأجل توضيح أهميته ل «ميرزا».
لقد علمت من الموقع العالى الذى أنا فيه أن مياه النهر تجرى بين قناة تحت القلعة لتروى حديقة أخرى جميلة خلفه، لقد قضينا ذلك اليوم الحار تحت ظل شجر الليمون و البرتقال. و قد أمكننى من تقدير ما هو موجود

و يمكن تصديره بأكثر من ۵۰۰، ۱ طن من التمر سنويا. و فى هذا الفصل بالذات تجد على مدخل النهر العديد من قوارب الأهالى راسية هناك.
الحنّة أيضا هى من المحاصيل المهمة، و كمية جيدة منها ترسل إلى بومباى بالبحر، و لكن يرسل كمية أكثر من هذه الحنّة إلى (كرمان) و (يزد) و تعتبر (بندر عباس) هى الميناء الفعلى لبلدتى (كرمان) و (يزد) و فى (أصفهان) يرسل الجزء الأكبر من البضائع الإنجليزية عبر (بغداد) و (كرمانشاه). و أية قافلة محمّلة تصل «يزد» خلال سبعة و عشرون يوما أما إلى (كرمان) فتصل خلال أربعة و عشرون يوما. فى المساء عدنا ثانية و قدّم لنا العشاء فى العاشرة ليلا مع «ميرزا» و كان حولنا أوانى نحاسية مليئة بالزهور زكية الرائحة و شجرتان من الياسمين حولنا.
باستفسارنا عن وضع الجمال لم نجد راعيها رغم بحثنا عنه دونما نجاح، لقد كان ل «الميرزا» يواسينا بأخلاقه غير أنه قام بنفسه بأخذ جمالنا ليضمها إلى قافلته المحملة بالتمر التى كان سيرسلها إلى بندر عباس.
و فى خلال ساعة جاء ال «ميرزا» مصطحبا بعض الحمير و أكدّ لنا بأنها تخص الحكومة الفارسية. ثم أضاف: «إنه يجب علىّ أن أجد المؤن على الطريق».
كانت الساعة الحادية عشر و النصف و الظلام حالك عند ما بدأنا السير، و بعد أن قطعنا حوالى ستة أميال اقترح علينا سائقوا الحمير بأن نحصل على حمير أخرى نشطة بدلا عن هذه. و لكنى عموما قد أعطيتهم أوامرى بأنه يلزم علينا أن ألا نترك هذه الحمير قبل أن نجد حميرا أخرى تنوب عنها. لحدّ علمى الآن نحن فى مكان ما وسط الصحراء. فتابعنا سيرنا بجهد فى الظلام، و أننى لا أشك بأننا كنا نصف نائمين حوالى نصف ساعة عند ما تنّبهت على صوت يقول «لا أستطيع أن أسير» «يجب عليك

رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٤٥

أنت» «إن حميرى عرجاء» «إنها أوامر الحكومة» «إن لى حمار واحد فقط و هو يحمل القمح منذ ثلاثة أسابيع»، و عمره سنتان فقط و هو على وشك الموت». لم يكن ذلك الحوار مزاحا و لكننى قد وعدت بأن أوصل حميرنا للاستعاضة عنها بأخرى. ثم قررنا أن نكمل الأربعة حمير الجديدة باقى الرحلة و هى حوالى ثمانية و أربعون ميلا فى الصحراء الميؤوس منها مع أتعس حمير فى العالم. و عند ما وضعنا أرجلنا لنّهم بالركوب أخذ الواحد تلو الآخر يهوى على الأرض حتى قبل أن أضع جسدى عليه برغم حمولته المعتدلة.

و ما كان علينا إلا أن نقبل الوضع حتى يتسنى لنا أن نجد سفينة و لا ننتظر. و لكن هناك صعوبة أخرى ظهرت لنا عند ما علمنا بأن سائقى الحمير الثلاثة، واحد طاعن فى الكبر و الآخران صغيران، فثلاثتهم يجهلون الطريق. لذا قررت أن أجعلها رغبتهم فى إرشادنا للطريق و جعلهم يبدأون بالسير مجازفة على الطريق المظلم و يسوقون الحمير أمامى. و إننى لم أكن بعيدا عند ما سمعت الكبير فيهم قد أرسل يطلب والده الذى أخذ بدوره يشتم و يسبّ و وجد أن عليه أن يوافق على السير هكذا.

لا داعى لوصف سيرنا فى هذه الرحلة الآن فأى شخص ممكن أن يتصور كيفية السير فى الظلام على تلال من الرمال المتحركة، و يكفى أن نقول بأنه طلع علينا الفجر و نحن نتعجب بدون أمل، و نمشى بغير هدى عند ما أخذنا طريقا من زاوية قائمة بحوالى ٤۵ درجة. حين بدأ ضوء الصباح يظهر معالم الأرض و قد بدت من بعيد غابات شجر النخيل فى الأفق و أمامنا على مدى بصرنا غبارا رمليا. و فى الخامسة مساءا وصلنا لغابة شجر التمر فى (كالانجونج) حيث تناول الجميع غدائهم المكوّن من الكارى و الأرز و الشاى.

فى الطريق وجدت أن سائقى الحمير البائسين لديهم إحساسا بأن هذه

رحلة الكابتن فلوير، ص: ١۴۶

الحمير للحكومة الفارسية و أننى ضعيف لدرجة أنه لا يمكننى دفع مصاريف هذه الرحلة و الدواب.

و فورا بعد أن اكتشفت ما يفكرون به أكدت لهم بأنه لا يمكن لأى شخص أن يعمل «للفرنج» بدون أجر، و فورا قدمت لهم أجرا مضاعفا و نحن فى هذه المنطقة. كان لفعلى هذا أثرا كبيرا فيهم. و فى الساعة السادسة بدأنا السير ثانية. و لكننا لاحظنا فى حوالى الساعة العاشرة بأننا قد ضللنا الطريق، و لم يكن هناك أى أثر لمسلك ما، و علينا أن نجلس و ننتظر فى هذا المكان.

فى فجر اليوم التالى تقريبا غادرنا المكان حتى وصلنا (بندر عباس) فى الحادية عشر و بهذا قد أنهينا واحدة من أطول الرحلات سيرا على الأقدام حتى الآن، و كان المتبقى منها بعد ۵۱ ميلا. أما سائق الحمار الصغير الذى لا يتعدى عمره الحادية عشر و معه اثنان آخران قد استعدا للعودة ثانية و قد أعطيتهم أجرا أكثر من الأجر المضاعف لهم ليقوموا بشراء وجبة شهية.

و لكنهم سوف لا ينفقون أكثر من اللازم بشرائهم قليلا من التمر.

فى صباح اليوم التالى كنت أبحر فى الخليج على سفينة بخارية من الدرجة الأولى إنجليزية الصنع. و كانت بلدة (لنجه) أول مكان نتوقف فيه، فبدت بيوتها متراصة و شجر النخيل موازية للشاطئ بطول ٢ ميل، و خلفها جبال (بستانه) الضخمة، و قد كانت مغطاة بسحب بيضاء ككتل من الصوف. و قد علمت بأن البلدة هى تحت حكم الشيخ «مذكور» و هو رجل شرس عنيف و مولع بالخصام. و ابنه الآن هو المسيطر عليها، كما أن حكومة الفرس فى (بندر عبّاس) تشعر الآن أن طريقته قد عرفت بالإخضاع

رحلة الكابتن فلوير، ص: ١۴٧

فى تنظيمه لمسألة الضريبة فى هذه المنطقة.

إننى أعتقد بأنه لا يوجد أى مسافر أوروبى قد اجتاز المنطقة من (بوشهر) حتى (لنجه). و قد ذكر السكان بأنها قاحلة بدون ماء، و

دائما يسرح فيها اللصوص الشرسون من قبيلة «بهلون» الذين هم من أصل عربى و يقتلون حتى الدراويش. معلومات السكان ذات قيمة للذين هم فى أغلب الظن يعلمون ذلك أكثر منى، و حسب خبرتى أن هذه المعلومات نادرا ما يعوّل عليها و لكن سوف يكون لدينا الكثير عن ذلك الموضوع فيما بعد.

إن أصحاب السفن التجارية هنا قد أقنعوا «ملا حسين» ليعمل كمأمور بالبريد قبل سنتين، فوظيفته كوكيل تجعل من الضرورة له أن يأتى إلى كل سفينة، لذلك فإن البريد الخاص بصاحبة الجلالة (أى ملكة بريطانيا أو البريد البريطانى) بدلا من أن يرسل بالقارب بواسطة المسؤول البريطانى، فإنه يسلم إلى مكتب «الملا حسين».

إن جميع الذين يتوقعون رسائل لهم كانوا متواجدين هنا هم مسئولين للبحث عنها. حيث يقول لهم مسؤول البريد و هو يؤشر عليها: «إنها هناك- عليك أن تجدها» و يغطس فى حقيبة الرسائل و يقول و هو يصيح «يوجد هنا رسالة إلى «خاجا عبد الله» و عليه أن يدفع ثمانية آنات . إذا دفع الثمانية آنس سيستلم «خاجا» رسالته، و لكن إذا تجرأ و قال بأن الرسالة عليها الطوابع الكافية، أو إذا ساوم على المبلغ فإنها ستمزّق بسرعة و تلقى جانبا. يحدث هذا و هو يقف فى مكتبه و هو يعلن بسذاجة أن هذا هو أفضل نوع من الدخل لمكتب البريد حيث أنه يتقاضى لقاء ذلك مبلغا ضئيلا كمكافأة و هو خمسون روبية شهريا.

عند مغادرتنا لبلدة (لنجه) توجهنا إلى (البحرين) و هى أهم مكان لصيد اللؤلؤ. فى (البحرين) منازل قليلة واسعة، تجد بينها بيت واحد فى حالة جيدة، هذا البيت هو بيت الوكيل الإنجليزى و لكن يسكنه الآن مسؤول البريد الفارسى و وكيل السفن.

فى المساء ذهبنا لنرى ذلك الرجل، و قد أخذنا طريقنا بين فنائين بارتفاع عشرون قدما من صدف اللؤلؤ. و صعدنا إلى الغرفة العلوية. فوجدنا و نحن متعجّبين جدا بأن السطح مغطى بالجنود الأتراك فى أوضاع مختلفة و تبين بأنهم حراس الضرائب التى أرسلت من حاكم (القطيف) لأخذها بالسفينة إلى (البصرة). بعدها قمنا بتأجير بعض الحمير الكبيرة من (البحرين) حيث بدأنا كخيّالة مرحين خلال الليل فى الجو البارد و تحت القمر اللامع. و ما قد حدث معنا من ضوء الشمس اللامع إلى ضوء القمر البارد قد ساعدنا فعلا كإضاءة لمسيرتنا.

ذهبنا بطريقة لائقة لمقابلة السيد/ بى المسؤول الأول و شكله كالبّحار، أما «السيد/ أف» كان طول سرج حماره لا يزيد عن ستة بوصات لذلك رفض ركوبه و كان عنده يقين بأن حزام السرج يمسك فقط ببعض الأجزاء من ثيابه. و لكن الأمر على كل حال، لم يكن تحت سيطرته، و ما حدث معه هو بأن السلاسل و الحديد و الأربطة التى تمثل لجام الحمار قد خرجت من فم الحمار عند ما كان يحاول دفعه، و كان هذا واضحا و هو يمشى بثبات بجانب الحمار و يضع يده على ظهره الذى كان يكفى من «السيد/ بى» الذى كانت سرعته تعتمد حتى الآن على تجاهله للمناقشات المناسبة لعدم فهم حماره.

و بعد دقيقة كنا جميعا نطير مسرعين على طول السهل فقط لنجد بركة ماء. فجأة ظهرت عين ماء قوية من بين أحجار الكلس و كانت مكانا جميلا للاستحمام. عند ما وصلنا إليها كانت مليئة بالنساء و الرجال و الأطفال الذين

يقضون معظم هذه الليالى الجميلة فى الماء كفرس النهر. أولا لم يكن لهم الرغبة لافساح المكان لنا و لكن بعد ذلك استطعنا أن نأخذ حماما جميلا للغاية.

فى اليوم التالى كنا نبحر إلى (بوشهر)، و نحن فى طريقنا عبرنا بين حوالى ثلاثمائة مركب لصيد اللؤلؤ. كل سفينة لها مرساة «هلب» و فيها حوالى اثنى عشر مجدافا مثبتا فى النصف على حافة المركب من الجانبين.

و كل مجداف فيه حبل يتدلّى من آخره، و بهذه الحبال يمسك الغطاسون عادة. و عند ما مررنا بجانبهم كنا نرى أحيانا العشرة

غطاسين محلوقى الرأس، سمر البشرة و هم يعلون و يهبطون فى الماء فى طرف الحبال المعلقة. فيغطس الأول و بعده الثانى و هكذا، و يبدأون فى الظهور ثانية و هم يرفعون أكياس اللؤلؤ إلى اعلى بأيديهم و يستعدون للغطس مرة أخرى، لقد راقبت الغطاسين و الوقت الذى يستغرقونه فى الغطس، فوجدت أن ما قاله السيد «إيمانويل» من مدة الغطاس فى الماء مبالغ فيها. لأننى لم أرى شخصا يتمكن من الغطس تحت الماء لأكثر من دقيقة واحدة و إن ظل إلى خمسة و أربعون ثانية، فعلا إنه لغطاس ماهر. و هؤلاء يعملون بجهد كبير و بتقاضون قليلا من الأجر.

إن بلدة (بوشهر) أو أبو المدن- هى أكبر المدن على الخليج، و لكن القذارة فى البلدة كانت تفوق مساحتها أكثر من أى مدينة أخرى، فالطرق كانت تستعمل كبالوعات. و المدينة تبدو و كأنها منطقة حديثة و يقال بأنها شبه جزيرة خرجت أو ظهرت من البحر. و للأرمن هنا وجود قوى و تجارتهم قوية و تجارها الأغنياء لهم منازل تبعد حوالى ستة أميال عن المدينة، و خلال المجاعة من المحتمل أنه قد تم فتح طرق فيها حوالى اثنين أو ثلاث لهذه المسافة ليتمكنوا من السفر للتجارة. كما أن بلدة (بوشهر) هى ميناء ل (شيراز) و (أصفهان) و كانت ترسل كميات من الأفيون

رحلة الكابتن فلوير، ص: ١۵٠

أو شجر الخشخاش إلى الصين، و كان السكر يستوردونه من بتافيا (جاكرتا فى أندونيسيا) و التى ينطقها السكان المحليون (باتوا).

هنا قد استلمت باقى أجهزتى و سترة ثقيلة و غطاء من انجلترا، بعد ذلك غادرت من (بوشهر) إلى (جاسك) للإنضمام إلى محطتى فى (مكران) و كنت طوال الطريق إلى هناك أقوم بقياس المسافات بالنظر بعد ذلك و استعملت «السدسية» و هى آلة تستعمل لقياس ارتفاع الشمس و تحديد مكان السفن» بعد ذلك وصلنا إلى بلدة (جاسك) لتجديد صداقاتى مع العديد من أصدقائى القدامى.

رحلة الكابتن فلوير، ص: ١۵١

الجزء السادس: [بشكرد- إبراهيم خميس]

فى صباح اليوم التالى و بعد جولة صيد فاشلة بدأنا سيرنا إلى أعلى (نهر شريفى) المتفرع من نهر (جاكين) كان القاع هنا محصورا و فيه كثير من الصخور الضخمة، بسعادة غامرة تسلقنا هذا الصخر الشديد الإنحدار و عبرنا السهل المنبسط الذى تقطعه المنحنيات الكثيرة.

رحلة الكابتن فلوير، ص: ١۵٣

خلال وقت قصير كانت جميع أجهزتى جاهزة للسفر، و فى يوم ٢٩/ ١٠/ ١٨٧۶، غادرت (جاسک) إلى (گيگن) بعشرة جمال و استأجرتها باتفاقية للذهاب إلى بلدة (أنغهوران) عاصمة (باشكارد). فى البداية توقفنا و خيّمنا بجانب (گيگن) فى مكان جميل يقع بين شجر السنط. و هو نبات مزدهر يدعى فيموزا- و كان هناک منحدر (گيگن) الضخم.

بقينا فى هذا المكان يومين، شاهدنا فيه احتفالا غريبا للبلوش، فقد قاموا بذبح شاة كقربان لبداية موسم الزرع وفاء- كنذر لله- و لكنى لم أتمكن من معرفة مصدر هذه العقيدة. بعد ذلك سرنا حول المنحدر و خيّمنا تحت بعض الأشجار فى وادى بجانب نهر (گيگن) و لقد قضينا هنا معظم الوقت فى العمل حيث أننا كنا نقوم بقياس و تقدير المسافات حسب خبراتنا. بعد ذلک قمنا بشراء جمال للسفر، و بعد المناقشات و الاستفسارات

رحلة الكابتن فلوير، ص: ١۵۴

قررّت بأنه من الأفضل أن أقوم باختيار ستة جمال لى خير من تأجيرها.
و عليه كنت أساوم لامتلاكها. كان لنا جميعا سمعة طيبة لقيامنا برحلات موفقة لم يسبق لها مثيل. هذا لأننا كنا ننهى رحلاتنا و أنا محب و مخلص لجمالى. و التى أختارها كانت نماذج رائعة من نوعها، و قد كانت متوفرة بسلالات مختلفة أكثر من الجياد. شكلها يثير الإعجاب، فهى ضخمة الجثة و أرجلها الأمامية كبيرة الحجم ذات شعر لامع بنى اللون، أول هذه الجمال فى القافلة كان «جامايتى» جمل كبير فى السن و لكن له المقدرة على السير و التحمل.
بعد ذلك جاء «مهرى» الجميل و عمره ثلاث سنوات و نصف و أصغر جمل فى المجموعة، ذكى بانتباهه دائما لتفقده خيمتى مساء و لشمّه أكياس التمر. بعدها يأتى «جاسكى» الكبير الذى يحمل علب الطعام الثقيلة، فكان
رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٥٥
يتأرجح بخطى واسعة تقريبا حوالى قدم واحد لكل خطوة، عيبه الوحيد كان فى كسر ناب من فمه، إلا أنه ما زال ذو قوة و مقدرة على التحمل و الصبر. أما بالنسبة للثلاث جمال الأخرى لم تكن هناك نقطة معينة عنها، و لكن جميعها كانت تؤدى عملها على نحو رائع.
إن رجال فريقنا الصغير جديرون بالوصف فأولهم «إبراهيم محمد» هو حارس الخط التلغرافى للحكومة، و قد منح أجازة ليصاحبنى فى تلك الرحلة. لقد كان رجلا أنيقا طويل القامة، و لقد تعاون مع الرجال و خدمنى، و لكن للأسف هذا الشخص أو الرفيق لم يرجع أبدا إلى بلده لأنه قد توفى بعيدا و دفن فى أرض غريبة، و كان علىّ أن أراه قبل أن يموت حتى أتأكد من أنه لم يعد يتذكر أى من معاملتى القاسية معه عند ما كان يغيظنى فى تأخيره، و عدم إطاعته لى، و لمرضه و لأحداث أخرى أثناء الرحلة. و لكن يمكننى أن أصفه بصورة أوضح- «جاجو» و هذا اسمه، رجلا عريض الأكتاف ضخم القدمين، ساذج و لكن دمث الأخلاق و لديه استعدادا للمزاح و الضحك من كل قلبه. عموما، هكذا كان قدرنا سيئا.
فقد كان لى «جاجو»، برغم شراسته المرحة عونا لى ضد الرجال الذين لم يعرفوا عن الطريق شيئا، و كان بلغته العربية المكسورة يداعبنا لينال قطعة من اللحم أو قليل من الكارى، كما أنه كان فخورا بإرشادى خلال الرحلة لأنه كان قد سافر معنا من قبل و أصبح يعرف الطريق و أوضاعنا تماما أكثر من أى شخص آخر.
يأتى بعد ذلك «إبراهيم خميس» و «داد الرحيم»، فقد كانا من عائلة
رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٥۶
طيبة و رفيعة المقام مثل عائلة «جيمادار إبراهيم». فى الحقيقة إن «جيمادار إبراهيم» أقنعهما بأن يصبحا أصدقائه، و قد قامت بينهما المشاكل نظرا لصغر سنهما، و قد توفى المسكين «داد الرحيم» أيضا و دفن قريبا من «إبراهيم محمد».
بعد ذلك يأتى «عبد الله دادوك» هو الرجل الثانى، كان فضوليا له أنف كالمنجل منعكف و له عينان سودوان تتلألآن و لحية سوداء مجعدة. كان مثابرا فى عمله و لكن له لسان سليط.
ثم يأتى «حسن»، كان رجلا طويل القامة قويا و من عائلة بسيطة جدا، أسلوبه خشن و غير مهذّب، لكنه كان من أفضل سائقى الجمال، و له ميزة فى صوته الغريب الغير عادى، و لا- يزال يحمل اسما كنت قد سميته به «حسن كراوازى» أو «حسن صوت الحمار».
أما «قاسم» فهو رجل كبير فى السن و كأنه جسم مقطع من قطعة خشب لأن يداه و ساقاه بنفس الحجم و حتى الطول. و كان غريبا فى قوله: «إنى اعتقد بأمانة بأننا قد قطعنا مسافة ٢۵۴ ميلا فى خمسة أيام».
و «على شاه» الفضولى كان قصير القامة رفيعا متينا على شكل الكرة، و لا يتمتع بأية ذرة من عزة النفس أو دماثة الأخلاق من أى

نوع. كان نبيها جدا عند حراسته للطريق و لكن لسانه لا يكف عن الكلام و الضحك و الغناء، و حتى الكذب من الصباح حتى المساء.

و «غلام شاه» بوجهه البنى اللون الذى بدا فى هذه اللحظة مكشرا فى وجهى و ينظر إلىّ و أنا أكتب هذا عنه. له رأس قوى، متعاون، و يبلغ من

رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٥٧

العمر أربعة عشر إلى ستة عشر سنة، و هو من عائلة بلوشية جيدة، قضى طفولته فى التجوال على البلاد التى فى (رودبار) و (بامبور). لقد اكتسب بعض أفكاره من تجواله هذا، لأنه قد صحبنى فى رحلة دامت حوالى سبعة شهور، و كنا قد عبرنا جبال الثلج الشامخة فى (كردستان) خلال فصل الشتاء. فى ذلك الوقت كان يقوم بإعداد جميع وجبات الطعام لى و يفرّغ و يعلب و ينظم جميع معداتى كل يوم، و كان مسؤلا عن «الكرونوميتر» خلال غيابى عن الخيمة. خلال أعماله هذه لم يكسر أىّ شىء كما أنه لم يترك أو ينسى أى شىء خلفه، و كان صارما، لا يكل من الجهد و لا يخاف.

هؤلاء جميعا كانوا الموظفين الدائمين فى رحلتنا، لقد اكتسبت خبرة فى هذه المنطقة، و إذا كان علىّ أن أكرر هذه الرحلة فلن اغيّر أى رجل من الذين ذكرتهم. إن صديقى «جلال» من (بامبور) قد قرّر فى الدقيقة الأخيرة ألا يأتى معنا. فالصراع بين إخلاصه لى و رغبته فى مشاركتى رحلة كهذه كان فى كفة و زوجته و ابنه فى الكفة الأخرى، و عند ما بدأنا رحلتنا بدونه أصبح كالمجنون يضرب الذين نصحوه بعدم السفر بعنف حتى ابنه المدلل.

و فى ١۴ نوفمبر تخلصت من مؤونتى و أرسلت جملين محمّلين ثم ودعت جميع مرضاى و منهم طفلة كنت قد قمت بعلاج عينيها و استعادت عافيتها و هى ابنة أحد القناصين فقد كانت عيناها متعبتان للغاية و قد استعملت لها نترات الفضة أربعة مرات فى اليوم، لكنها فى البداية لم تعطى أية نتيجة، و لكنى أخبرتها أنه عند ما تبدأ بالشعور بحرقة فى عينيها فهذا يدل على أنها ستشفى. و فى اليوم الرابع طرأ تحسن على عينيها و فورا قمت بوضع نقط من المحلول فى عينيها و بدأت تصيح «مارو أسوجى» «مارو أسوجى» و يعنى ذلك بأنها تحرقها، و بدأت تضع يديها حول عنقى و هى شبه غائبة عن الوعى و متهاوية على الأرض، و لكن بعد حين هى

رحلة الكابتن فلوير، ص: ١۵٨

و والدتها أخذتا يشكراننى كثيرا عند شعورها بالتحسن بعد ذلك، كلّفت مساعدى الطبى «غلام شاه» لتكملة علاجها. ثم قمت اليوم كذلك بشراء الجمل الأخير من العم «إبراهيم»، و كان حوارنا المميّز كما يلى لإنهاء عملية الشراء.

البائع: «هل قبلت أن تأخذ هذا الجمل الآن بخمسة و ثلاثون قرشا»؟

(٨ جنيهات)

المشترى: «لقد قبلت»

البائع: «و إننى أقسم بالله أن هذا الجمل ليس به أى عيب و إنه حيوان قوى

و بهذا فإننى لم أخفى عنك أى شىء.

ثم تابع قوله: «إنه ليس أعمى و لا أعرج .. الخ».

«و يمكنك من وضع سبعون رجلا على ظهره». بعدها صافحنى الرجل و انصرفت.

عند ما أردت أن أرسل مبلغا من المال إلى (جاسك) أشار إلىّ «إبراهيم» بأن هناك رجلا سيذهب الآن و سيأخذ النقود معه. ثم ذهب خارجا ليلحق به، اختفى بين الشجيرات الصغيرة. بعد ذلك عاد هذا الشخص و أرسل النقود على الوجه المطلوب، و عند

مـا لمّحت ل «إبراهيم» بسـرى بـأننى أشـك فى أمـانته، فجاءنى جوابه بنبرة صوت شديـدة «إنه بلوشـى»، و هـذا ما جعلنى أشـعر بالخجل لقولى هذا، استنادا لأننى أعلم بأن إحدى قبائل البلوش هنا تقوم بسلب و نهب بعضها إذا وجدوا الفرصة سانحة لذلك.

لم نلاقى صعوبة فى وجود مرشـد لنـا، لقـد زودنـا «جمـال» بأحـد رفاقه الأمينين، و يـدعى «جازو» و هو شـخص غريب الأطوار متقلب، يأخذ الأمور

رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٥٩

بشكل هادئ و يبدو ظريفا فى الأوقات الصعبة. عند المساء كل شىء كان منظما، فتوجهت إلى النوم و أنا مقتنع تماما بأحاسيسى المفرحة.

صباح اليوم الثانى لا يمكن أن ينسـى، حيث نهضت من النوم و وضـعت قبعتى على رأسـى و حملت بنـدقيتى. و برغم أنى لسـت خبيرا بالأحاسـيس السـارة، إلا أن ذلك الجو البارد و الأشـجار المغطاة بالنـدى، و خيوط العناكب الناعمـة اللامعـة أكثر من عقد اللؤلؤ فى كل مكان، و طائر الحجل مبتهـج و إحساسـى بالاسـتقلالية التامة مع العزلة التامة عند ما كنت أشاهد سـقف خيمتى مع شعورى بـأننى المالـك لأمرى و كنت أرى صف جمالى منساقـة لتشرب، و مفكرا بأننى سأمر ببلاد أخرى جديـدة خلال أشـهر قادمـة، بلاد لم يزرهـا أى شـخص أبيض من قبـل، كـل ذلك جعلنى لا أسـتطيع أن أصف سـعادتى فى صـباح ذلك اليوم، إنها سعادة يشعر بها المكتشفون فقط.

بتاريـخ الخـامس من الشـهر عنـد المساء عاد «إبراهيم» من (جاسك)، فقـد أرسل ببعض الرسائل و أحضـر معه بعضا من الرسائل الإنجليزيـة و معطفا من صـديقى «بى»، عودته كانت بمثابة إشارة لنا توجب علينا الرحيل. و فى خلال نصف ساعة أنزلنا الخيمة و بـدأنا اتجاهنـا إلى طريق وعر و أمامنـا الجبـال، و بوجود النهر هناك، يعنى ذلك أننا سـنمر بصـعوبات و ربما يتوجب علينا القفز فوق أكثر من هوة، أثنـاء سـيرنا اليوم تنبّهنا إلى ممر وعر، و لا يمكن السـير من خلاله بسـبب الجو الـذى كان ممطرا قبل أسـبوع. برغم عدم وجود علامات للمطر بالإضافة لذلك فإننا قد تلقينا عدة تعليمات بالتوقف.

جميع الممرات فى (مكران) على طرق رئيسـية. باتجاهنـا إلى أعلى كـان الطريق متعرجـا من الجـانبين ترتفع فيه صـخور شديـدة الانحدار بأشـكال غريبة، و قد وجدنا أنفسـنا فى المساء أننا ما زلنا نجاهد و شـعرنا بأننا نودّ أن نغيّر مكان مخيمنا. أما الآن هناك غيوم كثيرة و صدى صوت قادم من

رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٦٠

المنحـدر «هاكـال كون (اسـتمرار)» أوه، يـا إخوان، صـرخ «جازو» من بعيـد و هو ينـدفع إلى الأمام و يكرر «هاكال كون»، إذ لم نتقدم عبر «تانجى دول» أولا- و لم يكمل لأن البديل للطريق مرعب له و كان اضطرابه واضحا من نبرة صوته.

الآن أصبحت السـماء قاتمـة، فتوقفنا و بـدأت قطرات المطر تهطل حتى أن الماء قـد غمر أقـدامنا لأن مجرى السـيل كان كبيرا و يحتوى على حفر مائيـة بعمق قـدم. ثم عمّ الظلام علينا بسـرعة و كانت الساعة قد تجاوزت الخامسة و لم يكن هناك سوى باردة أمـل بوجود مجرى صـغير من الماء الـذى سـنعتمد عليه ليقودنا إلى الطريق. فى ذلك الوقت كان الرعـد عنيفا و على ضوء البرق مرتين شاهدنا بروزا عنيفا لصخرة مرتفعة تحيطنا من الجهتين و كان الرجال و الجمال مبتلون يجاهدون فى سيرهم بسرعة النمل.

فجـأة سـمعنا صوتـا أمامنـا ينـادى «ميـن ميـن»، و فى لحظـة حضـرت على التوّ فوجـدت جملى و قـد غـاص فى حفرة من الطين المتحرك. و كان علينا أن نسـرع. فورا جميع الرجال تركوا جمالهم و أخذوا فى سـحب الجمل بقوة، «بسرعة يا أولادى» .. صاح «إبراهيم»، و قـد بدأ الرجال يفسـحون مجالا للجمل بشده إلى الأمام و إلى الخلف، يساعدون بعضـهم البعض حتى وضـعوه على الطريق الصـحيح. و مع صـياحنا لانقاذ الجمل قـد نسـينا العاصـفة التى كانت بازدياد شديد حتى أننا لم ندرك بعد (تانجى دول)

المخيفة. و الآن قبل أن نلاحظ ذلك وصلنا إلى المدخل الذى لا يتجاوز عرضه خمسة عشر قدما و الحيطان كانت من الحصى الرملى الناعم. و قبل أن ينفذ صبرنا دفعنا الجمال بدون تفكير لننتهى من هذا الممر.

و حسب معلومات مؤكدة من «جازو» بأنه فى أية لحظة قد تصادفنا سيول من المياه التى قد تفقدنا الرجال و الجمال. أخيرا وصلنا إلى (دول) ذاتها. و كان الخطر فى الممر واضحا، فقاع الجدول هنا هو مجرد شق

رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٦١

على سطح الصخور القوية، و عليه فإن الماء قد أحدث تجويفا عبارة عن نفق بعرض خمسة عشر قدما. (إن كلمة «دول» تعنى وعاء)، فوقها مباشرة على الجهة اليمنى يزداد الجدول ليكوّن شلالا صامتا من المياه، و لكن بعد مرورنا بخمسة عشر دقيقة تدفق الشلال أمامنا أطنانا من المياه.

كان قاع الجدول فى (تانج) لبضع مئات من الياردات للأسفل، ناعما و خاليا من الحجارة البالية، و هذا يبيّن قوة اندفاع المياه؛ لذلك غطسنا فى مجرى (الدول) لدقائق قليلة التى بدأ فيها كل من فى القافلة يضحكون و يصيحون و يتكلمون دليلا على شعورهم بالارتياح. الآن نحن بمنآى عن الخطر لسرعة انفتاح التيار المائى فورا، و قد ظهرت على جوانبه ضفافا مسطّحة التى عليها يمكننا أن نجد ملاذا لنا. و بدأ أكثرنا يشكو الله لنجاتنا متجها للبحث عن مكان مناسب لنخيّم فيه. عموما، ظهر لنا بأن «جازو» لديه ركنا معينا يتوفر فيه حطب الوقود و علف الجمال.

لقد عزم «جازو» أن يكون اليوم الأول له كمرشد، يوما ناجحا بتواجده فى لهذا المكان، و لكن المطر كان شديدا، و الرعد و البرق اشتد أكثر فصرخ الرجال «هوران هوران» إنه المطر- إنه المطر .. و فى حوالى الساعة السابعة و عشر دقائق كنا نجلس على ركن عال من الصخور تطل على واد ضيق يمر به مجرى ماء هائج، و بعد فترة وجيزة كنّا جميعا فى المأوى الصخرى. و كان الرعد و البرق لا يزالان مستمران و الريح تهب الآن من جهة، و أيضا تعصف من جهة أخرى محدثة صوتا لم أسمع مثله من قبل.

بينما كنا ما زلنا نراقب الأمطار، زاد هطوله بغزارة أكثر، مما أرعب

رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٦٢

الرجال فى بادئ الأمر، بعد ذلك ساد المرح و الكثير من المزاح أثناء نصبنا الخيمة، و بعد نصف ساعة توقف المطر، فأشعلنا النار و غططنا فى نوم عميق بالرغم من أننا كنّا لا نزال متوترين من السيول التى غمرت المكان حولنا.

فى اليوم السادس لم ننزع مخيمنا بعد الظهر لأننى كنت أود رسم (تانج) و أن أعرف ارتفاع دائرة نصف النهار. فى الصباح كنت أتسلى مع «على شاه» الذى عيّن نفسه خادما للطاولة و رتب كل شىء بحذر من أوراق و بوصلات الخ .. و لم يدع مزاحه أبدا، حتى أنه فى بعض الأحيان كان يقف عند باب الخيمة و فى يده طبق من الشوربة ليقدمه إلىّ و لكنه فى نفس الوقت نفسه يجد الفرصة ليكمل مزاحه مع سائقى الجمال.

و بينما كنا نتناول الإفطار صباحا مرت بنا قافلة من ثلاثة «بشكارديين» مع عشرة حمير صغيرة و لكن نشيطة، و قد سألونا بشغف كيف قضينا الليلة الماضية و قد رافقتهم حتى (دول) و لاحظت أن الممر ما زال وعرا للجمال، و لكن الحمير الصغيرة كانت نشيطة فتسلقت و دارت حول عدد من الأغادير التى ترغم الجمال على اقتحامها و الغوص فيها. و فى طريقنا أيضا وجدنا بطّة وحيدة قام بصيدها أحد الرفقاء و فجأة و بشكل غير عادى أصبحت الجداول مرتفعة و قد كانت تجرى بين التلال التى ظهرت كصخور قاحلة.

بعد الظهر بدأنا سيرنا إلى (ماريخ) نفس الطريق الممطر الذى سلكناه، و هنا أيضا واجهتنا العاصفة القوية، و بالرغم من أننا كنا خارج مجرى الجدول إلا أنه كان علينا أن نقوم بحفر قناة حول الخيمة. و بعدها خلال عشرون دقيقة كان مكان الطبخ قد أصبح

جدولا يغلى بالوحل. و الخور أكثر اتساعا كل دقيقة أو ثلاث دقائق إلى أن أصبح عرضه ثلاثة أقدام.

و كان حجر البرد يطقطق حولنا و طول كل منها حوالى بوصة و فيها نواة

رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٦٣

سوداء اللون، لذلك قمت بجمع بعض منه لعمل بحث علمى عليه.

فى الساعة الخامسة مساء أشرقت الشمس مرة أخرى، و أنا جالس مستمتعا بأمسية جميلة بجانب النار المشتعلة فرحا لتوفير علف الجمال بكمية جيدة و كافية.

طيلة ذلك الطقس الجميل تعودت أن أتناول عشائى قريبا من نار دافئة بجانب راكبى الجمال لأستمتع بمزاحهم و قصصهم الجميلة، فالبلوش هم أفضل أشخاص فى العالم من حيث موافقتهم على الرحلات و السفر. فهم فى وقت الشدائد يعملون بأمانة و نشاط كالجن. و دائما فى المخيّم يبدون معى مسرورين و أحاديثهم واضحة أكثر من أى شخص جلست معه أو سمعت عنه. فهم أيضا عنصر طيّب و لهم قدرة قوية على المرح مع طبيعتهم المحبّبة.

فى صباح اليوم التالى السابع من الشهر بدأ ستة من الرجال فى رفع الخيمة التى كانت ثقيلة و رطبة بفعل المطر و وضعها على ظهر الجمال.

و قد أصبح واضحا لنا عند ما نبدأ مسيرتنا تبدأ معها المتاعب. لقد ظهر أمامنا سقوط المياه منحدرة من الصخور العالية مشكلة بركة كبيرة من الصخور القوية بطبقة طينية على كل الجوانب.

و هنا علينا أن نقوم بقطع أشجار نبات الطرفاء لعمل معبر للجمال، و فى حوالى الساعة الحادية عشر خرجنا من الجبال، و بدا لنا أننا أخيرا قد وصلنا إلى القرية. أمامنا هنا سهلا منبسطا «مالحا» تقطعه ممرات مائية عميقة، و تقع خلفنا سلسلة من الجبال القاحلة حمراء اللون.

كان «غلام شاه» مع الجمل «ماهرى» خلف القافلة، و لكنه بفعل طبيعة الجو كان فى الخلف مختفيا عن النظر. هنا ظهر لنا طيفا غير عاديا.

أشخاصا بملابس رثة يضعون شيئا ما ملفوفا على رؤوسهم لا يمكن أن

رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٦٤

نتصور مدى الدهشة عند ما رأى رجالى هؤلاء الأشخاص الطويلى القامة ذو الأنوف المعكوفة و اللحى السوداء الخشنة. إنهم لم يروا أو يسمعوا عن شخص مثلى إفرنجى. فهؤلاء قوم مسلحون حتى أسنانهم بالسيف، و الترس، و البندقية، و السكين و الدرع الحديدى. كما أنهم يظهرون بزيهم الرئيسى الذى يتكون من لباس خفيف و زهيد ملفوف حول الوسط و صندل أخضر اللون و طاقية للرأس. حقا إنى أعتقد لو أنهم رأونى قبل أن أراهم.

لكانوا قاموا بقتلى ليس لأى حقد بل فقط ليروا ما هو جنسى. المهم أننى لدى كتابة مذكراتى عنهم اقتربوا منى فقمت بكتابة ملاحظات طيبة عن قائدهم.

و بالرغم من أن الرجال لا- يعتقدون بالخرافات حيث كانت نظراتهم الثابتة على الجهاز الغير معروف تشير بل تثبت لى مدى حيرتهم. و لكنهم كانوا على وشك أن يمضوا فى طريقهم. هذا ما لم أرغب به لأننى كنت متشوقا أن أسألهم عن أى شىء بالنسبة للطريق، و أماكن التخييم إلى آخره.

و عند ما بدأت الحديث معهم باللغة البلوشية، اقتربوا منى و هم يتذمرون و قد وضعوا بنادقهم أمامى و بدأوا فى الأسئلة «من أنت»؟ «و ماذا تكون»؟

«من أين أتيت»؟، «لماذا تتحدث بالبلوشية»؟ «نحن بلوش»، «أين جملك»؟
«و إلى أين أنت ذاهب»؟ ... الخ.
لقد انتظرت لحظة بهدوء تام حتى أكملوا حديثهم، ثم جاوبتهم بصوت منخفض «السلام عليكم»، و فى الحال أظهروا احترامهم و تهذيبهم، لاحترامى الشديد الذى دفعهم للسلوك الطيب. أيضا كان بإمكانى من أن أتظاهر بالأدب لمصلحتى فى ذلك- لذا أكملت ردا على تحيتهم:
«السلام عليكم»
«أهلا و سهلا»
رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٦٥
«نتمنى لكم السلامة»
«كيف حالكم»؟
«كيف أهل البيت»؟
«إنهم طيبون بإذن الله»
«ما هى الأخبار»
«ليس عندى أخبار»
«أنا بخير، عساكم بخير كذلك»
ثم بدأنا التحية مرة أخرى حيث أنه من غير اللائق أن نتوقف أولا عن تكملة القاء التحية حتى تبدأ القافلة بالسير، و عند ما بدأت الجمال تسير واحدا يلو الآخر سمعت اثنين من هؤلاء الرفقاء يتحدثان و قال أحدهما:
حسنا إننى قد عشت حوالى ٣٠٠٠ سنة، و قد سافرت لمعظم بلاد بلوشستان، و لكننى لم أرى بحياتى رجلا يملك كل تلك المقومات.
و عموما، لم تكن هذه الصدمة الوحيدة له، لأننى فى اللحظة التى أخذت فيها دفتر مذكراتى لأدّون فيه ملاحظتى لصديق لى فى (جاسك) لأخبره عن نجاح رحلتى حتى الآن، كانت عيناه تحدّقان فى الدفتر و الورق التى لم يرى مثلها فى حياته، و بدأ يقلبها بين أصابعه بشكل طريف للغاية. و يقول و هو مندهشا، أوه .. أو إنها رقيقة جدا، «و كيف إنها بيضاء كالحليب و الله» و قد مسح عليها بعصاه حيث تركت علامة سوداء على الورق. ثم أخذ القلم و هو يتعجب و يقول لصديقه «انظر إنه شيئ عجيب كيف يكتب و يعلم إن له قلبا أسودا.
و بعد أن بدأت القافلة فى التقدم الآن أكثر، ركبت الجمل «ماهرى» الذى جثم بالقرب منى مع «غلام شاه» و قدته فورا للمقدمة، حينها لم أكن
رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٦٦
أعرف أن للجمل «ماهرى» سرجان، حيث جلس فى السرج الأمامى غلام شاه و هو يحمل التلسكوب و الترموميتر، و المنظار المكبّر و غذائى أو عشائى من الطعام، و كان «غلام شاه» باقيا بجانبى و نحن نتأرجح معا على الجمل، و قد سبقنا القافلة بحوالى ساعة تقريبا، أى ۶ أميال، إلى أن وصلنا إلى كهف، فجلسنا تحت ظله لتناول الغذاء. و كان المطر الذى لا مفر منه قد أدركنا هنا. عموما، واصلنا سيرنا و فى حوالى الساعة الثالثة خيمنا على ضفة (خور شريفى) تتمتع منطقة شريفى هنا بواد ملىء بالأشجار الجيدة، و هنا وجدت الجمال علفها الجيّد من شجر «الكافور» و الذى تأكل مثله منذ مغادرتنا بلدة (كيكن).

فی هـذا المساء و بواسـطة «جهاز الترمومتر» وجـدنا أنفسـنا بعـد كل الجهود بين الصـخور و الجبال و لا حظنا بأننا قد ارتفعنا فقط ۶۰۰ قـدم. ثم شاهـدنا عدة ممرات جبلية، و ماشـية الجبال، و حيوانات أخرى جيدة تسـتحق الصـيد. و بكل بساطة أقنعت «جازو» للبقاء هنا للتمتع بهـذه الرياضـة، كما أنه يمكننا من أن نجفف الخيمـة، حيث أن الجمال و سائقوها قـد قاموا برحلـة طويلـة و من الأفضل لهم أن يأخذوا قسطا من الراحة.

اليوم التالی كان لنا صـباحا جميلا، فقمت بسـرعة بتبديل ملابسـی و أخذت بندقيتی الصغيرة و خرجت من الخيمة و جلست أمام النار لأشاهد تجهيز طعام الإفطار، و قد كان ذلك أجمل صـباح فی حياتی. فكل شـیء يشـعرنی بجمال الطبيعة. رائحة الحطب و هو يحترق فی الجو البارد النقی، و صوت نقرات طائر الخشب الكبير الوحيـد فی البلد يتسـلل من بين الأشـجار القريبة. كل ذلك كان رائعا بتفاصيله الدقيقة التی تركت آثارها الجميلة فی ذاكرتی.

لقد كان مخيّمنا بصورة رائعة الوصف فهناك علی ضفاف (خور الشريفی) الذی سيقودنا لمرحلتين أخيرتين من رحلتنا، و كانت الخيمة

رحلة الكابتن فلوير، ص: ۱۶۷

منصوبة علی عشب الربيع الأخضـر و خلفنا كانت سلسـلة من التلال البنفسيجية و الحمراء تدعی (اوشدانداری). و علی بعد بضعة أقـدام حول بقايـا النار، تمـدّد الرجال و هم ما يزالون يلتقون بستراتهم الضـخمة التی تسـمی «بالبالاكس» أو «هيری هيريس» لقد رفضوا أن يعترفوا بالاسم الفارسی لملابسهم و هم يقولون «لا لا، نحن البلوش نسميّها البالش».

بسرعة قام «غلام شاه» بتجهيز البيض و الشای و «جازو» كان جالسا لتحضير التمر و الخبز. بعد أن فرغنا من الطعام بدأنا سيرنا عند شروق الشمس الذی غطی التلال و قد انتشر نورها الساطع الدافئ علی كل شیء.

بعد ذلك وصـلنا إلی منحدر فی وادی ضيق فی تلال (اوشدانداری) حيث وجدنا هنا آثارا لصيد كثير. فجأة وجدت صديقی قد أصـبح دليلا مسـكينا ثقيل الحركة يجر رجليه محدثا صوتا و كأنه شـخصان يمشـيان، إضافة لذلك فقد ظهر عليه الإعياء من برد شديـد. و فی هذه اللحظة التی بدا فيها كل شـیء ساكنا كان صديقی يهتز بسـبب السـعال الذی أصابه فجأة و ارتعد له جسـمه. و عند ما ذكرت بأن مرضه هذا سيصيبه بما يشبه العمی المؤقت فسيكون من الواضح عندئذ أنه لن يظل الدليل، و المساعد النشيط. و لكن من غير الممكن أن أغضب من صديقی القديم بالرغم من أننا قد أخفنا بصوتنا قطيعان من ماشـية التلال، إلا أننی تمتعت بالتسلق المنعش و بجمع بعض النباتات لإضافتها لمجموعتی.

هـذه المنطقـة لا يسـكنها أحـد سوی أننا تقابلنا فقط مع خمسة رجال طوال رحلتنا منذ بدأناها من الساحل، حتی أننا كذلك منذ يومين لم نصادف أحدا فی طريقنا.

فی صـباح اليوم التالی و بعد جولة صيد فاشلة بدأنا سيرنا إلی أعلی (نهر شريفی) المتفرع من نهر (جغين) كان القاع هنا محصورا و فيه كثير من

رحلة الكابتن فلوير، ص: ۱۶۸

الصـخور الضـخمة، بسـعادة غامرة تسلقنا هذا الصخر الشديد الإنحدار و عبرنا السهل المنبسط الذی تقطعه المنحنيات الكثيرة. هنا بدأنا نواجه أسـرابا غير عادية من الجراد المهاجر، و لكثافة هذه الحشرات التی كانت تطير فی السماء كادت تحجب الشمس عن الأرض كالغيم، و كانت جميعها من النوع الأحمر الثمين الذی يصلح للأكل.

بالرغم من أن الرجال الـذين كانوا فی المخيم يزدرون أكل الجراد إلا أننی قد شاهدت «عبد الله» يقوم بعصـر المادة الصـفراء من الجراد و يأكلها بتلـذذ. و يبـدو أن جميع الرجال يعتبرون الجراد من أفخر الأطعمـة لتقديمه علی الطاولة أكثر من أنه مدمر لجميع

الزرع و يلتهم بسرعة أى نوع من النباتات التى تغطى المناطق و كذلك الشجيرات فى مجرى المياه. أيضا بترحاله المتواصل فى هذا الفصل من السنة يأكل الجراد عشب الربيع الأخضر بما فيه الكفاية و لكن عند ما يحل الصيف و يحترق الزرع من الحرارة أعتقد بأنهم سيموتون جوعا. إننى أذكر شيئا مهما قد حصل فى بلدة (هنجام)، لقد كان الجراد يأكل الجراد الميت ليعيش و لكن عند ما يدخل شهر يونيو سوف لا يكون هنا أى جراد فى المنطقة.

كان هناك أيضا سربا من طيور الطهبوج و هى من فصيلة الدجاج و كذلك طائر الحجل. و قد قضيت وقتا طويلا فى اصطياد طير الطهبوج. و فى الساعة الثانية و خمسة و ثلاثون دقيقة مساء وصلنا ثانية إلى نهر (شريفى) الذى يبلغ عرض قاعه حوالى ميلا واحدا. أما مجموعة الضفاف المتكونة من الطين و الوحل يبلغ ارتفاع الواحدة منها حوالى ستون قدما. بدا لنا القاع مغطى بالنباتات البحرية ذات الطعم الحلو. و لكن جمال الساحل لا تبالى بالأكل من تلك السموم، لأنها تتغذى على حشائش البامباس، من ضمن النباتات أيضا كان نبات «سبارتا» و هو نبات ذات أوراق ناعمة و هى أكل مفضّل لدى الجمال و كان متوفرا بكثرة. أما نبات «التراث» الذى يعتبر

الطعام الصحى للجمال و بغيره لا يمكنها الحصول على قوتها، فقد حاولنا جهدنا لنعثر عليه و لكن لم يوجد منه شيئا.

بعد حوالى ثلاثة أميال من دخولنا للنهر، وصلنا إلى غابة صغيرة من أشجار التمر و كان هناك كوخا وحيدا بالقرب من هذه الغابة، فنصبنا خيمتنا فيها و حينها لا حظنا صاحب هذا البستان مشغولا فى إشعال حطب بعض النباتات التى لربما دخانه يدفع الجراد ليطير بعيدا عن هذا المكان الذى كانت فيه مساحة مزروعة بالقمح. كان راعى هذا البستان لأول وهلة خائفا من قافلتنا، و لكنه تعاطف معنا بعد ذلك و باع لنا بعض البيض و حليب بثمن باهظ. و فى هذا المكان أيضا قمنا بذبح آخر شاه من الثلاثة التى جلبناها معنا من (جيكن) و كان لا بد من ذبحها لانقاذ حياتها؛ و ذلك لأنها أصبحت وحيدة فى القافلة بعد أن قمنا بذبح رفيقتها، و بعد أن عاندت فى سيرها لشعورها بوحشة تامة، ربطت مع الجمل من عنقها، و لكن أدى شدها له باستمرار إلى قطع الحبل من طرفه.

خلال سيرنا تنبهت للمناقشة التى دارت بين «إبراهيم» و اثنين من رفقاء الرحلة الصغار. فحديثهما كان عن الأمطار التى سقطت بغزارة و كيف أنهما بإمكانهما أن يكونا بوضع جيّد عند قيامهما باتفاقيات عمالية. بعد سقوط الأمطار هذه السنة بكثرة عن السنين السابقة، فزراعة القمح الواسعة فى (مكران) تستلزم شيئان: عدد من العمال مع كمية الأمطار هذه لتحويلها للزرع. و بعد أن بدأ هذان الرجلان رحلة شاقة و طويلة لبلاد عدائية و أخرى غير معروفة، و بعد أن أصبحا على مقربة من بلدهما، سنحت لهما الفرصة الآن للعيش فى رفاهية بدلا من متابعتهم القيام برحلات أخرى خطيرة.

بدأ هذا الموضوع يدور فى رأسى بدقة و لبعض الوقت قبل أن أتخذ أى قرار فيه. إن شيئا واحدا لم أتمكن من معرفته من ذلك الحديث الجاف الذى كان مبررا ظاهرا للغضب الظاهر فى أعينهم. للمرة الثانية لمّح لى

«إبراهيم» بحديثه عن مضاعفة أجرهم لحل أى نزاع و لكننى لم أصدقهما فتحدثت مع إبراهيم بعنف (حيث أنه ليس من الممكن أن يفرض عليه شيئا من هذا القبيل)، و قلت له بأنى لا أصدق هذا القول لأننى أعرف الكثير عن البلوش منذ سنين عديدة فهم لا يقومون بفعل شىء يدل على عدم رجولتهم، فهم إذا وعدوا و أعطوا كلمة يلتزمون بها، و ليس من الممكن أبدا أن يصحبوا رجلا منذ البداية ثم يتخلو عنه بعد ذلك و هو فى أول الطريق.

(لربما كان على شاه قد رفض نوعا من الاحتقار و لذلك يفعلون هذا الشىء).

إن ما مرّ من أحداث طوال الوقت كان مجرد رغبة، بعد ذلك سارت الأمور بجميع المراحل بشكل سليم.
فى صباح اليوم التالى بدأنا السير و كان علينا أن نمشى حوالى تسع ساعات متواصلة. و خلال الساعتان و النصف الأخيرة كنا نأخذ طريقنا إلى أعلى و أسفل بين الصخور و الممرات المائية فى الظلام الشديد و فى اتجاه غير مؤكد بأنه صحيح أم لا.
على كل يجب علينا أن لا نسبق الأحداث فى رحلة زاخرة بالحوادث المفاجئة التى قادتنا فى الحقيقة للترحال عبر حدود بلاد رائعة (باشاكارد).
و نحن فى هذه البلاد الآن «حسب معلومات السكان» سنجد أشياء مذهلة. أكثر ما فى هذه البلدة كان غير سالكا، و كان هناك شيئا ما عبارة عن جسم ضخم كالشيطان يدعى .. «هيرس» بجسم هائل كالرجال الضخمة. بعد ذلك أيضا كان هناك قلاعا ضخمة البناء قد بناها «رستم» نفسه فى عصر قديم، كذلك كان علينا أن نشاهد الكثير من الأشياء المهمة التى وصفتها كما هى فى الصفحات المقبلة بأقل تعديل تعتبر البلدة بدائية،

برغم من التأشير عليها فى الخارطة منذ أيام «بوتينجر» لم يدخلها بعد أى شخص أبيض. حتى خارطة «الماجور سانت جون» التى كانت مطبوعة فى موطنى حددت عليها عاصمة البلدة (أنغهوران) على بعد أربعون ميلا من موضعها الأصلى.
فى صباح اليوم التاسع كنا قد تأخرنا قليلا بسبب الجمال لأنها كانت هائجة، نود أن نجد مدخلا إلى العشب، و بسبب هذا فقد خلعوا المقبض الخشبى من أنوفها حيث يربطها باللجام. و قد قضينا نصف ساعة للتحكم بهذه الحيوانات، فقد كانوا يتألمون جدا خاصة الجمل الكبير «جاسكى» الذى أفلت رقبته فقام خمسة رجال بالسيطرة عليه بعد تهيجه الشديد لوضعه المؤلم هذا.
بعد تسوية هذه الحادثة بدأنا سيرنا من ضفة النهر و مررنا ببقعة مزروعة بالقمح من النوع الطيب المذاق الذى يحبه سكان القرية الجبلية و كانوا يسمونه «سونايتى».
كان طريقنا جميلا و بهيجا بما فيه الكفاية بين سنابل القمح و أسراب من الطيور زاد فى جماله منظر الصخور الفائق التصّور، و لكن فاتنا فى هذا الصباح تغريدا رائعا لطيور الحجل أو الطيور ذات الأرجل الصفراء. حتى الآن لم نصل بعد لبلدة طيور (الكابج) أو طيور الأرجل الحمراء التى تطير بنظام ثابت على علوّ منخفض و صوتها المنخفض بنبرة «كوك، كوك، كوك».
اليوم فقط عرفت حقيقة غريبة و هى أن الجمال الذكور تعرق فقط فى مؤخرة رأسها أما الإناث منها فإنها لا تعرق بالمرة؛ لذلك لم أكن أعرف حقيقة هذا الأمر لأن جمالى كانت جميعها ذكورا.
لقد عانينا كثيرا فى تلك الرحلة من الصعوبات التى واجهتنا بسبب عدم

وضوح معالم الطريق. و قد علمت اليوم ما بين الساعة العاشرة و خمسة عشر دقيقة و حتى الخامسة و النصف، حسب ما ظهر فى البوصلة، و بالمقارنة مع الأيام الأخرى، إنه ما يزال هناك صعوبة كذلك لعبور سبعة تلال أخرى عمودية الشكل إضافة لما سرناه تبعد الواحدة عن الثانية ميلا أو نصف ميل. و فى الساعة الثانية بعد الظهر عند وصولنا إلى نقطة تلاقى ثلاثة روافد لنهر (الشريفى) تركنا القاع الرئيسى للنهر لنتابع القناة الشرقية، و هنا جمعنا القافلة بعد أن تجولنا حول المنطقة و وجدنا أماكن كثيرة للتوقف.
و ما أن اقتربنا من المكان الذى قررنا التوقف فيه حتى سمعنا صوتا يصيح «هلى واجى هلى، بالله عليكم أن تأتوا إلى هنا لقد انكسر الدواء و قد يحرق الجمال و يقطعها إربا. إنه بلا شك شىء مثير و لم أستطع طبعا أن أخمن ما قد حصل. و بأقصى سرعة ذهبت إلى الرجال حيث يقفون، فوجدت قطعتان من القطران قد انصهرت فى الجراب و ذابت بفعل حرارة الشمس فى ساعات

الظهيرة و سألت عن كل شىء و انبعث منهما رائحة قوية غير محتملة أزعجت الرجال. لقد كانوا دائما فى هلع و خوف شديد من أدويتى.

حيث كان حسن هو المكلف بحمل شنطة جلدية تحتوى على النترات قوية، و الكبريت و «حامض المبورياتيك» لفحص المعادن. و على الرغم من أنها كانت مغلّفة بعناية إلا أن الحقيبة قد تفحمّت يوما بعد يوم بفعل هذه المواد، و عند ما شاهد الرجال هذا المنظر اعتقدوا بأن كل شىء سيحترق بفعلها.

فقط وجدت جواربى الاحتياطية تالفة لأنها كانت ملتصقة مع بعضها.

أما باقى الأشياء فلم يحصل لها أى شىء، عندئذ وجدنا فى طريقنا شجيرات عجيبة يطلقون عليها اسم «بان» فهى فى الحقيقة تنتمى إلى فصيلة «الفينستوكسيكوم» فمئات الفروع اللامعة منها ثبت فى الوسط و ليست لها

رحلة الكابتن فلوير، ص: ۱۷۳

أوراق و إذا ما ضغط عليها فإنها تخرج ما يشبه اللبن الأبيض و لكن مرّ الطعم. و عند ما تموت هذه الشجيرات تموت معها الجذوع. بعدها يتشعب فى منتصف الشجيرات شيئا يشبه الجذور الصغيرة.

أدركنا المساء و نحن ما زلنا نخوض فى سيرنا ضفاف السيل حتى وصلنا لنقطة التقاء جدران المجرى مع بعضها البعض، فوجدنا أنفسنا فى ممر أسفل فجوة عميقة.

كان جدار المجرى يرتفع حوالى ثلاثمائة قدم و يكسوه الطمى الأزرق و صفائح «الكورتز» و هو معدن شبه نفيس. أما الحواف فكانت أمامنا كأنها ممشطة ذو أسنان، المياه هنا كانت قوية و بعض عناصرها قد غيّرت الطمى إلى حجارة زرقاء قوية.

بدأ «جازو» يبحث عن واد ليقودنا خارج هذه الفجوة، ثم قال هنا يرقد جدودى، بعدها وجدنا اثنان أو ثلاث مخارج توقفنا أخيرا و أشعلنا المصابيح و استرحنا هنا لنكتشف بعد ذلك بسيرنا إحدى الأماكن القديمة المحببة لدى «جازو». و بعد مجهود كبير نجحنا فى أن نصعد بالجمال و الخروج بها من الممر. و عند ما وصلنا إلى أعلى وجدنا منحدرا شديدا، و بعد أن عبرنا مجرى الجدول وصلنا إلى (دازاكا) فنصبنا الخيام فيها. لقد كان صعودنا اليوم حسب مؤشر «الباروميتر» حوالى ۲۶۵، ۲۷ و تمثل ما يقارب ۵۴۰، ۳ قدما. ثم اضطررنا أن نأخذ بكلمة «جازو» عن عدم وجود «جور» حولنا، و ما كان علينا إلا أن نحل الجمال لترعى من شجر «الكاهور» الذى برغم قلته كنا متأكدون من أنه هناك بالمكان.

رحلة الكابتن فلوير، ص: ۱۷۵

الجزء السابع: [الريس على- الأمير يوسف- سيف الله]

إن جبل (راستو) الذى نحن به الآن ونود قطعه سيرا ليس به أى شىء غير السلاحف العجيبة، و بينما نحن نخترق مجرى السيل و مقابلنا تماما كانت هناك صفوفا من المنازل و التى يستعملها المواطنون هنا لحراسة بساتين النخيل. من على قمة (راستو) شاهدنا منظرا جميلا. و عبورا للجهة الشمالية نحو الأفق و على أبعد مسافة تقع سلسلة جبال (مرز) الشامخة التى تمثل مقاطعة (مرز).

رحلة الكابتن فلوير، ص: ۱۷۷

فى اليوم الثانى استيقظت مبكرا و أنا متلهف أن أرى كيف هى حالة الأراضى التى أنا فيها اليوم. كان هناك رسما ليد رجل على حائط قديم الذى كان فى وقت من الأوقات قريبا من قطعة أرض مزروعة بالقمح، و على مقربة منه أيضا كانت هناك شجرة ضخمة من شجر النخيل هى الوحيدة التى بقيت من جميع أنثى أشجار النخيل التى كانت تملأ الأرض قديما.

بينما كنت أستمتع بوجبة الإفطار التى كانت تتكون من لحم فخذ بارد و مخلل و كاكاو مع احتفاظنا بكل ما يدل على التحضر

الفاخر، أخبرنا «على شاه» عن وصول أحد الممثلين الدبلوماسيين من «ريّس على» حاكم (باشكارد) التى كانت حسب معرفتى بجانب (أبينى باند) المكان الذى خيّمنا فيه. و كنت تواقا لاعطائه إنطباعا جيدا عنا فكان ردائى القرمزى اللون موضوع على يد المقعد و قد طلبت قهوة و غليون.

رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٧٨

بعد ذلك استدعيت زائرى. دخل المكان و هو يردد بفخر سلام البلوش الطويل. و قد عرفت شخصية الزائر من بندقيته الطويلة المكسوة بالفضة، و حافظة سيفه ذلك يدل على أنه شخصية اجتماعية رفيعة المستوى.

و بالرغم من أنه لم يشأ أن يظهر اهتمامه، إلا أن الدهشة بدت عليه عند ما رأى خيمتى و السجاد المريح، و أكثر من ذلك حلقة البراميل المثبت فيها أعمدة الخيمة، و قد كان منبهرا بعظمتنا، و بكل بساطة كنا لا نجد صعوبة فى الرد على أسئلته، و عند ما سألنا لماذا أتينا إلى هنا كان «إبراهيم» جاهزا للرد عليه. لم يكن تقديم القهوة مقبولا منه بالرغم من أن تقديم القهوة هو دليل على الاحترام و لكنها غير مرغوبة لمرارتها. و لا حتى الغليون المحضّر بتبغ شيراز الجيد لم يكن حارا ليناسب ذوق البلوش الذين يدخنون مثل العرب نوع من التبغ اللّاذع و الحاد الرائحة و لا يفضلون النوع الخفيف الطعم.

كانت مهمته تقديم دعوة من «ريس على» و الذى كان مخيمه بعيدا عنا حوالى ميل واحد، و قد جاء ليرشدنى إلى ذلك المخيّم. برغم هذه المفاجأة إلا أننى أكدت له و أنا أحمل الكرة بيدى قائلا: و سوف أفكّر باقتراحه، و لمّحت له كذلك أنه لم يكن لى من قبل شرف مقابلة الريس بنفسه. و رأيت أنه من الأصلح لى أن يقوم نائبى بالزيارة الأولى، و هنا أخذه «إبراهيم» خارجا لمناقشة العمل الحقيقى للاجتماع. ملاحظاتى لشخصية مشهورة كهذه كان لها كثيرا من الاعتبار و الاهتمام. و قد لا حظت ذلك فى مناسبات عديدة ما مدى الفرق بين التأثير على هؤلاء الجهلة من البلوش الذى لا يتسلل إلى نفوسهم و بين أولئك الفارسيين الأكثر مدنية و حضارة.

جاء إبراهيم بعد ذلك ملحا علينا بالذهاب فورا إليهم لأن الأمير

رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٧٩

«يوسف» من (جاسك) كان موجودا مع «الريس على» كذلك كان الأمير «شهداد» شقيق الأمير «يوسف»، و مع هؤلاء الحكام كان إبراهيم يحاول أن يجعلهم متقاربين و متحالفين مع بعضهم البعض.

أما بخصوص وجود خطورة علىّ من أهالى «بشكرد» فقد أعاد لى ما ذكره طول الفترة السابقة أن واحدا من بلوش (مكران) الجيّدين يساوى ستة من (الباشكارديين) و أنه مع الرجال الذين معى سوف يحموننى فى المناطق بعد هذا الإقليم.

و فى الثانية عشر و النصف حملنا أمتعتنا و رحلنا عبر الصخور لمسافة ميل و نصف فى اتجاه الغرب. و فى طريقى كان جلّ اهتمامى مركزا على «تاجو» الذى كان يسير بجوار جملى يقظا لكل ما هو غير عادى، و كنت أشعر متى كان يريد أن يتحدث إلىّ أو يخطرنى بشىء ما، و لما كان يدرك أننى فهمت مقصده كان يحاول أن يلتقط من ذاكرته المشوشة جملا باللغة العربية التى اكتسب منها بعض أجزاء لخمسة أو ستة عشر كلمة .

رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٨٠

لم أجد الفرصة حينذاك فى بلدة (هنجام) لدراسة لهجة أهل الباطنة من بعض القراصنة الذين كانوا عابرين بسفنهم الشراعية و ذلك فى ليلة واحدة تقريبا، و جميع دراساتى العربية التى تعلمتها من خلال الأربع سنوات لم تفيدنى بأى شيئ مع هذا الرجل و لهجته. و المحادثة التى كانت بيننا الآن بها الكثير ما هو فى لعبة» Buz «أو لعبة التخمين، و لكن مع قليل من الصبر استطعت فهم الحديث فقلت: «جى يسيرون، هذين الاثنين، يبغون فلوس» (و هذا يعنى أن الاثنين سيرحلان و يريدان دفع أجرتهما هنا).

إن هذا على كل لم يزعجنى كثيرا، لأننا سنبقى حوالى ثلاثة أو أربعة أيام داخل الخيمة لحين دفع أجور جميع الرجال، و صديقىّ الاثنين سيبقيان لذلك أيضا، لأنهما فى الحقيقة لم يكن لديهما الشجاعة ليخبرانى أنهما راحلان. فهما يعتقدان بأن لديهما ثلاثة أسباب قوية لطلبهما دفع الأجرة مقدما، و حتى لا أثير شكهما برفضى كنت أحاول دائما أن لا أتقرب منهما حتى هذه اللحظة.

بعد ذلك صعدنا إلى أعلى هضبة طينية ناعمة زرقاء ثم انحدرنا إلى الجهة المعاكسة و وجدنا أنفسنا فى ممر ضيق منخفض تابعنا سيرنا فيه حتى وصلنا إلى سفح (ابنين باند) الذى يعلو ٣،٠٠٠ قدما فوقنا و هنا أرشدنا قائدنا للمكان الوحيد المنبسط الذى ممكن أن ننصب به خيمتنا. و حتى تنصب الخيمة فرشت سجادتى و وضعت الكرسى الخاص فى طرفها و بقينا ننتظر «الريس» و أصدقائه. أولا جاء «شداد» و «يوسف» و هما الزعيمين لساحل (مكران) من الساحل مع بعض رجالى الذين وقفوا يظهرون ولائهم بصور مختلفة لهؤلاء الحكام، فأخذوا مسرعين يقبّلون أيديهم.

إن هذين الحاكمين الصغيرين ذوى البنية الطويلة بطلعتهما القوية كانا محترمين جدا لتسامحهما و كان الترحيب بينهما و بين الرجال باديا على جانب عطوف من جهة و مخلص و ودى من جهة أخرى، و كأن كلام

رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٨١

الرجال لأصدقاء قدامى و ليس لحاكم و رعيته. يبدو هناك مؤشر ولاء جامح فى حياة الرفقاء و فى طريقة معيشتهم و التى تضع كل رجل فى مكانته المناسبة.

بسرعة جلس أصدقاؤنا الأعزاء على يسارى، و قد تقابلنا من قبل على الساحل و لكن كان ذلك قبل سنوات، و ما أن قال: «إبراهيم» أننى «فالو- وار» و هو يعنى «فلوير» بلغته البلوشية حتى بدأنا نكون ودودين لبعضنا البعض- ثم تحدثنا عن الصيد قديما فى فى (جغين) و تلال (باركو) و كنت أعرف بأن الحكام جاءوا للمفاوضة فى عمل تحالف جديد مع الريس، و النقطة المهمة كانت فى أن يمنحهم بعض الرجال لمساعدتهم ضد غريمهم «عبد النبى» الذى ذكرت سابقا أنه كان فى (ميناب).

مبعوثنا فى الصباح كان «دور گوش» أو (صاحب الأذن اللؤلؤية) قال إن الريس سيحضر هنا فورا. و فى الحقيقة فى هذه اللحظة شاهدنا الرجال يتسلقون الممر المرتفع، و بعد قليل من تقبيل الأيدى جلس الرجل العظيم بجانبى و لكنه كان متواضعا و تذكرت قول «إبراهيم» فى أهالى (بشكرد) و هدوئهم و سلاسة تعاملهم ..

و على جانبى الأيسر جلس أمراء (مكران) بلحاهم السوداء و حواجبهم الكثيفة، و على رؤوسهم عماماتهم الكبيرة و بعضهم يرتدى رداءا قرمزيا جميلا ذو أزرار فضية و الحزام الذى كان يثبت به السكاكين و السيوف.

و لكن على جانبى الأيمن كان الفارق واضحا، فقد جلس رجل ممتلئ القامة ببشرة شاحبة مصفرة بدون لحية أو شارب أو أى صفة رجولية مميزة. كأنه الإمبراطور (كلوديوس) يلبس فقط قماشا يلفه حول وسطه و قميصا أبيضا ليس به حتى أى تطريز أو إشارة أو علامة ملكية التى تثبت عادة فى الأمام.

رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٨٢

كان أسلوبه فى الحديث صاخبا بشكل ساذج مما يحقر ذلك من نفسه و يحط من قدره، و عند ما قدمنا له الغليون رفضه لأنه كان رجلا بسيطا و مسنا و لم يفهم أشياء كهذه، بعدها دار علينا لتقديم طبق به قليل من السكر، كان يطلب و هو يتظاهر بالتواضع قطعتان من السكر لابنه الصغير و عند ما قدم له زجاجة مليئة بالسكر أخذه فرحا شاكرا. لقد حضر «عبد الله» و قال مستسلما إن الأرض حجرية قوية و إن أوتاد الخيمة لا تدخل بها، ثم أضاف إننى سأثبت أوتاد خيمة «صاحب» هنا. و فى لحظة جلس على الأرض و وتد الخيمة بين قدميه و بدأ يطرق عليه بحجر متوسط الحجم وسط ضحك و استنكار لطيف من رجالى.

و فى وسط هـذا المأزق بسـبب وتـد الخيمـة قام «إبراهيم خميس» بتبختر فى مشـيته مسـتخفا و فى يـده عنان اللّجام. بعـد أن حلّ الجمال لترعى. ثم أخـذ إبراهيم «عبـد الله» من ذراعه و التقط وتـدا، و بهـدوء وضـعه فى المكان الصـحيح و قال ل «عبـد الله» أن يضرب، أمسك «عبد الله» بمطرقة و أخذ يقيس المسافة بحذر حتى الضربة الثامنة التى بها كان الوتد قد طمر تماما.

و ما يزال «إبراهيم» يسـتخف ب «عبـد الله» حتى كانت جميع الأوتاد قـد ثبتت بنفس الطريقة. أما الحبال فقد ربطها فريق آخر من الأشخاص بعد أن طلب منهم ذلك «إبراهيم» دون اكتراث.

إن «الجمعـدار إبراهيم» رجل طيب، و لكنه طويل جـدا لذلك لا يسـتعمل إلا مطرقة خاصة ذات مقبض الطويل و إلا فإنه ينحنى عنـد كل ضـربة. عنـد ما تنظر إلى إبراهيم الصـغير و هو يضـرب الوتـد سـتعتقد أنه بكل بساطة يهز المطرقة حول رأسه. و إنه لا يوقفها أبـدا. و حين يفرغ من عمله بتثبيت الأوتاد للخيمـة بهـذه المطرقـة التى بمهارة يلفها عاليا حيث أننى أحيانا قد رأيت بعض أوتاد الخيمة التى كان طولها ثلاثة أقدام و هى تطير فى الهواء بارتفاع من خمسة عشر إلى ثمانية عشر

رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٨٣

قدما و ذلك بعد ضربات قوية من هذا البطل الصغير.

بعـد أن ضـحكنا من هـذه المناظر أخـذنا أماكننا على المقاعـد، و هناك حضـر لل (دربار) أو «مجلسـنا» رجل انـدهشت عنـد ما اكتشـفت أنه فارسـى، عند الترحيب به عرفت أنه محصل للضرائب. و هنا بلا شك بدأت أدرك على ماذا تقف الأمور الآن، لأن التعرف الغير عـادى «للريس» حينمـا كان متواضـعا و خاضـعا و يظهر الفقر و الحاجـة ليعطى انطباعا للمحصل أنه لا يملك مالا و يتسول.

أمـا «محمـد بيـک» فيبـدو من منظره بـأنه شـرير، و وجهه كـالثعلب، إنه أول رجل أراه فى حياتى هكـذا، و رغم ذلک رحبت به بصـعوبة فى وقت بدأ المطر و البرد، فأسرعنا لدخول الخيمة، إلا أن الخيمة لم تكن مريحة كما ينبغى حيث كانت الرياح تعصف بشدة مما تطلب ذلك جلوس خمسة أو ستة رجال خارج الخيمة ليمسكوا بحبالها.

عنـد ما هـدأت الرياح اسـتأذن الزوار بالخروج، و قـد لبّى «الريس» جميع طلباتنا من تمر و دقيق، و وعدنى بأنه سـيأتى ليرانى. أما باقى اليوم فقد انقضى فى استقبال زوار أقل مقاما و مرضى للمعالجة بصفة خاصة من أمراض التهاب العين، على كل، يجب علىّ أن لا أنسـى زيارة رجل عربى سـيئ الحظ قادم بمفرده لملاقاتنا فى تلك القلاع الجبلية. بدى لى أنه تاجر جياد من (مسـقط)، لم أستطع أن أعلم ما هى الظروف الغريبة التى دفعته

رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٨۴

للوصول إلى هنا، حيث لا يوجـد سوى طريقين لتسـلكها الجياد. كان خادمه مريضا بالحمى، و هو نفسه يعانى من ألم فى أسـنانه منـذ ثلاثة أسابيع. و فى اللحظة التى كان يرينى فيها فمه، الذى بدا متورما للغاية، سـمعنا بالخارج صوت مدقّة و هاون حيث كان «غلام شاه» يطحن القهوة ثم جاء و قال مداعبا «سيدى قد حضّرت القهوة»، لقد أفرحنا قلب الزائر حين قدمنا له المزيد من القهوة.

فى المساء كان «الريس» يـدخل إلى خيمتى بسـرية تامـة و بصـحبته الرجل ذو الأذن اللؤلؤية الذى علمت فيما بعد أنه متزوج من شقيقة الريس. يبدو أن زيارة الريس هى زيارة عمل. و بعد أن قدّمنا الشاى و الغليون و بالمناسبة إن الشاى و الغليون هما الشيئان الوحيدان المتوفران فى هذه البلدة، عرضت احتياجاتى فيما يتعلق بإرشادى إلى (أنغوران) و ما سـتكون عليه من حيث صـلاحيتها للجمال و حسب ما سمعت بأنها قد تكون أنسب للحمير التى فى هذه الحال علىّ أن أدفع فيها جيدا.

إن «الريس» لم يعـد بالرجـل المـازح ذلـک المسـاء، و لكنه بـدا رجلا فطنا و هو يتكلم بصوت مؤثر و سـريع و واضـعا يـده على ذراعى، و بسـرعة جـاوبنى قائلاـ (واجـا) إننى لاـ أعرف من أنت أو من أين أتيت. ربمـا تكون كمـا قلت لى «فرنجيا» ذاهبا فقط

بزيارة إلى حاكم (كرمان)، أو ربما وكيلا لحكومة «الفرنج» التى سبق لى أن سمعت عنها، قادما لهدف ما، أو كذلك ربما تكون رسولا ـ من مسقط لما سمعت عنك بأنك ربما تكون عربيا. هذا و برغم أننى لا أعرف من تكون و لكنك ستكون فى مأمن و اطمئنان حتى تصل لغايتك فى (أنغوران).

حتى الآن جميع الأمور تسير على ما يرام مع إعلانى الصريح له بعرفانى بالجميل. مصادفة قام «إبراهيم» بوضع علبة تنك مع بارود البنادق فى يد مرافقه. بعد ذلك سألت عن الطرق إلى (أنغوران)، و كان جوابه

جاهزا تماما لم يدع لى مجال التفكير لصدق مشاعره. و قال: «إنه من المستحيل لك و لجمالك أن تسافر على طريق (أنغوران). لهو صحيح أن المحصل سيسلك ذلك الطريق و لكن حالته تختلف عنك تماما لأنه يركب جوادا مدربا و لديه ستة حمير فقط، التى جميعها لا ـ تكفى لحمل نصف ما يحمله أحد جمالك. إن الطريق الصحيح لك إن أردت أن تسافر إلى (أنغوران) أن أعطيك مرشدا و لكن عليك ألا تذهب لأبعد منها لوجود قوم سيئين أنا بحرب معهم، و بمجرد علمهم بأننى مرشدك الأمين و لو حتى أنك غير قادم من بلادى فإن ذلك سيكون مبررا لقتلك على أيديهم، لأنه لم يتم سلب أى شىء منك و هذا يعنى بأنك صديقى».

بعد قوله هذا تحدّثنا عن مواضيع أخرى ثم استأذن منى بأنه فى الصباح ربما يأتى بصاحبه الذى يعانى من مرض التهاب العيون أو الرمد. هنا سوف أعطى ملخصا قليلا عن الأحداث السياسية فى (باشكارد) خلال السنتين الماضيتين.

إن مناطق (باشكرد) الستّة كانت تحت سيطرة ستة زعماء، الذين كانوا حتى عام ١٨٧۴ يقدمون الولاء إلى رجل كبير فى السن و لكن قوى و ذكى يدعى «سيف الله خان» ، الذى كان يقوى وضعه منذ خمسة و عشرين سنة مضت ببناء حصن كبير فى وسط منطقة (داروسر) فى (أنغوران) و فى شبابه و خلال إحدى معاركه التى لا تحصى حصلت معركة بينه و بين قبيلة «غلام عباس» حاكم (داروسر) و الذى نتج عنه ثأر بينهم و وقعت ضحايا كثيرة من كلا الجانبين. إن «سيف الله» قد اكتسب قوته بالسيف و بقى فى

الحكم لعدة سنوات عمّ السلام خلالها و زرعت مزارع كثيرة من شجر النخيل. أما زعماء المناطق الأخرى التى كانت تابعة له فكانوا غير متحدين و غير محظوظين، أما هو فقد قتل بطريقة عفوية أحد جامعى الضرائب الذى أرسل لسوء حظه من (كرمان) ليلقى مصيره.

أما «سيف الله خان» صاحب الكبرياء كان لا يزال يحمل فى نفسه فقدان أحد أقربائه الذى وقع ضحية الأخذ بالثأر من «غلام عباس». و بقى حزن والد الضحية قائما طوال الوقت الذى كان يدعو فيه «سيف الله خان» باستمرار لاستخدام نفوذه للانتقام، و فى نهاية المطاف استخدم «سيف الله خان» هذا النفوذ، إلا أنه قام بعمل فظيع جدا، و هو ارتكابه لجريمة شنيعة لم تشهد سجلات (مكران) أو (غربى بلوشستان) مثيلا لها.

خلال رجوعه من رحلة كان قد قام بها مع «غلام عباس» مع كبار رجاله لزيارة «سيف الله خان». و فى مدخل البوابة الكبيرة قوبلوا بوابل من القذائف التى أثنائها قيل قتل سبعة أشخاص منهم. لقد قيل لى بأن «سيف الله خان» إدعى كسبب لهذا العمل الوحشى أن «غلام عباس» قد تآمر مع الحكومة الفارسية. عموما، ربما يكون ذلك صحيحا و لكن الرأى العام فى المدينة كان ضده، أما حكومة (كرمان) التى كانت دائما يقظة لحالات المعارضة أو الشقاق بين حكام (بشكرد)، قد أعلنت عن نقمة كبيرة لهذا الاغتيال الذى حدث، فقامت بإرسال ثلاثين من الخيّالة. و فى بلد ليس بها أحد يقود الجياد غير الحكام و هذا يعتبر بلا شك

جيش لا يقهر تقريبا.
و بالرغم من أن هؤلاء الخيّالة لم يجرءوا على وضع أقدامهم فى البلدة إلا أنهم قد تمكنوا الآن بعد تلاشى اليد القوية للتغلغل إلى (أنغوران). و لكن «سيف الله خان» قد أقفل على نفسه داخل قلعته فلم يستطيعوا فعل أى شىء.
إن «الريس على» حاكم (بيزك) و التى نحن بها الآن قد أختير من بين
رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٨٧
الحكام الآخرين بصفته واحدا من عائلة «غلام عباس»، و قد طلبت الحكومة وعدا منه بتسليم «سيف الله خان». و هذا طبعا ما لا يستطيع فعله حيث أنه لا يمكن لبلوشى أن يسّلم بلوشيا إلى الفرس الذين يكرهونهم و تظاهر هو بقبول هذا الأمر و قام بجمع الرجال و نشرهم حول القلعة فحاصروها لمدة سنة تقريبا. فى نهاية تلك الفترة أصبح الماء فى الآبار غير صالح للشرب. بعد ذلك وجدوا أن اثنان أو ثلاثة من الرجال فقط متواجدين تحت الحصار أما الآخرون فقد هربوا واحدا تلو الآخر و الذين كانوا ما يزالون محاصرين للقلعة فقد سمح لهم أن يذهبوا دون الإساءة إليهم. أما «سيف الله خان» فقد استطاع أن يهرب بأمان إلى (مرز) الإقليم الذى كان فيه حاكما لفترة مضت. أيضا رجع «ريس على» إلى (بيزا).
و أصبح كل شيئ يسير على ما يرام و قد نجح «ريس على» و أصبح حاكما ل (باشكارد). و لكن هذا المنصب كان له ثمنه. حيث بعد فترة قريبة حضر جابى الضرائب الفارسى يطالبه بالضريبة قائلا له: «أنت الآن حاكم باشكارد».
فى صباح اليوم التالى بينما كنت لم أزل اسّرح شعرى كانت هناك عملية طالما أثارت ذهولى أعلنها الريس و ابنه. لقد التقط ابن الريس نسخة ل «حافظ» كانت ملقاة هناك و بدأ يقرأ بانشراح كبير بينما كاد والده المغرور أن ينفجر من الضحك و هو يسمعه. ثم طلب منى «الريس» الصغير نسخة من والده و قد أنابه والده ليلبى جميع طلباتى. و قبل مغادرته كرر ما قاله لى بالأمس عن الطرق ثم انصرف و هو يقول بأن «محمد بيغ» سيتصل بى لأنه يريد شيئا ما. عند ذلك حضر «محمد» و طلب بأسلوب اللف و الدوران شيئا من الكحول. و لم يكن لدىّ أية نقطة من هذا القبيل. ثم أضفت بطريق غير مباشرن و ربما ليس كثيرا منه. متابعا أسئلتى فيما يتعلق بتوجيهنا إلى الطريق الرئيسى إلى (كرمان) بهذا الشكل أفهمته بأنه سينال ما يريد إذا
رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٨٨
أعطانى ما أبتغيه أيضا، بشكل أساسى حقيقة الطريق الصالح للجمال.
فأجابنى قائلا: «إن كنت أنا فعلا رجلا إنجليزيا و ذاهبا لأرى حاكم (كرمان): «فإن له الشرف بأن يساعدنى بأية طريقة». و لكنه أضاف بابتسامته الخادعة، و قد رآنى و أنا أقرأ كتابا فارسيا، و إذا كنت أنا نائبا أو ربما سلطانا فسنكون إخوة. و سيقوم توفير الجمال لى بأية طريقة و سنذهب سويا.
جاوبته ببرود إن حاكم (كرمان) يمكن له أن يحكم ما إذا كنت قد خدعت أم لا بالنسبة لطبيعة الطريق المباشر. و قد طلبت منه أن يختصر و يقدم لى تقريرا بسيطا «هل بإمكانى الحصول على جمال للسفر عليها أم لا؟» هنا قدم له كوبا من مشروب كحولى و ماء معطر و روح النعناع و كان يتلذذ بشدة من ذلك المشروب الخليط. بعد ذلك بدأ حديثه مشتتا و هو يردد إننى لا أقبل أن أسافر إلى أى مكان فى هذه البلدة مع جمال «منهكة». حتى لا يصل رجالى لنقطة ربما يتركوننى لثقل أمتعتى الكثيرة و غيرها .. الخ. ثم ختم حديثه بنصحه لى أن أقوم ببيع الجمال و أستأجر حميرا بدلا عنها.
إجمالاـ كانت فكرته الأساسية كما أراها هى فى أن أصاحبه، و فى أغلب الظن كان حلمه المرتقب هو الحصول على البراندى. بعد ذلك ألقى التحية منحنيا و خرج. و قد سمعت بعد ذلك أنه قام بزيارة قصيرة لإبراهيم ليرى ما إذا كان لديه قليلا من الكحول أم لا.

زائرى الثانى أثناء تناول الإفطار كان رجلا بسيطا يدعى «محمد مير خانجال»، رجل مسن هو زعيم إقليم (مرز) و كان شبه أعمى من أثر مرض الرمد أو الالتهاب فى العيون. كان هذا الرجل هو نفسه الذى تحدّث إليه الريس، و قد قررت بسرعة كيف يجب علىّ أن أتعامل معه. كانت إجابتى عند توجيه أسئلة على نحو مختصر و جاف أولا، و مضيت فى أكل البيض كأننى لا أبالى بحضوره. و لكن هذا الرجل المسكين كان يريد التعامل مع

رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٨٩

أحد يمكنه أن يرد إليه بصره. و أخيرا أخذ يتوسل إلىّ لعمل أى شىء لعينيه.

على هذه جاوبته بقساوة بأنه يترآى لى و كأن بلوش هذه البلدة ليسوا ببلوش أبدا حيث أن طلبهم دائما يأتى على شكل توسلات و تضرع و هذا مقابل ما سألت عنه فقط الشىء البسيط لمرشدين للوصول إلى (كرمان) عن طريق (أنغوران). و قد قوبلت بما هو أسوأ من الرفض، و بالتحديد المراوغة.

كان الرجل المسن قد تنبه تماما و مسك بيد الرجل الذى أرشده فى سيره، و قال بغضب:- «هذا هو خادمى الخاص سيقودك إلى (أنغوران) أو لأى مكان تريده. و سوف لا تدفع له أى شىء، و لكن ما عليك فقط إلا أن ترسل لى ورقة معه حينما تعفيه من هذه المهمة تذكر لى فيها إذا ما كان قد خدمك جيدا أم لا». ثم أضاف «إذا كانت جمالك لا تستطيع السير فى هذا الطريق، و إذا اضطررت لترك جميع أمتعتك فهى ليست غلطته. و إنك تقول بأنك ستمكن الجمال من السير فى هذه الطريق، و قد تحاول ذلك، كل ما أود أن أقوله لك بأنه لم يسبق لأية جمال و لا حتى جمال الجبال أن قامت برحلة كهذه».

هذا كان كافيا لى. فنهضت و أخذت يد الرجل العجوز و قلت «يا والدى، نحن الاثنين أهل للثقة، أنا لن آخذ خادمك و لا طريق انغوران».

و بعد مناقشات أخرى فحصت عينيه و أعددت له محلولا من نترات الفضّة، و وضحت له طريقة الاستعمال، ثم وضعت يدى على كتفه و نظرت إلى وجهه الفاقد البصر تقريبا، و أضفت: «بما أنك تكلمت بصدق معى، لذا فإن دوائى سيشفى عينيك». بعد ذلك تماما أطل شاب فتىّ يدعى «بيرو» من باب الخيمة و قال، إن «الريس على» قد أرسله ليرشدنى إلى (أنغوران).

بالرغم من أن هذا الأمر كان مفاجأة إلا أننى قررت مباشرة أن أبدأ، حيث أنه عند عودتى ربما أتمكن بسهولة أن أفتح السؤال عن الطرق و سأكتسب خبرة أكثر لإرشادى.

رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٩٠

أعطيت التعليمات ل «إبراهيم» بأن يقيس مدى الرياح بواسطة الكرونومتر، و أيضا لتحضير كل ما يخطر بباله من استفسارات حول البلدة.

و «غلام شاه» قام بحزم اثنين من المعاطف المشمعة ضد المطر، و إبريق شاى صغير، يمكن حمله، مع شاى، و دقيق، و تمر، و لحم استرالى، و تبغ، و بارومتر معدنى، و ترموميتر لقياس الحرارة العليا و الصغرى، و بوصلة، و خارطة، و دفتر ملاحظات، و زوجان من الجوارب. أما «جازو» فأخذ معه زوجان من الصنادل، و بالرغم من كل التأخيرات إلا أننا أصبحنا فى تمام الساعة العاشرة و النصف قبل الظهر فى طريقنا للاستفسار عن المجهول و الغامض حتى الآن بالنسبة لموقع و حالة و أبعاد، الطريق إلى (أنغوران).

أمامنا مكان مرتفع و علينا أن نتسلقه و ما أن حمّلنا الحمير بأمتعتنا سمعت الريس العجوز الذى كان يظهر بأن يسترشد به و لكن لم يحصل هذا أبدا، تقدّم من «بيرو» و حذّره برزانة بأن لا يخرج أو ينحرف عن المسار الذى وصفه له لأننا من وجهة نظره كنا بلا شك سنسلب و ننتهب و قد فزع حينما ودعته، كذلك كان خائفا من طلب حكومة الإفرنج إن حدث شىء لى لأنه حسب

تصوراته المبالغ فيها لها سلطة فى هذا الأمر.
فى مدة النصف ساعة الأولى كنا نصعد و نهبط إلى منحدر و ربوة هشة عالية و وحل أزرق اللون كان يغطى مساحة مرتفعة من ثلاثمائة إلى خمسمائة قدم و التى لم تبدو فيها الحياة و لو حتى أى نبتة خضراء. و قد حوّلنا سيرنا أمام تلة (دوريني) الضخمة، (و هذا اسم محلى لنهاية سلسلة أمنيني). و التى نصبنا خيامنا تحتها، أشّر لنا «بيرو» إلى قمة هذه التلة، حيث بدا هناك ٢ أو ٣ أدغال معششّة فى تخاريب الكهف، هنا ظهر بيت «الريس على» على مرتفع قريب حيث كان فى أوقات الاضطرابات و الشغب يجمع فيه جميع الرعيّة و الناس ساكنى القرى القريبة. ثم أخذ «بيرو» يصف
رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٩١
قلعة سيده العالية و هو متحمس و قال «هنا كانت نبع أعذب مياه و مصدرها هو الجدول الذى نخيم على ضفته. كذلك كان هنا العشب الأخضر و الشجيرات للأغنام الصغيرة و كذلك حقول الذرة». و هنا فى هذا المكان زرع «الريس» شجر الرمّان، و بالقرب منها كانت ثلاث أشجار برتقال.
حقيقة، كانت هذه البقعة قطعة صغيرة من الجنة.
عندها أجبت «آه، أرجوك يا إلهى عند ما أعود من (أنغوران) سأصعد إلى هناك لأرى ذلك المكان الجميل». فأجابنى «نعم، و لكنك ستسقط على وجهك دون أن تتمكن من معرفة الطريق. و فى الواقع إذا لم تقتل نفسك بالسقوط فإن المارة سوف لا يعرفونك و سيرمونك بالصخور، و هذا إذا تركك «المحصل» و كنت أنت نشطا كالماعز البّرى لربما يسمح لى «الريس» أن أدلك على المكان. و من هناك إذا لم يصادف وجود غيوم فسيكون بإمكانك أن ترى البحر». كلامه الأخير هذا ربما كان صحيحا حيث أنه على بعد حوالى ٢ ميل إلى الشرق كان هناك فى نفس المنطقة شكلا غريبا لمقطع طريق على مرآى من (جاسك) و الذى كنت قد أخذت جولات فيه على بعد ستين ميلا من الشاطئ، حسب مؤشرات خط العرض، و كأننى أطير كالغراب فى خطوط مستقيمة.
بعدها بقليل قدنا أنفسنا ثانية بين الصخور القديمة الرملية داخل مجرى مائى عميق و عريض يابس، حيث وجدنا قرية صغيرة بها ثلاث أو أربع عائلات مع العديد من الأكواخ من القش و الحصير و جميعها ممتلكات للريس. و هنا حاول «بيرو» تأجير حمار آخر، و قد وافقت أنا فى بادئ الأمر أن ننتظر. و لكن عند ما بدأ المفاوضة و هو يجلس على الأرض ليدخّن قليلا من التبغ الذى أعطيته، و حتى لا يطول الأمر قاطعته دون أن أنتظر ليكمل المفاوضة، و سحبنا أنفسنا بجهد حتى ضفاف النهر. بنى هذا المكان بقدر المستطاع بحجر صلب لارتفاع ستة عشر قدما، و الرقعة المستطيلة
رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٩٢
الغنية بالتربة الجيّدة قد زرعت بالعديد من شجر النخيل من النوع الممتاز التى تفوق تمرته كل التمور. و هذا قد صدّقته أيضا لأنه من غير الممكن أن يزرع شجر النخيل لينبت فى مكان مرتفع كهذا فوق سطح البحر كالتى وجدت فيها فى (باشكارد) على ارتفاع حوالى ٧٧٠، ٢ قدم.
هذه البقعة من التربة تغطيها الحشائش الطويلة، التى تبدو الآن و هى مغطاة بالبرد. كل حبة برد تحتفظ بشكلها و حجمها المختلف، و بعض الأوقات تظهر و كأنها بيض عصفور و أحيانا تبدو جميعها على شكل بيض الضفادع. بعد أن قطعنا حقولا أكثر بلغنا منحدرا صخريا عاليا، و وجدنا أنفسنا نشرف على منظر بديع رائع لم نرى مثله بعد فى هذه البلدة ذات المناظر الخلابة و بعيدا فى الأسفل تحت أقدامنا كانت مياه الغدير تتلألأ و تتدفق كالكهرمان الأسود. و على الجوانب بدت أشجار التمر و النخيل ترتفع من مكان شديد الخضرة فى شجيرات كثيفة لنبات يشبه الفلفل. و من الخلف بارتفاع ستمائة قدم كان هناك منحدرا

صخريا أسود اللّون ظهرت على طرفه كتل عجيبة من الحصى الورديّة و حول كل ذلك التفّت التلال من جميع الألوان.
إن المنظر الذى أمامنا بشكل عام هو أجمل بكثير و قد استحوذ على إعجاب الجميع، فقال «بيرو» معبرا عنه «إنه شهرباغى»، (و هذا اسم شائع الاستعمال). و سألنى: «هل رأيت مكانا رائعا كهذا فى موطنك؟». بعد ذلك أرسلت الرجال لأسفل المنحدر لتجهيز الشاى و وجبة الغداء لنا، و جلست على صخرة مسطّحة لأتأمل هذه البلدة البديعة التى دخلتها و أنا بها الآن. و خلفى على مدى البصر تمددت سلاسل غير منتظمة من الصخور ذات نتوءات متعددة كنا قد عبرناها بكل جهد و مشقة. أمامى جدول ماء نقى تحيط به الحشائش الطويلة و الأشجار الخضراء مشكّلة حديقة صغيرة من الجنة. و بينما أنا أتأمل تلك البقعة و أشعل غليونى، سمعت صوتا خشنا

رحلة الكابتن فلوير، ص: ۱۹۳

بجانبى فالتفت حولى لأدرك بأنه صوت قطيع من أربعة عشر من أغنام الجبل الجميلة و قد أصبحت أمامى بعضا منها بدت غير مكترثة بى و البعض الآخر كانت خائفة منى.
مرّت هذه الأغنام ببطء و كان بينى و بينها حوالى ياردة و بقى راعيها العجوز ينظر إلىّ متفحصا حتى تراءت آخر واحدة من أغنامه فركض ورائها مهرولا. و بينما كنت مستغرقا فى التفكير تحركت بجانبى الأيسر كتل ضخمة من الصخور و هناك ظهر وجه «غلام شاه» الطيب معلنا بأن الشاى قد أصبح جاهزا. و عليه أخذت أزحف و أتزلق إلى الأسفل، و حالا أرسل الشاى و التمر تحت أكبر شجرة نخيل ترتفع أربعون قدما فأخذناه و نحن جالسون على سجادة صغيرة جدا و بجانبنا نبات النعناع. و فى خلال عشرون دقيقة بدأنا مسيرتنا ثانية بعد تسجيل «البارومیتر» لمدى ارتفاعنا ۲۴۶، ۳ قدم. و هنا لا توجد أية تربة فى هذا المكان ما عدا السيول الجارفة. و كانت الصخور هنا ذات طبقات مشكّلة و منتشرة فى كل مكان.
إن جبل (راستو) الذى نحن به الآن و نود قطعه سيرا ليس به أى شىء غير السلاحف العجيبة، و بينما نحن نخترق مجرى السيل و مقابلنا تماما كانت هناك صفوفا من المنازل و التى يستعملها المواطنون هنا لحراسة بساتين النخيل. من على قمة (راستو) شاهدنا منظرا جميلا. و عبورا للجهة الشمالية نحو الأفق و على أبعد مسافة تقع سلسلة جبال (مرز) الشامخة التى تمثل مقاطعة (مرز).
و إلى الشرق على مدى البصر بدت سلسلة بعد أخرى من التلال المنخفضة. و هذه كانت مقاطعتى (جفر) و (بارمينت) مشكّلة من التلال الصغيرة و تنتج الجمال الجيدة. و كان حولنا حوالى ثلاثة أو أربعة جبال و عرة ترتفع قممها حوالى ۰۰۰، ۱ قدما من المكان الذى نحن فيه الآن، و هنا يشير البروميتر إلى ارتفاع ۸۵۸، ۳ قدم. و عند ما تقدمنا بسرعة أكثر

رحلة الكابتن فلوير، ص: ۱۹۴

وجدنا قطيعا آخرا من اثنا عشر من أغنام الجبل. كان منظر هذه القطعان جميلا للغاية بشعرهم البنى الأصفر اللون، و كانت لدىّ نزعة تقودنى للصيد فى ذلك الوقت و لكن هذا يتطلب ترتيب ما، و لم تكن بندقيتى معى.
فى الساعة الرابعة كنا نأخذ طريقنا أعلى هوة عميقة، و كانت جوانبها جميلة بلونها الأزرق و الأرجوانى المعّرق بالأبيض المرمرى. بعد ذلك عبرنا وادى صغير و الذى كان فيه بقايا ثلاثين أو أربعين كوخا من عيدان النخيل، و هنا أخبرنا «بيرو» بأن هذا المكان كان معسكر لجيش «الريس» عند ما كانت الحرب قائمة للإستيلاء على (أنغوران). بعد ذلك وصلنا إلى تلال من الطين تدعى (بير جمال) و هو اسم عربى بلا شك و لكن «بيرو» لا يعترف بذلك و فى أعلى قمة بها كان «البارومیتر» يؤشر على علوّ ۰۷۱، ۴ قدم. لقد بدأت الآن تظلم بسرعة، و قد اكتشف «بيرو» بسرعته المميّزة طبيعة «جازو» السهلة فأعطاه حمارا ليمتطيه و هو يناديه للعجلة. أما «جازو» المسكين فإنه يجاهد فى معظم الأوقات لتحميل الأوزان على جانبى الحمار بالقرب من ذيله و هو يناجى نفسه بطريقته الغريبة قائلا: «آه، لو كان «تاجو» و «على شاه» هنا لرأيا لو جزءا صغيرا من هذه الرفاهية التى أعيشها، و عندها

سأكون سعيدا».
«تاجو» و «على شاه» كانا يسخران من «جازو»، و لكنهما سيكونان أيضا موضع سخرية منه لو أنهما كانا هناك و واجها نفس المأزق مع حمار منهك، و ليل مظلم و طريق ملىء بالعقبات، فإنه كان سيضحك عليهم. إن الحمار كان كحمير (باشكارد) نشيطا على التلال و يشبه تيس الجبل، و لكنه يصبح مرهقا و جائعا بسرعة.
عند ما اقترب الليل، كنا مرعوبين من حادثة حصلت كانت من الممكن أن تؤدى إلى عواقب و خيمة و خطيرة بينما أشق طريقى إلى أسفل الهوّة قريبا من «بيرو» و فجأة بدا طائرا فى الهواء و هو يصرخ بشدة. عندها
رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٩٥
سمعت فحيحا يشبه صوت الأفعى فى مكان ما قريب أمامى، و لكننى لم أجرؤ أن أحدده بنفسى، و صاح «بيرو» «ثعبان» .. عندئذ رميت نفسى فى الهواء و وقعت مصطدما ب «جازو» و أخذنا نحن الاثنين ننزلق و نزحف إلى أسفل فى المكان الذى منه سمعت صوت الفحيح، و جاء «بيرو» لينقذنا و قبل أن نتمكن من الوقوف على أقدامنا رأيناه و هو يلوّح منتصرا على ذلك الثعبان الذى دق رأسه و هو مشوه و ممزق.
بعد أن تعاركنا مع كلاب متوحشة، وجدنا مدخلا، حيث كانت الحيطان و الأبواب مصنوعة من حصير ممزق، و قد كان صعب علينا أن نتحقق فى الظلام أى منها الحيطان و أى منها الأبواب، و قد تخبطنا تخبطا شديدا و سلكنا أماكنا خاطئة قبل أن نسمع من الداخل صوتا فظا أجشّ يشعرنا بما ارتكبناه. عند ما وصلنا كانت والدة العائلة تحضّر العشاء و تخبز الخبز بدون خميرة على بلاط عريض ناعم. و كان هناك ثلاث بنات صغيرات و ثلاث أولاد يشاهدون تلك العملية باهتمام بالغ. و حيما حضر قريب للعائلة رجل ضخم الجثة كالغوريلا و وجهه عريض مألوف، و قد كحّل رموش عينيه بالأسيمون و يرتدى بشكل عام ملابس خاصة للعشاء.
أما الوالد و ولديه الاثنين فكانا يلبسان تنورة بسيطة تشبه تلك التى يرتديها الرجال الأسكتلانديون، بينما كل واحد منهم كان يضع على كتفه شالا من القطن الخشن، إنهم يضعونه على أكتافهم بطريقة سهلة؛ لتظهره بمظهر لائق و متناسق.
لقد قوبلنا بالترحيب الحار عند ما شرح «بيرو» من نحن. عندها قامت الأم العجوز بعصر كمية غزيرة من «الگيه» (شراب يشبه الزبدة عندنا).
و كان الولد الصغير قد جلس محاولا بعودة الحصول على التمر من الكتلة التى فى السلة. فى هذه اللحظة قال جعفر العجوز إلى «بيرو»: «إن الواجا يعلم بدون شك أننا نرحب به لمشاركتنا طعامنا و لكنه يعلم أيضا أنه طعام
رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٩٦
ردىء، لذلك إذا كان معه أى نوع من طعام خاص به فليعدّه و سوف لا أخجل منه».
إنه لتصرف لائق من ذلك الرجل العجوز و كنت مسرورا كثيرا به.
عموما، الشىء الوحيد الذى طلبته هو أن ياذن لى بإضافة إبريق من الشاى يكون كافيا للجميع. بعد ذلك جاء طبق فاخر به نوع من السمك الصغير المجفف و يسمونه «متوتا» و قد أمر ذلك الرجل العجوز زوجته بكل زهو و افتخار لتحضيره. إنه لمن المستغرب أن ترى اللياقة متوفرة حتى فى طعام شهىّ مترف. أمّا الضيوف فقد رفضوا حقيقة أن يلمسوا أية سمكة أخرى برغم من أنهم لم يفرغوا بعد من الطعام، و كان على الرجل أن يوزّع ما تبقى من الطعام على الجميع.
خلال المساء حضرت الابنة المتزوجة لترى الأجنبى، ثم جاءنا زائرين تعرفنا عليهما من نباح الكلاب. أحدهما كان مغطى بالشعر الخشن دعاه صاحبه «تشم بر» و هذا يعنى «ذو العيون الحادة». و فى حوالى الساعة التاسعة بدأت الصعوبات أمامنا و ذلك بعد أن

رجعنا من حيث آتينا. كان الكوخ بطول خمسة عشر قدم فقط و بعرض ثمانية أقدام، و من الوسط يرتفع حوالى سبعة أقدام. حول الحائط غرزت فروع صغيرة لشجر «الكونار» و فى نفس المكان ربط حوالى ثلاثون ماعزا صغيرا كانت تأكل الأعشاب الصغيرة. و كذلك كان هناك أربعة من الماعز الكبار و قد كانت أصواتها مصدر إزعاجنا طوال الليل.
و بلا شك كان على الجانب الآخر من الكوخ المضيف صاحب الكوخ و زوجته مع أطفالهما و كذلك مجموعة متنوعة من العجلات، و سروج قديمة، و سراير أطفال التى تشكل جميعها أثاثا لكوخ بلوشى. و الجانب الآخر من الكوخ فيه موقع المدفأة، قد خصص لنا أنا و ل «بيرو» و «جازو» و «غلام شاه» و الأغنام و حزمة من الحطب أيضا الذى يستعمل للوقود. بعد
رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٩٧
ذلك و بلهجة ساخرة قلت ل «بيرو» «ألا تعتقد أنه كان من الأفضل أن نجلب الحمار إلى هنا أيضا؟ فقال «لا» أعتقد من الأفضل له أن يبقى مكانه». لقد قضينا تلك الليلة بطريقة ما متعبة و كان علىّ أن أنهض و أقوم بربط قدمى «جازو» فى الحائط لأنه كان مهملا معهم بشكل مخيف، و لو لم تخطر هذه الفكرة برأسى، لكان من الممكن أن يطلع عينا الصباح و نحن موتى، كذلك الأغنام أكلت قماش ياقة معطفى.
عند ما نهضت من النوم وجدت أن الأم العجوز قد قامت بتحضير كتل من الخبز أكثر، و كان الهواء الصباحى المشبع بالضباب يدخل إلينا من الباب المفتوح، حيث ظهرت أمامنا حوالى عشرون من الأغنام الكبيرة التى أطلقت الآن فقط من الزريبة و أتت لترى صغارها. و بينما كنا نتسلى بمراقبة الماعز، ظهرت الطفلة الصغيرة و قد جلست فى الممر المؤدى إلى الباب، و لم يكن طولها أكثر من ثلاثة أقدام، ممتلئة الجسم، نشيطة و هى تمدّ يديها لتتفقد جديا أكثر من ثلاثة أقدام، ممتلئة الجسم، فما كان من أخيها فى هذه اللحظة إلا أن خرج عليها للتوقف عن لمسه.
إن حب الوالدان لصغار الماعز كان شيئا جميلا، فهما غالبا، قبل أن يطلقاها لتذهب كانا يقومان بحملها و يقبلاها فى أنفها الأفطس بشكل ودىّ للغاية. إن الأيام التى قضيناها فى هذا المكان لا تنسى، لما كان يسوده من جو طبيعى مفعم بالمحبة و الصدق. فى الساعة السابعة صباحا أخذت أتمشى و أتنزه مستمتعا بذلك الهواء الصباحى و منظر الصخور الخلابة.
مخيّم الأمس كان عبارة عن قرية صغيرة مكوّنة من ستة أكواخ من الحصير و قد أقيم كالعادة على حوض مجرى الماء. الأكواخ و السكان كانت جميعا ملك «الريس»، و قد بدت عليهم علامات الضى و السعادة.
طريقنا اليوم كان نزولا لقاع سيل جارف. و بعد سير نشط، فى تمام
رحلة الكابتن فلوير، ص: ١٩٨
الساعة التاسعة صباحا، من على قمة تلة بارتفاع ٥٥٢، ٣ قدما شاهدنا على مسافة منا قلعة (أنغوران).
حينها شعرت بالراحة و بالنجاح عند ما شاهدت بالحقيقة هذا المكان. ما زال علينا رحلة طويلة و مخاطر و متاعب أخرى للوصول إلى البلدة لم يتم اكتشافها بعد، و ربما تصادفنا أحداثا عديدة قد تعوق بلوغ نقطتنا المحدّدة.
شددنا عزائمنا و مشينا طويلا بمحاذاة حوض رطب لمجرى مائى. فجأة لاحظنا آثار أقدام حديثة العهد، عندها صرخ «بيرو» و «جازو» و هما يلهثان آه، آه. ربما تصدقنا الآن»، «هذه هى آثار كلبة و أطفالها. و هناك ألا ترى؟
لقد كانت تمشى على يديها و قدميها» (و أخذ يشير لأبعد من ذلك)، و هنا ظهر لى الشيئ العجيب! كان هناك شيئا ما يشبه العفاريت، و بشوق سألت أسئلة حولها هل سبق ل «بيرو» و «جازو» أن رأوها من قبل؟ و ما هو طولها؟
الخ .. فى هذه اللحظة سيطرت الفكرة على عقلى بأنها لربما تكون نوعا من القرود. و لكن أن نجد قرودا فى هذا المكان فهو فى الحقيقة سيعد اكتشافا.

رحلة الكابتن فلوير، ص: ۱۹۹

إن خلاصة معلومات أصدقائى كانت كالآتى:

إنهم فى الحقيقة ينحدرون من خليط الحمار و السلالة البشرية. و قد كانوا عنيفين جدا و مخادعين أكثر من الإنسان. لقد فتحوا الكهوف التى تخزن بها الحبوب، على كل، بذكائهم هذا كانوا يختبئون. لقد تسلقوا شجر النخيل و قطفوا التمر. و عند ما كان يشاهدهم رجلا- ما كانوا ينهضون على قوائمهم و لا يفرون. أخيرا لقد كانوا بحجم رجل مكتمل الجسم و يغطيهم شعر طويل أسود لا مع و لم يكن لهم ذيول. بحذر شديد قمت برسم آثار الأقدام هذه، و هذا كل ما أمكننى عمله.

عند ما تابعنا سيرنا شاهدنا آثارا أخرى لحيوانات أكثر. و أخيرا اكتشفنا أنه لا بد أن يكون قد عبرت هذا الممر أكثر من عشرين كلبة. و فى حوالى الساعة التاسعة و النصف وصلنا إلى (شهر بهتيك) و هو المكان الذى يتسع عنده قاع مجرى الماء حيث يكثر فيه الطين و الزراعة كذلك هنا فى هذه الواحة الخضراء ينبت شجر التين، و الليمون، و المانجو، و الذرة و شجر «كوه سنج» أجمل شجرة أتمكن أن أحدد نوعيتها، و تابعنا سيرنا عبر الوادى الذى اتسع بسرعة حتى أصبح عريضا و وصلنا بين شجر النخيل العديدة فى بلدة (أنغوران) حوالى الساعة ۳۰: ۱۰ و خيّمنا فى أسفل التلة حيث كانت تقع قلعتها.

رحلة الكابتن فلوير، ص: ۲۰۱

الجزء الثامن: [انغوران- نافورة النفط- كهنوج- نور الدين]

و قال لى الأهالى أنهم فى فصل الصيف الجاف يأخذون ۱۸ غالونا إلى «ميناب» لتستخدم فى حرق المصابيح، و أرضية هذه الصخرة كان أسودا و مشبعا بالنفط و بعض الأجزاء فى الأرض عند ما يتم وضع النار بها كانت تشتعل و معها دخان و رائحة «البيتومين» القوية.

رحلة الكابتن فلوير، ص: ۲۰۳

لقد فاتنى أن أذكر أنه بعد ساعة واحدة من مغادراتنا لممتلكات «ريس على» جاء أحد الرجال و هو يركض وراءنا و معه رسالة و أعطاها إلى «بيرو» الذى تركنا فى الوقت الذى كان فيه إبريق الشاى يغلى، تركنا ليسلم هذه الرسالة. و بينما كنت أنظف حذائى من الرمل و الحصى لا حظت فى بادئ الأمر ظهور واحد ثم اثنان و تدريجيا ظهور عدد من الرجال المسلحين بين شجر النخيل و بعد أن عاينونا تماما اختفوا ثانية و بكل هدوء.

فى الوقت الحاضر لم أرى داعيا لتدوين أية ملاحظات مؤثرة؛ لذلك تابعنا طعامنا بهدوء ثم قام «جازو» و تسلق شجرة النخيل التى كنا نجلس تحتها و قطع لنا فرعا منه كان مازال متدليا و ذلك ليضيف على طعامنا مذاقا طيبا. و فى هذا الوقت علت أصوات غاضبة من الممر تقول: «لا أريد أن أذهب، لقد هرب. لقد تركنا الليلة الماضية أين سأجده الآن». و فجأة ظهر «بيرو» بصحبة اثنين من الغرباء الذين ألقوا التحية باختصار و واصلوا نقاشهم.

لقد تبين بأن الرسالة التى أحضرها «بيرو» كانت موجهة إلى الرئيس

رحلة الكابتن فلوير، ص: ۲۰۴

و يطالب فيها بتوخى الحذر لحمايتى، و يوصيه بأن يدفع مبلغا من المال للمحصل عند ما يصل.

إن هذين الرجلين هما خادما المحصل و قد كانا يؤكدان بأنهما لم يؤمرا باعتقال الرئيس الذى كان قد ذهب، و قد فات الوقت الآن و لا يمكن اللحاق به. لقد شرح «بيرو» بأن الرجال المسلحون كانوا يراقبون «سيف الله خان» إذا حاول الرجوع مرة ثانية؟

إن قلعة (أنغوران) كانت ضخمة و لكنها الآن قد دمرت جزئيا و التى بالرغم من ذلك فإنه كان بإمكانها استيعاب مائتين من

الرجال ببساطة و أربعمائة أيضا فى أيام الحرب، تقع الآن على أعلى منطقة ضيقة فى أرض صخور قد شكلت فى منحنيين عريضين متباعدى الجوانب.
إن هذين النهرين يأتيان من الجنوب الغربى و الشمال الغربى و بعد أن يلتقيان يصبان فى نهر (جغين) مع مجرى آخر فى الجنوب الشرقى.
و بالصدفة كان مؤشر البوصلة يشير على الأرقام ٢٣٣ و ١٣٥ و ٣٣٥ درجة.
إن التل الصخرى الذى تقع عليه القلعة يرتفع حوالى ٣٦٠ قدما و يتكون من خليط من الطمى و كتل مختلفة، كما أنه ليس عمودى الشكل تماما و لا يمكن العبور إليه سوى من الجهة الجنوبية الغربية حيث لا يوجد به سوى مدخل واحد بالقرب من قمته. و الممر العادى المتجه لأعلى ضيق مما يجعله أكثر صعوبة لعبوره فهى السلالم المتضررة التى أصبحت الآن شيئا مألوفا. أما الحيطان فهى عالية و صلبة للغاية و قد بنيت فى قاعدتها حتى علو سبعة أقدام من حجارة كبيرة مستديرة الشكل مثبتة ببعضها بطبقة من الطين.
إن الحصن و القسم الداخلى للرئيس يلتقيان مع القلعة و هذه أقرب لقمتها من الوسط و هى تبدو بحالة لا بأس بها بعد ترميمها. خلف هذه

يوجد الفناء الرئيسى الذى لا يسمح لأحد بدخوله سوى للجنود. أما الحيطان فقد ثقبت من أجل مباريات الرماية للرجال، و المنصة التى يقفون عليها قد بنيت بشكل بديع كما هى العادة فى هذه البلدة فى حائط داخلى سميك ينخفض عن الحائط الرئيسى بحوالى ٨ أقدام.
خارج الحائط الشمالى توجد أرض صخرية لبقايا حيوانات و نباتات متحجرة على عمق خمسة و عشرون قدما و بعرض عشرين قدما تقطعها عبر شبه الجزيرة تاركة فقط ممرا ضيقا بين المنحدر و الأرض المتحجرة. و فى هذين الفنائين اللذين يطلان على جناح الرئيس يوجد بقايا مصفوفة و منظمة من حجر الأكواخ التى يسكن فيها الجنود.
إن طعام القلعة يتم الحصول عليه من زراعة هائلة مثل أشجار النخيل التى تملأ الوادى مع بقع أخرى مزروعة من الذرة و القمح و شجر الرمان الخ. أما البئر فهو بالقرب من المدخل و متصل أصلا بقاع النهر، و قد سد بواسطة الذين حاصروا القلعة عند الإستيلاء عليها. و قد كان هذا البئر هو المرفق الوحيد المعتمد و قد تم تدميره على أيدى المحتلين، كما أنهم قد تسببوا بأضرار بسيطة للحيطان الصلبة.
القلعة عبارة عن شكل مثلثى بطول مائة و ثمانون ياردة و عرض ستون ياردة اختراقا لوسطها. و مقابل الجنوب الغربى عند السفح هناك مبنيان كانا يستخدمان سابقا كمساجد و حماية كاملة للمهاجمين الصغار هذه كانت الحصن المنيع للعجوز «سيف الله خان» القاسى الشرس و سلمت القلعة بعد سنة كاملة من المحاصرة و الهجوم عليها. و الآن برغم الأضرار البسيطة، فإن على عائلته و الموالين له الانتظار لجمع الثروة من السكان و الزراعة أملا بإعادة الحكم ثانية لإدارة البلاد و فرض الحزم و النظام بها.
كانت هناك أيضا قناة ماء صغيرة تلتقى مع قاع السيل، و التفاوت ما بين

السيول و الجداول هنا واضحة جدا و فى كل مكان. فى بعض الأحيان يجرى جدول الماء بشكل واضح باتجاه الأودية، بينما الآن فى أماكن أخرى يظهر غدير صغير و هو يندفع عبر صخور صلبة نحو طريق عرضها حوالى ربع ميل. بينما بالنسبة لنهر (شريفى) كنا قد سيرنا به، فإنه يجرى من خلال طين متراكم مختلط بالحصى مشكلا قاعا بعرض ميل تقريبا و بعمق يتراوح ما بين ٦٠ و

۱۰۰ قدم.

ربما يمكن القول بأن هذه الأنهار لها فوائد عند ما تفيض أثناء موسم الأمطار. و قد يمثل (تانجى فانوس) الذى ذكر فى جزء سابق، و مثله نهر (جغين) الذى أوضح لنا الطريق فى الساحل عبر الحزام الجبلى. قد مثلا لنا حالات هذه الأنهار. و مرة علاقة سابقة لارتفاع مياهها الفائضة فإنها تشير إلى علو خمسة عشر قدما أكثر من مستواها فى فصل الصيف، كما جرى بالنسبة لنهر (جغين) الذى بأنفسنا قد شاهدنا فيضاناته هذه. و لكن فى حالات عديدة أخرى مثل نهر (شريفى) و (غازشيرى) (بشجر الطرفاء اللذيذ) و الجدولين الآخرين اللذين يلتقيان عند (أنغوران) فإن عمليات الزراعة تقام فى قاع هذه الأنهار مرورا حتى حافة القناة. و قد يبدو ذلك إما بسبب سقوط أمطار هائلة فى أوقات سابقة و إما أن منافذ أو جداول المياه التى تصب فى البحر الآن لم تكن دائما مفتوحة.

و للوهلة الأولى يبدو لنا أن المياه كانت فى الأصل تتحول أو تقطع «فمثلا» القاع الضخم لنهر (شريفى) لم يبق على حاله بعد أن تمّ تحويله لقناة أخرى؛ لأنه من الصعب جدا للمياه المحوّلة فى هذه البلدة ابتداء من منطقة (رابش) على خط طول ۵۹ درجة و ۲۵ إنش شرقا حتى نهر (ميناب) على خط طول ۵۷ درجة و ۵ إنش شرقا، و لو حتى أنها تضاعفت لعشر مرات أكثر لتعوّض ضياع المياه عند اختراقها مساحات الرمال من الحزام الجبلى نزولا للبحر، فإنه من الصعب عليها ملء قاع نهر (شريفى).

رحلة الكابتن فلوير، ص: ۲۰۷

لقد حان الوقت الآن لمتابعة المسير لأن الشمس الآن قد تجاوزت منتصف النهار، و قد قررت الرجوع إلى (بيزك) و سلوك طريق جديد اسمه (طريق سارداشت)، و قد يبدو هناك صعوبات سنواجهها لأننى لا أعرف شيئا عن هذا الطريق غير اسمه. لذلك احتج «بيرو» بشدة حيث أنه لا يوجد أى طريق كهذا، و أن أى انحراف عن مسار الطريق الذى وصلنا إليه سيقودنا إلى بلد ليس به ماء و لا سكان إلا «الشياطين» و إذا كان علينا أن ننجو من هذه المخلوقات فإنه من الافضل مواجهة المصير الذى ينتظرنا و هو الوقوع فى قبضة يد «الّاهرسون» الذى سيسلبنى و يقتلنى «بأسلوبه الفظ».

و قد تبين بعد استجوابات كثيرة لمراحل فى حياة «بيرو» بأنه كان متزوجا إبنة تلك العائلة و بعد ذلك إما أن لم يتمكن أو لم يرغب بوضع مؤخر الصداق لذلك فقد حقد عليه والدها مطالبا باستردادها و من ثم مطاردة «بيرو».

هذا ربما كان بداية العداء بينهما، و قد يتولى ذلك إذا ما نجح هؤلاء فى قتل «بيرو» عندئذ ستبدأ عائلة «بيرو» بالبحث عن قاتله، و يستمر ذلك حتى يصبح الوضع خطيرا للغاية فتطرح حينها المحادثات التمهيدية لدفع مبلغ إضافى.

و هذا النوع من الزواج لم يكن يعتبر بالزواج الغير عادى كما حصل لشقيق «غلام شاه» الذى كان لا بد من تركه. هناك فى (جاسك) لأنه لا يستطيع الدخول إلى (بشكرد) و السبب فى ذلك أنه عند ما تزوج من امرأة من «بيزك» دفع لها كامل المهر، و لكن عند ما غادر (بيزك) إلى الساحل طلب منها أن تتبعه، غير أنها رفضت ذلك لعدم رغبتها فى البعد عن أصدقائها؛ لذلك فقد طلب شقيقها «غلام شاه» إعادة المبلغ الذى دفعه للزواج من المرأة. و لكن كرد على ذلك فقد طالبه أصدقائها بالرجوع إلى (بيزك) و العيش هناك.

رحلة الكابتن فلوير، ص: ۲۰۸

أما «غلام شاه» الذى تبين بأنه منتميا ل «غلام حسين» الأخ. فإنه سيقع فى متاعب كثيرة بسبب نتائج مشكلة زواج شقيقته الغير ملزم أنا بنقاشها نهائيا، عموما معظم البشكرد يسيرون حياتهم بأنفسهم على حساب قضايا من هذا النوع التى قد لا تحمد عواقبها فيما بعد.

على كل كنت أؤكد أثناء هذه المناقشة بأنه لا بد و أن يكون هناك طريق اسمه (سارداشت) الذى كان قد احتج عليه «بيرو» و

عنـد مـا أكـدت ل «بيرو» بأن لا أحـد يجرؤ أى يؤذى أى أحـد منا ما داموا تحت حمايتى و قـد وافقنى على ذلك مكرها، و فى حوالى الساعـة الثانية بعد الظهر كنا على وشك السير باتجاه (نهر بهشيك) و لم يكن هناك شـيء آخر سوى الاسـتمرار فى هذه الأمور حتى و لو كان هناك أسس صعبة كما هو حاصل قبل الحالة الحاضرة.

فى البدايـة و بينما كنا نواصل اسـتفساراتنا حول (بشـكرد) اسـتعدت فى ذاكرتى أحد الأحداث التى مرت منذ بضـعة شـهور فقط عند ما تذكرت الوصول إلى (انغوران) عن طريق (سرداشت)، و لكن عند ما تذكرت ذلك لم أكن متأكدا، و لهذا كان عليّ أن أسير فى نفس الأرض مرتين و هذا سيكون الشيء الغير مستحب عندى.

حاليا وصـلنا مخيم يتكون من ثلاثـة أكواخ و كنا نود أن نسـتأجر حمارا ل «غلام شاه» الذى كان يعانى من التهاب فى قدميه، فى الوقت الذى التقينا فيه و معه خمسة عشـر أو سـتة عشر رجلا و الذى كان بينهم صديقى الكفيف «مير محمد كانجان» من (مرز). لقـد جـاء هؤلاء الرجـال عن طريق (سـيرداشت) و قـد تعجبوا لمجيئى على طريق آخر. و قـد بـدا عليهم الفرح مما أنجزه الفرس الصـغير الحجم و النحيل الـذى كان يمتطيه المحصل، و قالوا بأنه عليّ الآن أن أدرك كيف يمكن لهـذه الطريق أن تكون عملية لجمالى لو أننا سلكناها.

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٢٠٩

لقد تابعنا سيرنا ببطء على الطريق بعد أن وعدنا المحصل بأن يعلن عن وصولنا لحاكم (كرمان). بعد ذلك بقليل حوّلنا سيرنا عن النهر و دخلنا وادى طويل مليء بالطين الملحى الذى أراح أقدامنا بعد تسلقنا على الصخور بشكل مستمر.

فى الساعة الرابعة و خمس و عشـرون دقيقة مساء عبرنا معبرا ل (بيربولند) حيث كان مؤشر البوصلة قد وصل إلى ٨٢٠، ١ قدما. و فى حوالى الساعة ٥٥، ۴ مساء وصـلنا للسـفح و حضّـرنا أنفسنا للتخييم و خيم الليل بسرعة فجلسنا فى واد صغير و أشعلنا النار فى ثلاث أو أربع شجيرات طويلة.

و على ضوء وهـج النار قمنا بتقطيع كميـة من الحشائش للحمارين و جمعنا حطب الوقود. و أخيرا تناولنا وجبـة لذيـذة من الطعام مكونة من الشاى و الخبز و التمر، ثم غفونا بالقرب جانب من النار تحت سماء جميلة مليئة بالنجوم.

إننى مازلت أتـذكر حتى الآن تلك الليلـة الجميلة الهادئة التى لم أنم أثنائها، و قد انشـغلت لمرتين أو ثلاث فى ترديد ال» G .B .O «القديمة.

عمومـا لم يكن الرجـال جميعـا هـادئين كمـا بـدوا لى و عنـد ما خفّ وهـج النار، و بـدأت الحمير التى كانت مربوطـة قربها غير مستريحة و نهقت بشـكل مريب، عموما بعد ذلك بدأ الإرهاق يغمرنى للغاية فنمت نوم شـخص منهك و متعب. و فجأة ظهر لى بين سواد الشـجيرات المحترقـة ابتسامـة عريضـة و مخالب ضـبع عجوز، فصـحت ليبعـدوه عنى، و لكن تـدريجيا ظهرت أكتافه و جسـمه و تقـدم نحوى مباشـرة بفمه المخيف المفتوح مكشـرا عن أنيابه كما هو معتاد لمثل هذا الحيوان. و بغضب سـحبت عودا محترقا جزئيا من النار و قـذفتها عليه و لكن فوجئت عنـد ما اختفى العود بمجرد أن رميته صوب الحيوان الذى أكمل اقترابه منى. و ما أن نظرت مندهشا حتى وجدت ضبعا آخرا قريبا جدا خلفى و تلاه واحد آخر و فجأة ازدادت هذه

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٢١٠

الحيوانات خلفى شـيئا فشـيئا ثم تعالى ببطء صوت بـدأت أميزه و كأنه صوت حلقـة ماسورة سـلاح حديدية عندئذ و بقوة إنسان خارق نهضت على قدمى و التقط عودا نصف محترق من النار المتوهجة و لوّحت بها مهددا، و هنا استيقظت من نومى.

لقـد كان ذلك حلما! و صـحوتى كانت فى وقت وصول طعام العشاء من التمر و الخبز. و لكن عموما كنت لازلت أسـمع صوت رنين قضبان حديدية على يسارى، حينها لمعت الفكرة فى رأسى بأن ذلك كان صادرا من سرجى الذى استخدمته كوسادة لى و

لكنه اختفى الآن. و كنت لم أزل تحت تأثير الحلم، فتطلعت باتجاه الصوت، و كان هناك على الصخور ثلاث أو أربع قطع من السرج مبعثرة عليها مع قضبان تثبيت السرج على الجوانب التى شكلت صوتا كرنين الجرس و كان ذلك قد حدث عند ما ألقيت بها بقوة أثناء حلمى.

كان «جازو» و «بيرو» ينظران إلىّ بتكاسل و يسألان «ما الأمر» و قرروا أن يدخنا الغليون، و خلال عشرة دقائق مر كل شيء بسلام و بقينا كذلك حتى الصباح.

اليوم الثالث عشر من نوفمبر فى الساعة السادسة و أربعون دقيقة صباحا بدأنا سيرنا ثانية بعد أن سجل «الترمومتر» ٥٥ درجة، و فى حوالى الساعة التاسعة صباحا بعد سير متواصل على التلال و السهول وقع نظرنا على تلة مميزة و كانت هذه كما أبلغنا «بيرو»، «كاجركوه» و قد بدت عليها بقايا قلعة ضخمة كانت قد بنيت فى العهد القديم على يد «رستم» و «البهلويين» لم تكن هذه التلة كغيرها من التلال القريبة منها و التى ظهرت عليها طبقات حجرية و رملية.

هذا الشكل كان كنصب تذكارى صخم أبيض اللون و قطره ٠٠٠، ١ قدم

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٢١١

و قد بنى على فوهة بركان و تظهر على قمته الحيطان القديمة و ثلاث أشجار.

فورا قدرت صعود ذلك النصب رغم كل المخاطر و طبعا كان هناك الاعتراض المعتاد من «بيرو» الذى قال أولا الصعود هناك كان مستحيلا، كذلك يوجد على أعلى النصب ضريحا مقدسا جدا، أيضا إذا علم أحد بأن «بيرو» قد أخذنى لأعلى هذا النصب فإنهم سيقتلوننا، ليس هذا فحسب، بل تابع قائلا هناك أسباب صعبة أيضا.

أخذنا مرشدا عاديا، هذا المرشد قد سافر على الطريق مئات المرات و الذى هو من شدة القلق لمساعدتنا ربما تسأله أو حسين كيف الطريق اليوم؟ «أوه إنه جيد» «إنه ربما هو مرحلة طويلة أو قصيرة هذا هو معقد» و قال «إنى؟ إنه طويل؟ «لا إنه قصير جدا» لا إنه ليس قصيرا و لكننا سنكون هناك اليوم إننى أعرف الطريق» الآن سافر إلى أى بلد، ترى آراء مختلفة فى (باشكارد) سوف تسمع نفس الأجوبة لأسئلتك. إذ ما كان الطريق يمر بسهول رملية أو بين جبال مهدمة أو ممرات مائية لا تجد جوابا لسؤالك.

إن الرجل سيصف الطريق بكل رضى إذا أراد هو ذلك، لا يستطيع أن يشغل عقله بما فيه الكفاية إذا سألت «متى سافر فى هذا الطريق؟ من كان معه؟ ما هى الأمتعة أو الحمولة التى كانت معه؟» إن أسئلة كهذه ربما تحرك ذاكرته الخمولة أو المتوقفة.

أما إذا أردت أن تعرف المعلومات المهمة عن الطريق فعليك أن تجلس مع الرجال و هم يتحدثون بدون كلفة عن مرحلة اليوم التالى. إننى أصدق إنه ليس هناك عقل بدائى يكون صادقا على الأقل فى أى موضوع .. إنه من الصعب أن تقارن هذا الخلط من مجموعة الأفكار الغير متفقة على الإطلاق و بين الصفات الأخلاقية.

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٢١٢

إن هذا يعد خروجا عن الموضوع الرئيسى، و يجب أن أتذكر أننى الآن قد أوقفت شك «بيرو» عن الصعود إلى (كاجاركوه) و الآن بعد تسلق قاس وصلنا إلى الحافة و التى بها الجزء العمودى من شكل مخروطى. على ما يبدو أننا تحت ارتفاع ضخم الآن هناك بعض من طيور الغربان و الصقور.

و الطائر الوحيد الذى رأيته خارج المنحدر هو طائر الخطاف حيث أن هذه النوعية من الطيور تحلق فى السماء.

إن الصعوبات باتت واضحة منذ صعودنا إلى أعلى. إنه الشيء الوحيد الذى شعر به «بيرو» فى تصرفاتى و تنحى عن فكرة أن ذلك مستحيلا، و مسافة العشرون قدما القادمة كانت مستحيلة تماما. و كانت هناك صخورا ضخمة متآكلة و هذا كل ما بقى من السلالم الحجرية و التى أعطت طبيعة عجيبة لهذه القلاع. نحن الآن على ارتفاع ٥٠٠ قدما فوق الأرض.

فى الجهـة الشـرقية على مسافـة خمسـة عشـر ميلا جبلا مماثل و الذى قال «بيرو» عنه إنه بقايا القلاع، إنها كانت صـفة من العهود القديمة عهد «رسـتم و البهلويين». و فى اتجاه الجنوب يوجد عمود يمثل نصب تذكارى على حافة المرتفع فى الجبل الذى يمتد تحتنا. ارتدينا ملابسنا. و ذهبنا حيث يجهز «جازو» و «غلام شاه» الشاى.

من الآن فصاعـدا يبـدأ السير القاسـى، و اتجهنا فى سـيرنا حسب ما هو واضـح بالخارطـة. يكفى أن نقول إنه فى الساعة الرابعة و النصف قد تلقينا ترحيبا حارا من الرجل الذى التقينا به و كانت جميع الغلايات الشاى فى تغلى من أجل أخذ حمام.

كان الكوودميتر جيدا. و هذا شـيء جيد و لكن كان تفكير «إبراهيم» عنه يسبب له المخاوف، إنه كان لا يستطيع النوم خائفا من شيء ربما يحدث له.

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٢١٣

إن الاـثنين النـائمين كانـا فعلاـ مريضـين و كانـا ليس فى استطاعتهما أن يعملاـ أى شـيء و كانـا نائمـان ينوحـان. بعـد أن قمت بفحصهما أعطيتهما دواءا للحمى.

فى صباح اليوم الثـانى كنـا نترقب ملاقاة «الرئيس» بطلب اثنان من المرشـدين منهم، و تركنا المكان فى الليل إلى الطريق الجبلى إلى مقاطعـة «جغـدان» و بعـد أن بـدأنا رحلتنـا تركنـا مرشـدنا «جـازو» ليـذهب إلى زوجته التى تزوجها حـديثا و كانت تقيم فى (گيگن). لقد اسـتلم «جازو» راتبه بالإضافة إلى البقشـيش كذلك أرسـلت معه خطابا إلى صديقى فى (جاسك) الذى تعهد بأن يبقى وكيلى، إن هذا يتضـمن أوامر عن أصدقائى الاثنين بأن يبقى بعض الحقوق معه بعد أن يطلع على رسالة إنهاء مهمتهم معى أو يتم التحقيق معهما.

إننى بعـد ذلـك جهزت بنـدقيتى و لكننى كنت حريصا على ألا أضـعف نفسـى بإطلاق النار قبل الأوان، و أقنعت نفسـى بتلميح غـامض بـأننى قـد كتبت رسـائل إلى (جاسـك). فى نفس الوقت إن أصـحابى الاـثنين قـد ركبـا جمالهما، كنت أتحـدث معهما بصوت لطيف، لقد وعدوا «صاحب» بأن يعجباه فى الرحلة و بعد ذلك يريدان العودة من منتصف الطريق.

فى الساعـة الثانيـة أصـبح من المهم أن يعجبنى المرشـدين، إن أحـدهما قـد أخـذ طريق و الآخر بالأمتعة أخذ الطريق الثانى، إننا مضطرين إلى العودة إلى قمم الجبال و نحن غير راضين عن ذلك.

لقـد اتجهنـا إلى الأمام و وجـدنا أنفسـنا فى واد جميل. أثناء مشـينا و نحن متعبين. لقـد كانت هـذه المناطق فى فترة الخلاف بين «ريس على» و «سيف الله خان» مثل الجبال على الجهة اليمنى و اليسرى متراصة. و بها حواف حائطية للرماة المحترفين و كان هذا عجيبا، و بنظام جميل. و عند ما التفت

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٢١۴

فجأة إلى الخلف وجـدت ما لا يقل عن ثلاث رؤوس سوداء تختفى إلى أسـفل. قـد جاء أحدهم و تحدث معى و لكننى شـعرت بـأن هناك أمر من «الريس على» لمتابعـة طريق واحـد فقط. فى الساعـة الثالثـة و عشـر دقائق تسـلقنا خارج المجرى المائى و بعد ثلاثة جبال ضخمة مشينا إلى أسفل وادى نهر «شريفى» لنرى واديا جميلا يحتوى على علف الجمال لذلك قررت أن نخيّم هنا.

هـذا المساء قد أخذت على عاتقى الاهتمام بمرضاى الاثنين، و أعطيتهما الدواء، و فى صباح اليوم التالى كانا منهمكان فى قيادة جمالهما إلى الماء.

فى اليوم السـادس عشـر سـرنا طويلاـ إلى أعلى مجارى الماء الصـخرية و لففنا بين الجبال القاحلـة التى ليست لها نهايـة، و خيمنا بجانب (جبل براهيج). لقد كان سخيفا جدا أن يسمع البلوش و هم يتفاخرون كيف أن (البشكرديين) يخافون منهم. و فى الطريق اليوم التقينا مع رجل كان لـديه تلعثم فظيع فى لهجته. هـذه العلة غير معروفة فى مناطق الساحل و أعتقد أنها ناتجة عن الخوف او

الرعب المفرط.
إن «رجل الأذن اللؤلؤيـة» كان مرحا جـدا معنا، و قـد حاول تديجيا أن يبرهن بأنه أمير المرشدين و لأبعد من ذلك الرجل الأكثر ذكاء فى البلدة.
فبمجرد أن نـدرك المخيم الأول فـإنه يشير الى اتجاه المخيم الثانى. و عنـد التـدقيق فى الاتجاه المتروك عنـد وصولنا للمخيم الثانى فإنه يبـدو لنا دقيقا جـدا حتى أنه لم يكن هناك فرقا و لو ٥ درجات عما يشـير إليه. إن رجل كهذا بلا شك لا يقدر بثمن خاصـة فى الظروف التى ربمـا قـد يضيع فيها الرحالـة على الجبال العاليـة. لقـد كان أيضا عالما كبيرا و كان يحمل معه مخطوطا فارسيا واسعا يرتل فيه كل مساء بنبرة صوت رتيبة منظمة لساعات متوالية و هذا نقيض للديانات و الأشياء الأسطورية.
رحلة الكابتن فلوير، ص: ٢١٥
لقـد كان يعتبر نفسه أنه مسؤول شخصـيا عن حمايتى و هـذا لم يكن مناسـبا فى بعض الأوقات لأنه كان ينام بشـكل ثابت مقابل بـاب خيمتى، و كان دائما و قبل أن يخلـد للنوم ينعش نفسه أولا بالغناء و بعـد ذلك يترجم إلى البلوشـية قليلا من الجمل البالغة الجمال فى المسرحيات و الأدوار التى يعرفها.
فى اليوم السابع عشـر تحركنا إلى (بن كيرام) الطريق الحجرى الـذى بدا مخيفا لجمالى، حيث بدأ أربعة منهم يعرجون و اثنان لم يقويا على المشى.
اليوم خرجنا عن الطريق الدليل و سـرنا باتجاه أكثر شـمالا، فقد أصـبحت ذو خبرة أكثر لمعرفتى بوجود نافورة من الشحم غامضة قيل بأنها على التلال و تستعمل للمصابيح و كذلك بنوع خاص لمعالجة حركة الجمال. و بعد مناقشات كثيرة أقنعت «دورغوش» بأن ينحرف عن الطريق المقصود، بالرغم من تصريحه بأننا سنخاطر بحياتنا جميعا حيث أن المكان كان مأهولا برجال من جماعة «سيف الله خان».
مخيمنـا هـذه الليلـة كـان فى وادى عريض و خصـيب فى (جازشـيرائى) أو نهر شـجر الطرفاء اللذيـذ و الـذى يصل إلى البحر فى (سـيريك). و قـد كانت الغابـة فى بعض المساحات القاحلة كثيفة للغابة و مبتهجة جدا، و كان هناك على مقربة منا قرية صـغيرة مما دعانى لاختيار أرضا منبسطة لنخيم عليها.
و بينما كنت واقفا أراقب جمالنا و هى تبحث حولى لترتاح من حمولتها، آثارنى بصورة مفاجئة أصواتا تميز أنه لربما كان صوت دجاجـة (تقرق) تبعه نفس الأـصوات لمرتين و ثلاثـة و أربعـة، و بـدون ادنى شـك ظهرت أمامنـا دجاجـة كـبيرة، فـورا أرسـلت «إبراهيم» ليحضـرها مع أكـبر عـدد ممكن من البيض. إنه لأـمر غريب أن يظهر البلوش اشـمئزازا و نفورا لمجرد أن يكون هنـاك فكرة أكل البيض لتصورهم الغريب المتعلق بالجنين داخل البيضة.
عموما، الحالة بالنسبة لى تختلف تماما، ففى أغلب الأحيان ترفض معدتى
رحلة الكابتن فلوير، ص: ٢١٦
كليا أكثر أنواع الطعام إلا الحليب و البيض. و بالرغم من أن طعامنا الآن و لبضع أيام هو من لحم الخراف و التمر و الخبز، و هـذا يعتبر أكلا فاخرا نسبيا، إلا أننى عنـد ما لا أسـتطيع أكل أى صـنف من هـذه الأصـناف الثلاثة فإننى أتشوق للحصول على أشياء أخرى. لقـد كان هناك مساحات عديـدة من التربـة الناعمـة الصالحـة للزراعـة حتى أن الثيران لا تحتاج لشوك المحراث لحراثة هذه التربة.
إن المعسـكر الـذى بـدا لنا هنا يخص «ريس على» لو حظ بأن الرجال فيه غير متمـدينين و قد رفضوا شـراء أو بيع أى شـىء و مع ذلك، فقد تأسفوا لرفضهم هذا بعد أن علموا بأننى طبيب.

و فى آخر الأمر قـدم لى شـخصان مريضان برمـد العيون زوجا من الطيور و إحدى عشـر بيضة و هذا كله مقابل كمية بسـيطة من محلول نترات الفضة.

و قد التقينا هنا فى هذه البلدة بأول حالات لمرضى «السل» و مرضى «الدودة الشريطية». و لا يفوتنى أن أذكر بأننا قد عثرنا هنا فى (بشكرد) على أول آثار لبقايا حيوان متحجر على قشرة خارجيـة لمحار بحرى و كـذلك على كتلـة من الحجر الأرجوانى اللون التى أظهرت بعض الفحوصات عليه بأنه نوع من المرجان.

هـذا المساء عنـد وصولنا إلى المخيم كانت جيوبى مليئة كالعادة بالعينات، و قد حضـر «دورغوش» و سألنى عن كبريت و بشـىء من الهلع، و لأـن الكـبريت الـذى معى كـان تمت اخراجه من جيوبى فأخـذ «دورغوش» ينظر بتعجب لأـول عينـة و بتعجب أكـثر للثانيـة و الثالثـة و الرابعـة و عند ما أخرجت العينة الخامسة جلس أرضا مقابلى منتظرا عددا أكثر من العينات، و ما كاد ينظر للعينة السابعـة حتى انفجر من الضـحك .. شـىء رهيب و اخـذ يدور حولى و هو يتعجب مما دعى الجمّالة الذين راقهم هذا المنظر أن يلتفوا حولى مبهورين.

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٢١٧

إن جيوبى التى كانت مملوءة بالحجارة بجانب ما تحتويه يعد شـيئا غريبا بالنسبة لهم، و قد يتذكر أحدهم ذلك بعد بضعة أسابيع ليتحدث مع صديقه عن هذه الحالة فيذهبون بنوبات من الضحك.

فى اليوم التالى الثامن عشر كان علىّ أن أنتظر حتى منتصف النهار و لم نتحرك حتى الساعـة الواحدة و خمس عشـرة دقيقة بعد الظهر. إن لـدينا أربعـة جمال، و أمامنا أربعـة عشر ميلا على جبال ذات زوايا حادة و عنـد ما وصـلنا فى تلك الليلة إلى الحصـن الذى يخص صاحبنا المولع بالحرب و هو قريب «سيف الله خان» كنا نشعر أنها الليلة الأخيرة فى حياتنا.

(دردهن) أو «المناطق المفتوحة» عند ما كنا نسير فى هذه المناطق كنا تدريجيا نتجه إلى أسفل و تتسع الأودية.

إن «دورغوش» اليوم شكله مميز و كأنه رجل البريد. لقد بدأ بطائر ذات الأرجل الحمراء- طائر الحجل- و الذى قتله بشـكل بشع و على بعـد أربعـة و سـتون ياردة «طائر البيس» البنى العجوز (التى اشتريت ثلاث أو أربعـة منهم بثمن ثلاث شـلنات للواحدة)، و الذى حمل مع مجموعة أخرى مختلفة من الطيور و بجميع الأحجام. و فى المساء عند الظلام الدامس كانت ضـحيته طائر الحجل فقد قتله باثنى عشرة رصاصة فى رأسه. إنه كان دائما يتجه بيده إلى الصوت أولا بجسم منحنى بين الصخور إلى أن يجد صيده.

عنـد مـا أتى الليـل طلب هـذا الرجـل منى و بطريقـة غريبـة أن يرينى زاويـة هادئـة على الصـخور حيث المكان الـذى قام شـقيقه بارتكاب جريمـة بسبب للأخـذ بالثأر. كان الرجل القتيل مسافرا بمفرده من بلـدة منذ زمن «جنغدا» و فى نفس الوقت يتبعه اثنان من السـفاكين لمـدة خمسـة أيـام و فى اليوم الصـباح البـاكر لليوم السادس قام شـقيق «دورغوش» بوضع اثنى عشـرة رصاصـة فى بندقيته بينما كان الرجل نائما لم يستطع الفلتان منهما ثم ذهبا

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٢١٨

بحذر خلف الصخور و سحب سيفه و استعد أخوه للضرب، و سقط الرجل فى المفاجأة بعد أن قام، و من ثم تم تقطيعه إلى قطع، و قام مرافقى بوصف كامل لهذا الأمر و مثّل المشـهد تفصـيليا لى. كانت الساعة ١٥: ٦ مساء أكـد «دورغوش» أو «صاحب الأذن اللؤلؤية» أنى وصلت إلى قرية «حسين خان» و رغم أننا لم نرى القرية فإننا حينما هنا لقد كنا فى بلاد المارقين و السارقين.

و مساء و بينما كنت أراقب النجوم أتى «دورغوش» ليبلغنى أن زعيم المنطقـة عرفنى و أنه صـديق قـديم لى و سـيزورنى غـدا مع هدية كبيرة.

أخذ «تاجو» أسـلحة الرجال و هم نائمون و أتى ضاحكا إلى و وضع الأسـلحة فى خيمتى. و اعتمدت تلك الليلة على «دورغوش»

فى الحمايـة، و عنـد الصـباح عنـد مـا استيقظت وجـدت أننا خيمنا فى بطن الوادى تحيط بنا بعض المزارع و حوالى ٣٠ منزلا من السعف.
و على الإفطـار بلّغنى «إبراهيم» الأخبـار السيئة عن أن جمالنـا قـد أصـيبت بجراح فى سيقانها. و بعـد علاجها تعجب الرجال من قدرتى هذه رغم أنى وضعت ملعقة من سائل الأمونيا عليها. و بعدها حضر مجموعة من الرجال و بلّغنى إبراهيم هامسا أنه «حسين خان» و قدتهم إلى الخيمة.
و ملابس «حسـين خان» كانت حتى أقل من رجاله و لم يضع عمامته على رأسه .. و مع ذلك فإن هـذا الرجل غنى جـدا و لـديه كثير من الرجال و حيوانات للحرث و ذو نسب مع الأسرة الحاكمة و لكن هؤلاء الرجال يعيشون بهدوء هنا.
مقابلتنا القصيرة كانت عن القلاع القديمة و نوافير الزيت أو النفط و التى سمعت عنها.
و ذكرت قلعة واحدة و التى فى قاعدتها توجد كتابة و التى لم تكن ذات
رحلة الكابتن فلوير، ص: ٢١٩
أهمية و عند ما قرأتها وجدت أنها تعنى التوجه إلى اليمين بالفارسية الحديثة.
و تكلم عن أمور أخرى و عن أسـعار التمور و الـدهن البلـدى و لم يقترح أن يأخـذنى إلى أى مكان و لم أنجح فى هذا الاقتراح من طرفى أيضا.
يبدو لى أن المنطقة حوالى خط عرض ٣٠: ٥٨ شرقا و خط طول ٢٧ شمالا يوجد بها الجنس الفارسى المتحضرين أكثر من أهل بشكرد العاملين فى السجاد الأبيض و الأسود لعدم توفر الألوان الأخرى، و توجد بلدة «سيت» المشهورة بالسجاد.
«حسـين خان» وعدنى بأن أرى نافورة النفط. و فى التاسـعة و خمسة و ثلاثون دقيقة صباحا قمت معه و معنا «دورغوش» و حماره عبرنا الوادى شمالا.
و كان بهـذا الوادى نهرا به نوعين من الأسـماك، و بعـد عبورنا من منحـدر وصـلنا إلى بركـة ماء قـذرة، و قال أن المطر قد أخذ النفـط إلى الوادى من هـذه البركـة. و أخيرا وصـلت إلى النافورة و هى عبارة عن صـخرة فى حجم كابينـة القطار مدحرجـة على طرف الوادى من جدول الماء.
و جانب منه كان أسودا و مزيتا و كان هناك لون مثل لون «الشيرى» و هو لون زيتى فى كل الأطراف. و قال لى الأهالى أنهم فى فصل الصـيف الجاف يأخذون ١٨ غالونا إلى «ميناب» لتسـتخدم فى حرق المصابيح، و أرضـية هذه الصـخرة كان أسودا و مشبعا بالنفط و بعض الأجزاء فى الأرض عند ما يتم وضع النار بها كانت تشتعل و معها دخان و رائحة «البيتومين» القوية.
و قام مرافقنا بالجلوس على حافة صخرة هنا و قال «بويش زيادى يران» أى أن رائحتها قوية.
و أخذت عينة من هذه وعدنا لمقرنا و أثناء الطريق رأينا مزارع النخيل ل
رحلة الكابتن فلوير، ص: ٢٢٠
«حسين خان» و كذلك أشجار الرمان و التى افتخر بها قائلا أنها أحضرت من «نلم» بواسطة أحد أجدادّه.
و عند ما وصلنا علمت أن جمالنا قد صحت و أنها على استعداد للسفر غدا و هكذا قررنا أن نغادر.
و بعـد هـذا الفصـل و هو الفصـل الثامن يأتى الفصل التاسع و هو بعنوان «الـدخول إلى مقاطعات فارس» أى إيران الحاليـة .. كما اعتبرها الكابتن فلوير.
و منها يـذهب إلى (كهنوج) ليلتقى مع «جراغ خان» و «نور الـدين خان»، ثم يذهب إلى (كرمان) لمقابلة وكيل الملك عن طريق (دوسارى) حيث يقابل المحافظ باسم «ناصر خان».

و (دوسارى) قريۀ تقع على أطراف جبال (البارز).

و بعد كرمان يكمل رحلته إلى فارّس و لا تدخل فى نطاق بحثنا هذا.

«انتهى»

رحلۀ الكابتن فلوير، ص: ۲۲۱ Figure

۱ الكابتن فلوير فى نهايۀ خدمته فى القاهرۀ بمصر

رحلۀ الكابتن فلوير، ص: ۲۲۳

ملحق الأحداث التاريخيۀ فى فترۀ ما قبل و بعد رحلۀ الكابتن فلوير فى المنطقۀ من عام ۱۷۹۰

التاريخ الحدث ۱۷۹۰/* يسيطر السيد «سلطان بن أحمد بن سعيد آل بو سعيد» على حكم عمان بعد هزيمۀ قوات أخويه «قيس و سعيد»، و يبدأ فى استعادۀ الممتلكات العمانيۀ فى ساحل مكران و التى كانت فى معظمها تحت حكم اليعاربۀ و قبلها تحت حكم مملكۀ هرمز العربيۀ.

۱۷۹۴/* يحاصر الأمير «حسين آل دغار» و هو الجد الأكبر للأمير «على» و الأمير «يوسف» و العم المباشر للأمير «عبد النبى» و هم من الشخصيات التى قابلها «فلوير» فى رحلته عام ۱۸۷۶ م- فى قلعۀ (قتان) على ساحل مكران من القوات المتمردۀ ضده و المدعومۀ من قبل «سلطان بن أحمد» و يتم بعدها نفيه إلى (مسقط).

۱۷۹۸/* نابليون يحتل مصر و يوجه أنظاره نحو (الهند) و يراسل سلطان عمان.

* توقع بريطانيا معاهدۀ (قولنامۀ) مع سلطنۀ عمان و ممتلكاتها التابعۀ لها على ساحل مكران بعدم إبرام أى اتفاقيۀ أو التعاون مع الفرنسيين فى حال وصولهم للمنطقۀ.

۱۸۰۴/* آيلول: مقتل السيد «سلطان بن أحمد» حاكم عمان بالقرب من (لنجه)، و يندلع الصراع فى عمان و يحصل إنقسام بين أفراد الأسرۀ الحاكمۀ لينعكس على كافۀ القبائل العمانيۀ و منها قبائل

رحلۀ الكابتن فلوير، ص: ۲۲۴

البلوش فى عمان و المناطق القبليۀ فى ساحل مكران فتنفصل (جوادر) عن عمان بعد أن يهاجمها المير «دوستين»، و تنقسم المناطق الأخرى بين ولائها لأفراد العائلۀ الحاكمۀ المتصارعۀ بينهم أبناء السيد «سلطان بن أحمد» و منهم السيد «سعيد بن سلطان».

۱۸۰۵/* تبدأ حملۀ استرجاع الممتلكات العمانيۀ فى ساحل مكران على يد السيد «بدر بن سيف» و يصطدم مع شيوخ قبائل البلوش الذين ينقسمون خاصۀ مع بدء الحملات القاسميۀ بالمنطقۀ؛ فمنهم من تحالف مع القواسم و يشنون حملات عديدۀ على نواحى الهند و منهم من يظل على ولائهم مع آل بو سعيد.

* يكتب القائد العسكرى الإنجليزى إلى حكومۀ الهند «أن استعادۀ عمان لتوابعها فى إيران (فارس) هو عمل أكثر أهميۀ من مكافحۀ القرصنۀ فى الخليج.

* «الأمير حاجى» يستلم حكومۀ والده المير «حسين آل دغار» يقود قبائل البلوش على ساحل مكران مدعمۀ بقوات أخواله من حكام إمارۀ «بنت»، و قوات من «رودبار»، و الأمير «حاجى» هو والد المير «على» وجد المير «يوسف» الذين ذكرهما الكابتن فلوير فى رحلته.

۱۸۰۶/* اغتيال «بدر بن سيف بن أحمد البوسعيدى» على يد «سعيد بن سلطان» بالتعاون مع عمه «قيس بن أحمد» و يحسم صراع

السلطة فى عمان لمصلحته و يصبح من أعظم سلاطين عمان.
رحلة الكابتن فلوير، ص: ٢٢٥
١٨٠٧/ فتح على شاه
* (٤ أيار) مايو: الاتفاقية السرية بين الإمبراطور نابليون و مبعوث الشاه «فتح على» بإلزام فارس بقطع العلاقات السياسية و التجارية مع بريطانيا و إعلان الحرب عليها (تم إلغاؤها فى آذار مارس ١٨٠٩).
١٨٠٨/* سفن القواسم و القبائل المتحالفة معهم من البلوش تهاجم «سومنى» عاصمة (لاسى بيلا) و تحرقها.
* مقتل «قيس بن أحمد» بعد إصطدام القواسم مع السيد «سعيد بن سلطان» حاكم عمان فى (خورفكان).
* عزل «سلطان بن صقر» عن قيادة القواسم و تعيين «حسن بن على» واليا باسم الإمام السعودى على القواسم.
* استمرار جهاد القواسم ضد السفن و الحركة التجارية للبريطانيين فى منطقة الخليج.
١٨٠٩/* مع اقتراب النفوذ الفرنسى بقيادة نابليون إلى حدود الهند تقوم الحكومة البريطانية بإرسال ضابط إنجليزى هو الكابتن «غرانت» عن طريق السيد «سعيد بن سلطان آل بو سعيد» إلى (مكران) للتأكد من إمكانية عبور جيش نابليون من (مكران) إلى (الهند)- يلتقى من خلالها فى ٢٣ أبريل مع الأمير «حاجى» فى (سيريک) بعد مغادرته لها من (جاشک). الأمير «حاجى «الكبير» هو أحد أهم حكام مكران الغربية- و هو الجد الأكبر لمعظم الشخصيات فى كتاب الكابتن «فلوير» و منهم الأمير «يوسف» و «شهداد» و والد المير «على» و ابن عم الأمير «عبد النبى».
* تصل الدعوة السلفية إلى ساحل مكران عن طريق هجمات القواسم، و يتم هدم بعض المزارات فى منطقة (باهو)، بعد انضمام
رحلة الكابتن فلوير، ص: ٢٢٦
قبائل البلوش مع القواسم و مهاجمتهم أطراف (السند)، و كذلك يتم ضرب «پسنى» على ساحل مكران و نزوح التجار الهندوس منها. و يتم أيضا تحالف بعض قبائل البلوش من (جاسک) معهم و يعزلون الوالى العمانى للسيد «سعيد بن سلطان» فى (كوه مبارک) فى مكران لتتبع إلى القواسم و تخضع للأمير السعودى فى الدرعية بنجد.
* ١٤/ ٩/ ١٨٠٩: خروج الحملة البريطانية ضد القواسم من بومباى تصل مسقط فى ٢١/ ١٠/ ١٨٠٩ و إلى رأس الخيمة فى ١١/ ١١/ ١٨٠٩. ١٧/ ١١/ ١٨٠٩ تدمير إسطول القواسم فى لنجة.
١٨١٠/* ٢ يناير: فشل حملة السيد «سعيد سلطان» حاكم عمان و الإنجليز على «شناص» و إبادة أغلب جيشه على يد قوات «مطلق المطيرى» القائد السعودى الوهابى بالمنطقة.
حصن شناص أثناء الهجوم البريطانى
رحلة الكابتن فلوير، ص: ٢٢٧
١٨١١/* السيد «سعيد بن سلطان» حاكم عمان يطلب المساعدة من قوات الدولة «القاجارية» فى حربه ضد المد السعودى بالمنطقة.
* بدء حملة «محمد على باشا» بقيادة إبنّه «إبراهيم باشا» لإخراج قوات الدولة السعودية من مكة و الحجاز.
١٨١٢/* اتفاقية بريطانيا مع فارّس فى الدعم العسكرى و بناء السفن الحربية لها مما يقوى وضعها فى الخليج.
* مقتل «بن غردقة» القائد العسكرى السعودى فى المنطقة على يد «بنى ياس» الذى حل مكان «مطلق المطيرى» الذى بدوره يعود مرة أخرى و لكنه يقتل أيضا السنة التالية على يد قبيلة الهجاريين و هو فى طريقه إلى عمان الشرقية.
١٨١٤/* وفاة الأمير «سعود» فى الدرعية، و تلاشى الخطر الوهابى عن عمان.

١٨١٨/* سقوط (الدرعية) فى نجد على يد «إبراهيم باشا» ابن «محمد على باشا» حاكم مصر، و من ثم إعدام الأمير «عبد الله بن سعود» فى تركيا يؤدى إلى ضعف النفوذ القاسمى، و العديد من حلفائهم البلوش فى مكران ليقوى نفوذ السيد «سعيد» سلطان عمان و يستعيد مناطق كثيرة فى ساحل (مكران) كانت تتبع أو خاضعة لنفوذ القواسم.

١٨١٩/* يقوم الإنجليز بملاحقة القواسم و القبائل المتحالفة معهم من البلوش على طول (ساحل مكران)، و يتم هذه السنة محاصرة سفن القواسم فى (غواتر) و لكنها تنسحب إلى رأس الخيمة.

١٨٢٠/* معاهدة الإنجليز مع القواسم بعد ضرب (رأس الخيمة) تؤدى إلى هجرة المزيد من قبائل ساحل الإمارات و ساحل الباطنة إلى ساحل (مكران) فاستقر عدد كبير من «المهير»، و من قبيلة «السويدى» من منطقة الخان فى" بيابان» و «جاسك»، و كذلك «المعامرة» و «الحواسنة» نتيجة هذه الإضطرابات.

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٢٢٨

١٨٢٣/* يقوم السيد «سعيد بن سلطان» بالقبض على حكام (بندر عباس) و (ميناب) ليستعيد هيمنته و حكمه على كافة المناطق المقابلة لسلطنة عمان من ساحل (مكران) و حتى قشم، بل و يصل بنفوذه و هجماته إلى بوشهر و البحرين و البصرة.

١٨٢٨/* (تشرين الثانى): فشل حملة السيد «سعيد بن سلطان» حاكم عمان و حلفائه من بنى ياس بقيادة الشيخ «طحنون» على البحرين.

١٨٢٩/* اتفاقية توقيع الحدود بين بنى ياس ممثلة بالشيخ «طحنون» حاكم (أبو ظبى) و القواسم ممثلة بالشيخ «سلطان بن صقر» حاكم (الشارقة).

١٨٣١/* يغادر إلى (زنجبار) السيد «سعيد بن سلطان» حاكم عمان بقيادة السفينة «ليفربول» و مع أسطول مكون من ٣٠ سفينة و قواته من أبناء القبائل العمانيين و من ضمنهم عشائر البلوش المتحالفة معهم، و من ضمن المناطق التى سيطروا عليها فى شرق أفريقيا و زنجبار استقرت عائلاتهم و ما تزال بقاياهم موجودة إلى يومنا هذا.

* مولد الأمير «شداد بن الأمير حاجى» أحد الحكام لإمارة بيابان فيما بين الفترة (١٨٥٧- ١٨٧٤) و الذى قابله الكابتن فلوير فى (بشكرد).

١٨٣٢/* تقوم قبائل النعيم و من ضمن تحالفاتهم السابقة مع قبائل البلوش بمهاجمة بعض مناطق ساحل «مكران»- مما يستدعى تدخل بريطانيا لفرض الغرامة عليهم.

* و يرفض الشيخ «راشد بن حميد النعيمى» طلب النقيب «هينيل» البريطانى للخضوع لأية عقوبات تفرضها بريطانيا على قبائله.

* إنشاء مقر الوكيل السياسى البريطانى لأول مرة بالشارقة.

١٨٣٣/* مولد الأمير «يوسف بن داخذا آل حاجى» الذى يلتقى به الكابتن فلوير و يذكر عن صراعه مع الأمير «عبد النبى» للإستحواذ على قلعة (جاشك).

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٢٢٩

* ٢١ سبتمبر: الاتفاقية التجارية الأمريكية العمانية مع السيد «سعيد بن سلطان» حاكم عمان و زنجبار.

١٨٣٥/* وفاة «فتح على شاه» حاكم فارس و تولى «محمد شاه القاجارى» حكم فارس حتى عام ١٨٤٨.

١٨٣٨/* «محمد على باشا» يأمر باجتياح (الدرعية) للمرة الثانية و يتم أسر «تركى بن عبد الله آل سعود». فى شهر مارس يتم احتلال (البريمى) بواسطة «سعد بن مطلق المطيرى» و لكن باسم والى مصر و الحكومة المصرية.

١٨٣٩/* ١٣ نوفمبر: إحتلال البريطانيين لقلعة الميرى فى (كالات)، و مقتل «مهراب» خان الكالات و تعيين حفيده «شاهنواز»

حاكما على قالات. و لكن السنة التالية فى ١٠ أغسطس يستولى «نصير خان» على حكومة القالات و هو الذى إصطدم مع العمانيين مطالبا بأخذ (جوادر) و ضمها إليه.

١٨٤٥/* حكومة فارس ترسل حملة عسكرية إلى إقطاعية (بندر عباس) العمانية و تحاصر قلعة ميناب و بعض المناطق و لكنها تنسحب بعد قيام «سيف بن نبهان» الوالى العمانى بعمل ترتيبات مالية معهم.

١٨٤٧/* يرسل السيد «ثوينى بن سعيد» قوات من (مسقط) لفك الحصار عن منطقته (جوادر) التابعة لعمان على ساحل مكران بعد أن تهاجمها قوات من «كيج» بقيادة «فقير محمد» يتم صد الهجوم و تتراجع القوات المهاجمة.

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٢٣٠

١٨٤٩/ بدء الاجتياح الإيرانى لإمارات بلوشستان و إخضاع حكامها لحكومة طهران، يتم فى هذه السنة إخضاع «المير عبد الله» حاكم «گيه» و تفرض عليه الجزية السنوية، و كانوا قد سيطروا على (بمبور) و (قصر قند) عام ١٨٤٥.

١٨٥٢/ وفاة الأمير «حاجى الكبير» الذى حكم سواحل (مكران) الغربية، و يبدأ الصراع بين أبنائه فى الحكم من بعده و أبناء عمومتهم من أولاد الأمير «محمد» و هو الصراع الدامى الطويل بين الدغارانيين و الذى استمرت آثاره حتى إنهاء حكومتهم على يد «رضا شاه بهلوى» عام ١٩٣٢ م.

١٨٥٣/* هجوم الحكومة الفارسية على المقاطعات العمانية فى (بندر عباس).

١٨٥٤/* لا تنجح حملة السيد «ثوينى بن سعيد» فى أهدافها بإرجاع الأملاك العمانية فى ساحل «مكران» و «فارس» من حكومة «فارس».

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٢٣١

١٨٥٦/* اتفاقية ١٧ نوفمبر: أخيرا توافق «فارس» على رجوع الممتلكات العمانية فى «فارس» و ساحل «مكران» (جاسك و بيابان) و لكن بالتأجير، فيوافق العمانيون و حلفائهم البلوش نظرا للظروف الإقليمية و يتم الإعتراف بالنفوذ الإيرانى عليها.

* ١٩ سبتمبر: وفاة السيد «سعيد بن سلطان آل بو سعيد» حاكم عمان و زنجبار و مناطق كثيرة من ساحل مكران على ظهر مدمرته «كوين فيكتوريا». رحلة الكابتن فلوير ؛ ص٢٣١

١٨/* بدء الإنقسامات بين أمراء آل دغار فى ساحل مكران لتشمل أفراد القبيلة فى عمان من ساحل الباطنة و الشميلية و القبائل المتحالفة معهم فى عمان و مكران، ينقسم أبناء الأمير حاجى فى بيابان و تظل معهم حتى عام ١٨٧٤، و ظهور الخلاف بين «الأمير داخذا بن مير حاجى» و «الأمير عبد النبى» الذى ينحاز إلى أخيه الأمير «حسين بن مير حاجى» و يذهب إلى مسقط لمقابلة السلطان «ثوينى بن سعيد» لمناقشة أمور الحكومة العمانية فى ساحل (مكران).

* وفاة الأمير «داخذا بن الأمير حاجى» أثناء زيارته للسيد ثوينى فى عمان فى صحار (و يدفن فى منطقة الزعفران)- و تقسيم الحكومة بين أبنائه و أبناء أخيه «الأمير حسين». و يحصل التصادم مع فروع آل دغار الآخرين على الحكم.

* مقتل «نصير خان» حاكم (كالات) بالتسمم.

١٨٥٨/ دخول الأمير «عبد النبى بن محمد» فى مواجهة الإنقسام الحاد بين أمراء آل دغار و بعد مقابلة السيد «ثوينى بن سعيد آل بو سعيد» سلطان عمان فى مسقط يتم تأييده فى إعلان حكومته و حاكما للمنطقة و يجعل مقر حكومته فى قلعة جاشك على الساحل المكرانى.

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٢٣٢

١٨٦٠/* إنفصال (زنجبار) عن الوطن الأم عمان بترتيب بريطانى، و لكن يحكمها «البوسعيد» من أبناء السيد «سعيد بن سلطان» و

على رأسهم «ثوينى بن سعيد» و «برغش» و «ماجد».
ماجد بن سعيد
١٨٦١/* البدء فى إنشاء خط التلغراف البريطانى بربط الهند ببريطانيا عبر مناطق قبائل البلوش و المناطق التابعة للحكومة العمانية على ساحل مكران، و تقوم بريطانيا بعمل ترتيبات توقيع اتفاقية التلغراف مع حكام المنطقة.
* ٣/ ٦/ ١٨٦١: تقرير القس «جورج بيرس بادجر George Badger رئيس لجنة (مسقط) و (زنجبار) و قد عنونه من (عدن) عن المسار المقترح لخط التلغراف البريطانى و الذى اقترحه بعد مقابلته للسلطان «ثوينى بن سعيد» و «الأمير حسين» بن الأمير «حاجى» أحد حكام ساحل مكران الذى كان متواجدا مع السيد «ثوينى بن سعيد» سلطان عمان فى مسقط. الأمير «حسين آل دغار» أبدى إستعداده فى المساعدة فى حماية الخط بقواته على ساحل مكران.
١٨٦٢/* إفتتاح خطوط البواخر بين الهند و الخليج و ظهور موانئ جديدة منافسة لمسقط مثل بوشهر و المحمرة.
رحلة الكابتن فلوير، ص: ٢٣٣
١٨٦٣/* ٣٠ أبريل: بعد أن يكتمل خط التلغراف البريطانى إلى (جوادّر) على ساحل (مكران) تقترح بريطانيا شراء جوادّر من سلطان مسقط، يرفض السلطان و يقترح إعطاؤهم تسهيلات لمدة ١٠ سنوات.
١٨٦٤/* إدعاء إيران رسميا بتبعية (تشابهار) و (غوادر) لها إستنادا إلى غزو «نادر شاه» لها قبل مائة و ثلاثين سنة مضت.
* تقرير الكابتن «غولد سميد» بعدم أحقية إيران فى إدعاءاتها بخصوص (جوادّر) و (تشابهار) على ساحل مكران، و تظل المناطق الأخرى أيضا تابعة للسلطنة العمانية و تحت حكمها، و بعدها بسنة تبرم إتفاقية بين بريطانيا و عمان بخصوص أملاك السلطنة و حقها فى» جوادّر».
١٨٦٥/* إغتيال السيد «ثوينى» على يد إبنه «سالم» فى صحار، و تدّعى حكومة إيران أن الاتفاقية الخاصة بخصوص الحكم العمانى فى سواحل (مكران) قد انتهت نتيجة إغتيال السيد «ثوينى بن سعيد» و تولى السيد «سالم» حكم عمان.
١٨٦٨/* يقوم السيد «سالم بن ثوينى» بمحاصرة الساحل الإيرانى و يطالب الحكومة الفارسية تطبيق اتفاقية ٤ أغسطس و تجدد الاتفاقية لإدارة الممتلكات العمانية و من ضمنها مناطق ساحل مكران.
* يتم عزل السيد «سالم بن ثوينى» بواسطة «عزان بن قيس» و رحيله إلى مناطق (بندر عباس).
رحلة الكابتن فلوير، ص: ٢٣٤
١٨٦٩/* ينجو «ناصر بن ثوينى»، ابن السلطان العمانى السابق «ثوينى» من مؤامرة لقتله فى مسقط و يلجأ إلى أخواله البلوش فى (جوادّر) الذين يقفون معه و يقومون بطرد الوالى السيد «سيف»، و فى أبريل يقوم بالسيطرة على (جوادّر) و يتم إعلانه حاكما عليها ثم يحاول السيطرة على (تشابهار) أيضا.
* تقوم الحكومة البريطانية باقتراح تعيين مسئول سياسى مقيم فى جوادّر وكيلا سياسيا لساحل مكران.
* إنتهاء خط التلغراف البريطانى إلى جاسك و التوقيع على معاهدات حماية التلغراف البريطانى بين الحكومة البريطانية و بين حكام و أمراء ساحل مكران و من ضمنهم الأمير «عبد النبى بن محمد آل دغار» و الأمير «على آل دغار». هذه المعاهدات وثقت لا حقا و سميت ب(Atchison Treaties)
* نتيجة للتغيرات فى حكومة عمان تثار نزاعات فى ساحل مكران ضد الأمير «عبد النبى بن محمد» يقوم به أفراد من بنى عمومته فرع «آل حاجى» و القبائل المتحالفة معهم، يؤدى إلى تصادمهم، و مقتل العديد من المؤيدين و المعارضين و يؤدى فى النهاية إلى اصطدام الأمير عبد النبى بن محمد مع السلطان العمانى بعد لقائهم فى جزيرة «هرمز» العمانية.

١٨٧٠/* نتيجة لزيادة ديون إيران و بذخ الشاه و أسفاره العديدة حدثت مجاعة فى جنوب فارس بين هذه السنة و حتى عام ١٨٧٢.

* فى عمان يتم الإطاحة بحكم عزان بن قيس ليحكم السيد «تركى بن سعيد بن سلطان البوسعيدى» الجد الأكبر لجلالة السلطان «قابوس بن سعيد بن تيمور السيد تركى بن سعيد

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٢٣٥

بن فيصل بن تركى آل بو سعيد».

* و فى مكران تفشل محاولة الأمير «عبد النبى بن محمد» فى فرض سيطرته الكاملة على مناطق حكمه فى ساحل مكران بعد أن يتم إحباط محاولته فى إغتيال الأمير «على آل دغار» فى منطقة (تار)، و بعدها تنقسم القبائل بين فرعى أسرة آل دغار الحاكمة بين المؤيد و المعارض حتى يتم توحيدها فى عهد الأمير بركت.

١٨٧١/* السيد «عبد العزيز آل بو سعيد» أخ السلطان العمانى «تركى بن سعيد» يصبح حاكما لمنطقة «جوادّر» العمانية على ساحل مكران رغم اعتراضات «تركى بن سعيد» لدى البريطانيين، و لا- يكتفى بهذا إنما يحاول و معه مؤيديه من قبائل «الرند» و «البلوش» بغزو (تشابهار) و تفشل المحاولة، و يغادر إلى الهند.

* يقوم البريطانيون ممثلين بالكابتن «غولد سميد» بتقسيم بلوشستان بين إيران (فارس) و الهند البريطانية و رسم الحدود بينهما. غولد سميد هو من كتب مقدمة كتاب رحلة الكابتن فلوير بعد استقرارهما فى مصر لا حقا و هو فى الأصل يهودى من أسرة هاجرت إلى بريطانيا.

* أما فى مناطق ساحل مكران الغربية فإن الأمير «على» و الذى يعتبر من ألد أعداء الأمير عبد النبى يقوم بتسليم القلعة الميرانية فى «جاسك» له و يطالب كافة فروع أمراء «آل دغار» و القبائل المتحالفة معهم بمبايعته، اعترافا منه بقدراته القيادية فى التعامل مع المخاطر التى تواجه حكم «آل دغار» داخليا و خارجيا، و فى وجود توسع النفوذ البريطانى و الهيمنة الفارسية و ضعف الحكومة العمانية أمام هذه التحديات.

١٨٧٢/* أخيرا يستولى السيد «عبد العزيز آل بو سعيد» على «تشابهار» و تصبح تحت حكم العمانيين و لكن تجند الحكومة الفارسية قوات

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٢٣٦

كبيرة يضطر بعدها السيد «عبد العزيز» و قوات البلوش المتحالفة معه للإنسحاب فى ٢١ فبراير، و يتم نهب المدينة و متاجرها من قبل القوات الإيرانية ليهرب بعدها التجار الهنود و يلجأون إلى محطة التلغراف البريطانية فى المدينة و تضم «تشابهار» إلى إيران حتى يومنا هذا.

* يبعث سلطان عمان «تركى بن سعيد» قوات لإعادة (جوادّر) للحكومة المركزية فى عمان من السيد «عبد العزيز البو سعيدى».

* و فى مكران مازالت المعارضة ضد الأمير «عبد النبى» مستمرة من بنى عمومته من فرع الأمير «حاجى» بقيادة الأمير «يوسف» الذى يقابله الكابتن «فلوير» فى بشكرد و يكتب عنه فى رحلته عبر المنطقة.

١٨٧٣/* محاولة السيد «عبد العزيز آل سعيد» إعادة (جوادّر) إلى ممتلكاته، و يحاول الهجوم على القوات المركزية العمانية و تفشل المحاولة و يتابع سوء الحظ هذا المقدام ليتم اعتقاله فى البحر فى سبتمبر ١٨٧٣ و ينفى إلى الهند.

* و من ناحية أخرى يتحالف السيد «سالم ثوينى» السلطان العمانى السابق- و المقيم لفترة طويلة مع قبائل البلوش فى مكران خاصة إقليم (دشتيارى)- للإستيلاء على جوادّر فى ديسمبر أثناء غياب الوالى «سعيد بن خميس»، و لكن بعد ٣ أيام تحاصره

القوات البريطانية و تطلب منه الإستسلام، و لكن عند حلول الظلام استطاع و بعد أن يقتل حصانه أن يخترق الحصار و يرجع إلى مناطق قبائل «البلوش» ليستقر معهم لفترة قبل مغادرته إلى جزيرة قشم.

* أما فى إيران فيتم تقسيم مناطق الخليج على جباة الضرائب لأجل حل مشكلة ديون الحكومة، و يتم تعيين ملك التجار جابيا للضرائب فى منطقة موانيء الخليج و مقره «بوشهر».

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٢٣٧

* مرسوم سلطانى بتحريم نقل العبيد و التجارة بهم فى «زنجبار» و «عمان» و كافة توابعها على ساحل مكران و هذا يسبب مشاكل كثيرة خاصة مع قبائل «البلوش» التى ترفض لجوء عبيدها إلى السلطات البريطانية فى (" جوادر") لأجل نيل حريتهم، و تقوم هذه القبائل بالهجوم على البريطانيين و الاصطدام مع الوالى العمانى و قطع الخط التلغرافى الإنجليزى.

١٨٧٤/* تقوم القوات البريطانية و سفنها بفرض حصار على ساحل (مكران) لمنع جلب الرقيق إليها و إلى (عمان).

* الثائر الأمير «يوسف» يستولى على قلعة الميرانى فى (جاسك) أثناء غياب الأمير «عبد النبى» فى زيارة إلى «بشكرد» و يترك بها حامية عسكرية من القبائل التابعة له من «بيابان».

* فى أبريل يغادر مسقط خفية السيد «عبد العزيز بن ثوينى»- و هو غير «عبد العزيز بن سعيد»- بصحبته مرافقه إلى (مكران)، و يتوجس منهما السيد «تركى بن سعيد»، و لكن فى سبتمبر يرجعهما المير «دين محمد» البلوشى إلى حاكم عمان أسيرين، يقوم السيد «تركى» بسجن السيد «عبد العزيز» فى القصر، و يبدو أنه تم إعدام مرافقه الآخر.

١٨٧٥/* يستقر السيد «تركى بن سعيد» فى جوادّر- أغسطس و سبتمبر- و تزداد زياراته إليها و يقيم مكتب بريد و يضع حامية عسكرية بها، و فى السنوات اللاحقة و من شدة و لعه بها أراد أن يفصلها عما حولها و يعهد بها لولاية إبنه محمد بعده.

* و فى (جاسك) يحاصر الأمير «عبد النبى» القلعة و مركز الحكم و يقتحمها و يطلق سراح الأمير «يوسف».

١٨٧٦/* ٧ يناير: يبدأ الكابتن الإنجليزى «إرنست فلوير» رحلته المشهورة فى مناطق قبائل البلوش منطلقا من جاسك إلى بنت فى رحلته الأولى.

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٢٣٨

١٨٨١/* المصالحة بين الأمير «عبد النبى» و الأمير «يوسف» مما يؤدى إلى استقرار الأوضاع بين قبائل البلوش بالمنطقة، و يتم إعطاء الأمير يوسف صلاحيات كبيرة فى إقليم (بيابان) من قبل الأمير «عبد النبى».

١٨٨٥/* بدء إنشاء القوة البحرية فى الخليج بوصول بارجتين بحريتين هى «بيرسوبوليس» و «سوسه» إلى (بوشهر) من ألمانيا، تكون هاتين البارجتين السبب الرئيسى فى ضم العديد من جزر الخليج إلى السلطة الفارسية و منها جزيرة «سرى» التى يرفع عليها العلم الإيرانى.

١٨٨٦/* تقوم الحكومة الإيرانية و بعد إزدياد نفوذ الأمير «عبد النبى» على ساحل مكران و بدء نشاطه السياسى مع الحكومة البريطانية و السلطة العمانية بإرسال البارجة الحربية بيرسوبوليس إلى إمارة جاسك على ساحل مكران و يتم إستدعاء الأمير «على» و الأمير «عبد النبى» و يتم حجزهما و إرسالهما إلى (بوشهر)، ثم إلى طهران بتهمة الخيانة للحكومة الفارسية و تلقى منح مالية من بريطانيا، و يعلق مندوب الحكومة البريطانية أن السبب هو العلاقات المتميزة التى كان يتبعها الأمير «عبد النبى» مع الحكومة البريطانية أثناء حماية خط التلغراف و فى التعامل معهم.

١٨٨٧/* تعيين حاكم فارسى من قبل حكومة طهران فى «جاسك»، و إرسال قوات عسكرية من «رودبار» إليها.

* تثور قبائل «البلوش» بعد نفى حكامهم إلى طهران و يقومون بأعمال تخريب و يتم سجن الكثير منهم لرفضهم دفع الضريبة

للحكومة الفارسية.
* رئيس الوزراء فى حكومة فارس يعطى الأمر للبارجة الحربية «بيرسوبوليس» للقبض على الشيخ «قضيب بن راشد» الحاكم القاسمى فى (لنجه)، و يتم نفى الشيخ «قضيب» إلى طهران فى (١١ آيلول سبتمبر) حيث يتوفى هناك.
* رفع العلم الفارسى على جزيرة (سرى) التابعة للقواسم و نقل الجنود إليها و ضمها إلى (إيران).
رحلة الكابتن فلوير، ص: ٢٣٩
١٨٨٨/* تقوم حكومة طهران بإطلاق سراح الأمير «على بن الأمير حاجى آل دغار» أحد حكام ساحل مكران و يبقى الأمير «عبد النبى بن محمد» رافضا للشروط التى يضعها الشاه القاجارى و حكومة (طهران) بخصوص الشؤون الداخلية فى (مكران).
* فى فبراير يتم رفع العلم الإيرانى فى إمارة (جاسک) على ساحل مكران و يتم رسميا وضع المنطقة تحت إدارة «ملک التجار» و تتبع موانئ الخليج فى «بوشهر».
* بعد وضع إمارة (جاسک) تحت الإدارة الإيرانية لموانئ الخليج تقوم البارجة الحربية (بيرسوبوليس) بقيادة (ملک التجار) بالذهاب إلى قطر و البحرين محاولة ضمهما لإدارة الحكومة الفارسية، و كذلک تتوجه سفن أخرى فى شباط «فبراير» إلى رأس الخيمة و أم القيوين و الشارقة لأجل رفع العلم الإيرانى بها.
* تحتج الحكومة البريطانية و توجه سفنها الحربية إلى البحرين و الشارقة و تتراجع حكومة الشاه عن محاولتها هذه.
* وفاة السيد «تركى بن سعيد» حاكم عمان و تولى إبنه «فيصل بن تركى» حكم سلطنة عمان.
فيصل بن تركى و مرافقيه
رحلة الكابتن فلوير، ص: ٢٤٠
١٨٨٩/* تأتى البارجة الحربية «بيرسوبوليس» إلى (جاسک) بقيادة حاكم موانئ الخليج الجديد «سعد السلطنة» و معه الأمير «عبد النبى بن محمد» و ذلک للمساومة معه على شروط الحكومة الفارسية، و ترجع البارجة إلى بوشهر و معها الأمير «عبد النبى» دونما أى نجاح.
* تثور قبائل ساحل مكران فى مناطق (جاسک) و تظهر قلاقل كبيرة بين القبائل الموالية للأمير «عبد النبى» و تطالب بعودته من (بوشهر).
* و من ناحية أخرى تبدأ ما يعرف بثورة حكام البلوش فى أغلب مناطق بلوشستان و قبائلها أثناء زيارة الشاه إلى أوروبا، و يؤدى إلى تدخل بريطانيا للتهدئة، و يتم تغيير الحاكم العسكرى الفارسى العام و عزل «أبو الفتح خان».
١٨٩١/* فى ربيع هذا العام يقوم القائد العسكرى القاجارى المعين حاكما ل (كرمان) إبراهيم خان بزيارة (بلوشستان) و يقوم بإعدام الحكام و قادة الثوار البلوش و الموالين لهم، و ذلک بإطلاقهم من فوهات المدافع و بالترتيب كل حسب دوره، و يتم هجرة عائلاتهم و نزوحها إلى خارج المنطقة خاصة إلى فروع قبائلهم فى عمان و شرق أفريقيا.
* فى هذه السنة و بعد رجوعه من (بوشهر) يعلن الأمير «عبد النبى بن محمد» ثورته الكبرى ضد الحكومة الفارسية يلبى دعوته أغلب قبائل البلوش بفروعها فى (مكران) و ساحل الباطنة خاصة فى (شناص) و (صحار) و (فزح) و (الظاهرة)
ابراهيم خان الحاكم العسكرى القاجارى
رحلة الكابتن فلوير، ص: ٢٤١
قبائل الهوت و ساحل الشميلية من عرفوا بأهل «التفق» و ينضمون إلى ثورته، و ترد الحكومة الفارسية على ذلک بإرسال حملة عسكرية بقيادة نائب الحاكم الإيرانى فى ميناب التى تقوم بوضع مراكز الشرطة و معسكرات الجيش و وضع المنطقة بأكملها

تحت الحكم العسكرى للقوات الإيرانية.

١٨٩٢/* يناير ١٨٩٢ يقوم الأمير «عبد النبى» بقيادة قوات القبائل المتحالفة معه، و بعد قتال متقطع، بالسيطرة على أغلب مناطق سواحل مكران الغربية، و يتم السيطرة على مراكز الجيش و الأمن التى تنسحب و يقوم بتعيين ولاة المناطق من قادة القبائل الثائرة معه.

* تقوم الحكومة الفارسية و كرد فعل على ثورة الأمير «عبد النبى» بتعيين ابن عمه الأمير «حاجى بن الأمير حسين» حاكما على منطقة بيابان، و يحدث إنشقاق جديد فى عائلة آل دغار يؤدى إلى إنحياز قبائل المنطقة متفرقة مرة أخرى بين الطرفين.

* ينضم الأمير «على» إلى قوات الأمير «عبد النبى» و يتم تنظيم حملة بقيادته على بيابان ضد الأمير «حاجى» و لكن دون نتائج واضحة و ينتهى الأمر فى نهاية هذا العام بقيادة الأمير «حاجى» لمناطق (بيابان) و رفضه دفع ضريبة العشر للحكومة المحلية للأمير «عبد النبى».

١٨٩٣/* حريق كبير فى غوادّر على ساحل مكران و التى تعد مركزا تجاريا عمانيا مهما و خسائر تقدر ب ٧٣ ألفا، و معظم المتضررين من العرب.

* إغلاق محطة التلغراف البريطانى فى (غوادّر) و إيصاله مباشرة إلى (جاسك).

* إصطدام أهالى جاسك من السماكين مع الحامية العسكرية الفارسية و تقوم

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٢٤٢

الحكومة الفارسية بتغيير وكيل الحكومة إلى ياور عسكرى.

* يقوم البريطانيون باعتقال خان الكالات و تعيين إبنه المير «محمد» بدلا عنه (١٠ مايو).

١٨٩٤/* تنجح سياسة الحكومة الفارسية فى تأليب الحكومة البريطانية على الأمير «عبد النبى بن محمد» و تنهى اتفاقية التلغراف معه و توقف المساعدات المقدمة له، و ظهور ابن عمه «الأمير حاجى» كحاكم للمنطقة و قبول السلطات الفارسية و البريطانية له.

* فى دشتيارى: وفاة «دين محمد خان» و حكم إبنه «الأمير عبدى خان».

* ١٥ يناير: أخيرا تنجح قبائل «الرند» فى الاتفاق مع الحكومة البريطانية بوقف السماح بهرب العبيد التابعين لهم إلى (غوادّر) تحت الحماية البريطانية و يقومون بوقف إعتداءاتهم عليها نتيجة لهذا الاتفاق.

١٨٩٥/ ديسمبر: وفاة الأمير «عبد النبى محمد آل دغار» أشهر حكام المنطقة بعد حياة حافلة فى الصراعات مع حكومات فارس و بريطانيا و هو آخر حاكم حكم باسم السلطنة العمانية فى ساحل مكران.

(الأمير عبد النبى) رسم الكابتن فلوير

* حرب الهناوية بقيادة الحرث ضد «فيصل بن تركى» سلطان عمان.

١٨٩٦/* ١١ أيار: ثورة عارمة بين قبائل البلوش فى مناطق بلوشستان بعد خبر مقتل الشاه القاجارى «ناصر الدين شاه» و استلام إبنه «مظفر شاه» للحكم.

* إزدياد نفوذ السلطان العثمانى التركى بين قبائل البلوش و بدء موجة الإتجاه الدينى بسبب نشر مبادئ «جمال الدين الأفغانى» و «خليفة خير محمد».

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٢٤٣

* ١٢ ديسمبر: مقتل السيد «غريفز» مفتش الخط التلغرافى البريطانى على يد قبائل منطقة (كاروان) على ساحل مكران، يتم حرق المزارع و تعذيب الأهالى و عند القبض على القتلة يتم إعدامهم على يد السلطات الفارسية و الإنجليزية.

١٨٩٧/* إرسال السفينة الحربية الفارسية (بيرسوبوليس) إلى (جاسك) على ساحل مكران بعد اضطرابات الأهالى ضد الحكومة الفارسية و التجار الهنود.

* القبض على المير «عبدى خان» بعد تهديده بغزو تشابهار.

١٨٩٨/* عودة البارجة الفارسية (بيرسوبوليس) إلى (جاسك) لمراقبة تطورات اضطرابات العام الماضى.

* ٤ (تموز) يوليو: استرجاع الشيخ «محمد بن خليفة القاسمى» «منطقة لنجه» فى ساحل فارس.

١٨٩٩/* ٢ آذار مارس: يقوم الدريابگى (الحاكم الفارسى) لموانئ الخليج بالبارجة (بيرسوبوليس) بضرب لنجه بالمدفعية و يرفع العلم الفارسى على قلعتها فى ٣ مارس.

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٢٤٤

* تتأهب قبائل «ساحل عمان» لمساعدة «محمد بن خليفة القاسمى» حاكم (لنجة) و لكن الحكومة البريطانية توجه إنذارا لها بعدم تقديم أى مساعدة للثائر العربى هناك.

١٩٠٠/* أول مايو: وفاة الأمير «على بن الأمير حاجى الدغارانى» عميد أسرة «آل حاجى» الحاكمة فى (بيابان) على ساحل مكران، و يخلفه إبنه الأمير «هوتى».

* إهتمام روسى فرنسى بغوادر.

* بريطانيا تقطع الطريق على حكومة مسقط بتهديدها تسليم (غوادّر) إلى خان (الكالات).

١٩٠١/* القروض الروسية لحكومة (إيران) بضمان جمارك جنوب إيران فى مناطق الخليج تؤدى إلى تضارب مصالح الروس مع بريطانيا فى الخليج و إلى إفلاس حكومة (فارس) و قيام المظاهرات نتيجة زيادة الضرائب مما يؤدى إلى الثورة الدستورية لا حقا و بداية النهاية للحقبة (القاجارية) فى إيران.

* يبدأ تجار الخليج فى فارس بالهجرة إلى (دبى)، و بداية الإزدهار التجارى لإمارة (دبى).

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٢٤٥

١٩٠٢/* الإتفاقية البريطانية مع حكام ساحل الإمارات لأجل منع تجارة السلاح.

* (عبد العزيز آل سعود) يستولى على (الرياض).

* زيادة المصالح الروسية فى الخليج بعد الحصول من الشاه الفارسى على امتياز السكة الحديد فى إيران.

* بدأ تحالف حكام ساحل (مكران) مع الثوار الأفغان الثائرين فى وجه بريطانيا، و فتح باب توصيل السلاح لهم من ساحل الخليج إلى (أفغانستان).

١٩٠٣/* زيارة اللورد «كيرزن» نائب ملك بريطانيا إلى الخليج».

١٩٠٥/* ظهور الخلاف بين الأمير «بركت بن عبد النبى» و الأمير «حاجى» على حكومة (بيابان) على ساحل مكران، و يتم تعيين الأمير (بركت) حاكما لبيابان بالإضافة لحكومة أخيه الأمير «مصطفى» لحكومة (جاشك).

* يتحالف الداعية الإسلامى «خليفة خير محمد» المؤيد لثورة الأفغان ضد الحكومة البريطانية مع قبائل البلوش فى عمان و ساحل مكران لدعم الثورة الأفغانية يقوى تحالفه بعد موافقة الأمير «يار محمد بن عبد الله آل دغار» و القبائل المتحالفة معه فى (غابريج) و (جغين) فى تأييده و مهاجمة المصالح البريطانية فى منطقة الخليج.

* تقوم حكومة فارّس بإنزال علم (الشارقة) فى جزيرة (أبو موسى) و ترفع العلم الفارسى بها و تفكر فى إنشاء ميناء حر لجذب تجارة المنطقة إليها، و نتيجة للإحتجاجات البريطانية يعاد رفع علم الإمارة و تنسحب القوات الفارسية فى يونيو.

١٩٠٦/* اجتماع دولى لمنع تجارة الأسلحة و التركيز يتم على منطقة الخليج حيث يتم تهريب الأسلحة للمقاومة الأفغانية ضد الإنجليز.

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٢٤٦

/* بدء الإصطدامات بين قوات الأمير «بركات» و الأمير «حاجى» المعزول عن سلطة منطقة بيابان، و إصابة عدة أشخاص.

* دستور ١٩٠٦ فى فارس الذى يؤدى لقيام مجلس الشورى و تحديد صلاحيات الشاه القاجارى.

* يحصل «خليفة خير محمد» و أتباعه من ممثلى الحركات الأفغانية على دعم الأمير «بركات» فى ساحل مكران و دعم العديد من المشايخ فى ساحل الإمارات و عمان فى ثورتهم المعادية ضد الإحتلال البريطانى فى أفغانستان.

* تحوّل قبائل البلوش فى (المازم) إلى تحالف الشيخ زايد بن خليفة بعد اصطدامهم مع «بنى قتب».

١٩٠٨/* ١٦ يناير: وفاة الأمير «عبدى» و تولى «دين محمد» إمارة (دشتيارى) فى مكران.

* إصطدام الأمير «بركت» و الأمير «حاجى» ضد (الباشكرديين) بعد إغارتهم على بيابان، و يمنعهم «بركت» من التجارة مع (جاسك)، و يمنع قوافلهم من دخول المنطقة.

١٩٠٩/* يقوم أتباع الأمير «بركت» بعد حكومته لبيابان فى الإغارة على مناطق «ميناب» و إقليمها، و يرفض دفع الضريبة الحكومية للحكومة الفارسية.

* يقوم «بهرام خان» حاكم (ديزاك) فى بلوشستتان فى يوليو من هذا العام باحتلال (بمبور) [قلعة فهرج]، و طرد الحاكم الفارسى العام منها.

* تقوم الحكومة الإيرانية بإرسال قواتها العسكرية و ينسحب «بهرام خان» عائدا إلى (ديزاك).

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٢٤٧

١٩١٠/* تآمر الحكومة البريطانية مع الحكومة الفارسية ضد الأمير «بركات». و يتم الاتفاق مع سلطات التلغراف البريطانى فى (جاسك) بدعوته ثم يتم بالخداع محاصرته و المرافقين معه، و يتم نفيه إلى (بوشهر) بواسطة البارجة الحربية الإيرانية «بيرسوبوليس»، و تقوم بريطانيا بمحاصرة ساحل مكران لمنع تدفق الأسلحة إلى الثوار الأفغان.

١٩١١/* رجوع المير «بركات» من (بوشهر) مع خادمه ليذهب إلى (كوهستاك) فى نهاية سبتمبر و مغادرته إلى (جغدان) فى (باشكرد) حيث أهله يقيمون بعد إصطدامهم بالإنجليز.

* قيام أتباع «بركات» بالإغارة على محطة التلغراف و الحامية البريطانية فى «جاسك» على ساحل مكران.

* محاولة إغتيال (بركات) فى ديسمبر.

* ٢٤ ديسمبر: قصف البريطانيين (دبى) بسبب تجارة الأسلحة للثوار الأفغان.

* تقديم الشيخ بطى ٥٠٠٠، روبيه غرامة للإنجليز و إرجاع الأسلحة.

الأمير بركات

* أبريل: فشل الحملة البريطانية بقيادة (ديلامين) ضد الأمير «بركات» فى (ممر بوشك) و عودتها إلى الساحل بعد تكبدها خسائر عديدة فى الأرواح و المعدات.

* منتصف سبتمبر: عودة الإتصالات بين بركات و البريطانيين و مقابلته للمقيم البريطانى فى (جاشك).

* إستمرار الإنجليز فى حرق جميع السفن التى تضبط فى جلب الأسلحة من (مسقط) إلى (ساحل مكران).

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٢٤٨

/* بعد فشل الحكومة الإيرانية فى مهاجمة «بهرام خان» يقومون باستدعاء «سعيد خان» لتولى السلطات فى بمبور.

۱۹۱۲/* الأمير «مراد مصطفى آل دغار» يلغى ضريبة الحكومة الفارسية على أهل (جاشک) فى ساحل مكران مبتدأ بأهل البحر من السماكين و المهن المرتبطة بها مثل تجفيف السمک المصدر للخارج.

* فى منتصف مارس: مقابلة الأمير «بركات» لمدير التلغراف البريطانى العام خارج (جاشک)، و فشل المفاوضات بينهم ثم مغادرته إلى (بشكرد).

* (١٥ مارس): السلطات الفارسية تقتل ۴ مواطنين من جاشک على ساحل مكران لرفضهم دفع الضرائب؛ نتيجة لذلک يقوم الأمير «مراد بن مصطفى آل دغار» بحصار القلعة العسكرية مع قواته المحلية و يطالب بطرد القوات العسكرية الفارسية من (جاسک)، و يتم فى ١٧ مارس سحب هذه القوات إلى (بوشهر).

* (فى ١٣ أبريل): يقوم الأمير «بركات» بمقابلة المدير العام لمحطة التلغراف البريطانى على «خور جاشک»، و رفضه لشروط البريطانيين باعترافهم له حاكما على (جاشک) و (بيابان).

* بعد أن بلغت تجارة الأسلحة حدها عام (١٩٠٧- ١٩٠٨) تعود لتنخفض عامى (١٩١٠- ١٩١١) نتيجة للحصار البريطانى على (مسقط) و تفتيش السفن.

۱۹۱۳/* الصلح بين المير «بركات» و المير «حاجى» و استلامه جزء من حكم «بيابان».

* يزداد الخلاف بين الأمير «بركات» و السلطات الفارسية.

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٢۴٩

* وفاة «اللاهى خان» حاكم (أنغوران) فى (بشكرد) و تدخل الأمير «بركات» فى الصراع المحلى بوصول إبنه «محمد بن اللاهى» للحكم.

* «سعيد خان» يرسل للمير «إسلام الشيرانى» لتولى حماية (بمبور) بعد وصول أخبار عن تحركات قوات إيرانية بمساعدة خبراء سويديين لاحتلال المنطقة، و عودته إلى (بنت) لتثبيت صلاحياته بعد أن ضعفت بسبب نفوذ «إسلام الشيرانى».

* قبائل البلوش من (بيشين) تهاجم المصالح البريطانية فى (تشابهار) (٢ أكتوبر).

* مايو: ضعف موقف سلطان عمان نتيجة إنتخاب الغافريين (الريامى) و الهناويين (الحوارّث) «سالم بن راشد» إماما إباضيا.

* زيادة فى ضغطه على البريطانيين تقوم وحدات الأمير «بركات» بإعدام المتعاونيين معهم، و منهم أحد الوطنيين المعروفين و هو المرحوم الملا «داد شاه» فى ٢٧ أبريل.

* إقناع الإنجليز لسلطان عمان فى منع تجارة الأسلحة و ذلک بالتعويض المادى و إنشاء مستودع للأسلحة و بفرض رقابة على التجارة فى موانئه.

۱۹۱۴/* إندلاع الحرب بين «بريطانيا» و «ألمانيا» و «تركيا».

* ٢٠ أكتوبر: مقتل المير «حاجى» على يد قوات قبائل تابعة للأمير «بركات» بعد عدة معارک، و بعد تخلى القبائل المحلية عن مساعدة المير «حاجى»، و ظهور الخلاف بين الأمير بركات و أبناء «المير حاجى» الذين إلتجأوا إلى حاكم «رودبار»- «ميرزا خان».

* تحول كبير فى موقف بريطانيا لمساعدة المير بركات و تثبيت موقفه.

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٢٥٠

۱۹۱۵/* زيارة الأمير «إسلام الشيرانى» حاكم إمارة بنت إلى (جاشک و بيابان).

* ٧ آيار (مايو): يقوم الأمير «يار محمد بن عبد الله آل دغار» بقيادة الحركة الأصولية على ساحل مكران ضد القوات البريطانية يدعمه في ذلك «خليفة خير محمد»، و يقوم في هذا اليوم بمهاجمة القاعدة الإنجليزية و التلغراف البريطاني في «تشابهار» مما يؤدي إلى إستشهاده و مجموعة من أتباعه من قبائل المنطقة.

* رجوع البريطانيين إلى مساعدة (المير بركات) لحفظ السلام بالمنطقة.

* التقارير البريطانية الرسمية لهذه السنة تنتقد مساعدة أمراء آل دغار في هجوم الأمير «يار محمد بن عبد الله» على القاعدة الإنجليزية في تشابهار، خاصة الأمير «مصطفى آل دغار».

* اعتراف الحكومة الفارسية بالأمير (بركات) حاكما و لكنه يرفض دفع الجزية للفارسيين عن طريق نائب الحاكم في «ميناب»، و يبلغ إستعداده لمناقشة الأمر مع السلطات الفارسية العليا في (بوشهر).

* يلجأ الثائر الأفغاني «خليفة عمر» المشهور باسم «مولانا» إلى الأمير «بركات» على ساحل (مكران) قادما من (دبي) بعد أن كشفت السلطات البريطانية كميات الأسلحة التي أرسلها لأفغانستان عن طريق تجار (دبي) خاصة «بن دلموك»، و يرفض «بركات» الطلب الذي قدمه الإنجليز لوزيرّه بإبعاده.

١٩١٦/* أغسطس: مقتل الثائر «خليفة عمر» [مولانا] في (بيابان) بتحريض بريطاني- يتم إعدام القاتل بأمر حكومة الأمير (بركات).

* استمرار ثورة قبائل مناطق «جغين» و «غابريغ» ضد المصالح البريطانية في ساحل مكران، و تقوم بقيادة الأمير «نور محمد بن عبد النبي» بقطع خدمات الاتصالات التلغرافية و التصادم مع الإنجليز.

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٢٥١

القبض على «شهد الله» بواسطة المير «سعيد خان» حاكم «گيه» و نفيه إلى البصرة ثم الهند؛ نتيجة لمطالبته بدم أخيه الذي قتل في الهجوم على تشابهار، ثم تهديده للسلطات البريطانية بقطع خطوط التلغراف و حجز الرعايا البريطانيين و نهب أسواق تشابهار.

* ١٨/ ١٩ مارس: اجتماع مدير فرع الخليج البريطاني مع «سعيد خان» و «إسلام الشيراني» في (تشابهار) و مع الأمير بركات في (جاشك) و تحذيرهم من تحركات الحكومة الألمانية في (مكران) ضد البريطانيين.

* إصطدام الأمير «بركات» مع ممثلي الحكومة الفارسية و مسؤولي «الجمارك» بسبب مضايقاتهم لتجار (جاسك) و زيادة الضرائب عليهم خاصة السيد «محمد صالح شرف» أحد كبار تجار (جاسک).

* ما زال عملاء الألمان يثيرون القبائل البلوشية على البريطانيين و أخبار عن وجودهم في «بام».

١٩١٧/* عودة الداعية الإسلامي «خليفة خير محمد» إلى تهديد السلطات البريطانية و قطع خطوط التلغراف و يطلب التحدث مع ممثليهم من البريطانيين الذين يوعزون إلى «حكومة بنت» برشوته و إعطائه إقطاعية في «فنوج».

* فبراير: المير «بركات» و «إسلام الشيراني» يقومان بالهجوم على «گيه» التي يحكمها «حسين خان» الذي يستعين بالمير (هوتي) حاكم لاشار و تحصل الاصطدامات و بعض الإصابات من غير نتيجة حاسمة للطرفين.

* ٢٧ فبراير: عودة المير «بركات» بعد قيامه بالصلح بين المير إسلام الشيراني و أخويه.

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٢٥٢

* في أبريل: إشتداد تدخل المير «إسلام الشيراني» في أمور «گيه». يرسل إبنه «أيوب خان» مع ٢٠٠ رجل لمساندة أهالي «بير» الذين رفضوا دفع الضرائب إلى «حسين خان" حاكم «گيه».

* في نهاية يوليو: إصطدام المير «بركات» مع السلطات الفارسية و الميناببين في معركة «داهي كند» بالقرب من ميناب و سقوط

عتاد «قوات جنوب فارس» و مخازن الأسلحة التابعة لهذه الكتيبة فى يد قوات «الأمير بركات» الذى يقوم بالهجوم على ميناب و حصارها حتى ٢١ يوليو.

* تدخل «الداريا باجى» الحاكم الفارسى العام لموانئ الخليج مع القنصل البريطانى فى (بندر عباس) لحل مشكلة حصار (ميناب)، و حضوره إلى بيابان لمقابلة الأمير «بركات».

* سبتمبر: إغتيال الأمير «إسلام الشيرانى» حاكم إمارة (بنت) فى (سوركبور) أثناء مغادرته إلى (قصرقند) عند ما توقف للصلاة حيث كان يهم بامتطاء حصانه بإطلاق النار عليه، و حسب ما ذكرته التقارير البريطانية أنه كان حاكما منفتحا و اغتياله خسارة يؤسف عليها.

١٩١٨/* إستسلام (ألمانيا) و إنتصار (بريطانيا) تزيد من الهيبة لها فى مكران.

* الحكومة العليا العثمانية و كجزء من مخططاتها ضد البريطانيين تقوم بإرسال ثلاثة من ضباط استخباراتها إلى حكام مكران لأجل إمدادهم بالعتاد و السلاح يقابلون الأمير (بركات) فى ٢ ديسمبر، و يغادرون إلى (بمبور) لمقابلة «بهرام خان» و يتفقون على ترتيبات إرسال الأسلحة و العتاد إليهم عن طريق الساحل.

* ١٩ سبتمبر: إصطدام بين السنة و الشيعة فى جاشك.

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٢٥٣

* ما زال الكاروانيين خارج السيطرة و يهددون بقطع التلغراف البريطانى و عجز حكام بنت فى السيطرة على «خليفة خير محمد» خاصة بعد وفاة «صاحب الشيرانى» بالإنفلونزا التى تجتاح المنطقة.

١٩١٩/* مقتل «هوتى إبراهيم» مع إبنه فى كروان على يد البريطانيين عند القيام بتفحص خط التلغراف.

* ١٣ يونيو: تخلى حرس التلغراف عن (تشابهار) و ثورة أهل منطقة (بير) على البريطانيين.

* هجوم «ميرزا خان» (ضرغام) على بشكرد و قيام حاكمها بالإستعانة بالمير «بركات» الذى يهب لنجدته مع قوات من (جاشك).

١٩٢١/* إنشاء فيلق مشاة (مسقط) بقيادة الكابتن الإنجليزى أى. فى.

مكارثى من ضباط الجيش الهندى- معظم تشكيل الجيش من قبائل «البلوش» ثم «العمانيين».

* قبيلة (السنجلا) فى الكاروان تقوم بقطع أخشاب و معادن خط التلغراف البريطانى بعد منع إستيراد المعدن من مسقط.

* أغسطس: وفاة المير «بهرام خان»، الذى هاجم البريطانيين عام ١٩١٥ و إستيلاء «دوست محمد خان» على قلعة (بمبور)، و هو الذى إصطدم مع «رضا شاه» لا حقا بعد رفع مطالبته باستقلال بلوشستان.

١٩٢٢/* إشاعات عن تحركات القوات الفارسية نحو بلوشستان.

* خلع لقب «بهادر السلطان» على المير «بركات» و «ضرغام النظام» على «ميرزا خان» حاكم (رودبار).

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٢٥٤

* المير (حسين الشيرانى) حاكم «گيه» يتزوج إبنة «دوست محمد خان» حاكم (بمبور).

١٩٢٣/* «دوست محمد خان» يهاجم (مكران) و يهزم المير «هوتى» حاكم (لاشار)، و يحتل (فانوج) فى نوفمبر و يجبر حكام (بنت) على الاعتراف بنسيبه حاكم «گيه» «حسين الشيرانى» حاكما على المنطقة.

* إصطدام المير «بركات» مع «ضرغام النظام» حاكم رودبار.

* و فى نهاية نوفمبر يقوم «ضرغام النظام» بالهجوم على (بيابان) و لكنه يهزم من الأمير «بركات» و خسارته بحدود ٧٠ فردا من قواته.

* تحاول الحكومة الفارسية تعيين ممثلين و جامعى ضرائب فى جاشک، و لكن الأهالى يرفضون التعاون معهم أو دفع أى مبالغ لهم مما يضطرهم إلى المغادرة لبوشهر.

* يصدر «رضا خان» (رضا شاه بهلوى لا حقا) رئيس الحكومة الإيرانية أمرا لوزارة المالية بمطالبة «خزعل خان» حاكم (عربستان) بدفع الأموال المتأخرة للحكومة الإيرانية فى طهران، و يقوم «خزعل خان» بتأليف «حلف السعادة» و تجهيز قوات قبائل العشائر لمحاربة القوات الإيرانية.

۱۹۲۴/* توافق السلطات الفارسية على تعيين المير «دوست محمد خان» حاكما على بلوشستان الفارسية و خلع لقب «أسد الدولة» عليه، و يقوم بكتابة رسائل إلى جميع شيوخ القبائل بدفع الضرائب المستحقة إليه فى قلعة «بمبور».

* السلطات البريطانية تقوم بتوقيف السيد «عالم شاه» الذى غادر «جاشک» إلى مكة، من كراتشى و تتهمه بتوزيع النشرات و تحريض قبائل البلوش فى المنطقة للوقوف بوجه البريطانيين (مارس).

رحلة الكابتن فلوير، ص: ۲۵۵

* السلطات الفارسية تطالب المير «بركات» بدفع الضرائب الحكومية الموجبة عليه لمنطقة (بيابان).

* مارس: السلطات الفارسية تفشل مرة أخرى فى تعيين ۳ نواب حاكم فى (جاشک) لجمع الضرائب الذين يغادرونها بعد أسابيع قليلة دون تعيينهم.

* اضطرابات فى (مكران) بخصوص سياسة التجنيد الإجبارى الذى يؤدى إلى إرسال الشباب إلى ساحات القتال فى (عربستان) و المناطق الأخرى من (إيران) و شكوى ملاک الأراضى من خلو مزارعهم من اليد العاملة.

* حدوث حالات نزوح كثيرة من السكان إلى فروع عائلاتهم و قبائلهم فى ساحل الإمارات و عمان.

۱۹۲۵/* وصول نفوذ «دوست محمد خان» إلى «بنت» و يطالب حاكمها «نگدى خان» بضرائب المنطقة من (مليكونى حينذاک) إلى (لاند)، و يتم سداد الضرائب الحكومية إليه.

* و كذلک يصل نفوذه إلى «كج» و «ديزاب»، الحكومة البريطانية تتخوف من هذا النفوذ و السلطات الفارسية تخشى على (بام) و (كرمان) بعد ظهور توجهات لدى «دوست محمد» فى السيطرة على «جيروفت» فى رودبار.

* إزدياد حدة الحركة الشعبية ضد «حكومة القاجار» فى سائر إيران.

* بداية قلق لدى السلطات الإيرانية بخصوص إزدياد نفوذ «دوست محمد خان» فى مناطق بلوشستان خاصة بعد رفضه دفع الجزية للحكومة المركزية فى طهران.

* ۱۹ أبريل: إلقاء القبض على الشيخ «خزعل خان» حاكم (المحمرة) و (عربستان) على يد «فضل الله زاهدى» قائد القوات الإيرانية و يتم ترحيله مع إبنيه إلى طهران، و تعيين حاكم عسكرى

رحلة الكابتن فلوير، ص: ۲۵۶

إيرانى على عربستان.

* ۱۲ ديسمبر: إقرار قانون نظام الحكم الجديد فى (إيران) و إقرار «رضا شاه» حاكما عليها.

* ۱۵ ديسمبر: يضع «رضا شاه» التاج على رأسه إمبراطورا لإيران و يؤدى القسم و بيان التتويج فى مجلس النواب فى طهران.

۱۹۲۶/* «دوست محمد خان» يرفع طلبه رسميا بإستقلال بلوشستان إلى الحكومة الفارسية فى (طهران).

* اتفاق جوى بين فارس و بريطانيا بحق المرور فى المجال الجوى الفارسى و بدء تنظيم رحلة جوية بين القاهرة و كراتشى مرة كل أسبوعين.

١٩٢٧/* فى نهاية شهر يناير: تمرد وسط أبناء قبائل (البلوش) المجندين إجباريا فى القوات الفارسية و يرفضون أوامر مغادرتهم إلى (بندر عباس) و يتم محاكمة بعضهم بتهمة التهرب من الخدمة العسكرية الإجبارية.

* (٦٠) جنديا إيرانيا مع المدفعية و ٦ أحصنة يصلون جاشك فى ١١ نوفمبر؛ لمصاحبة فريق إصلاح خطوط التلغراف البريطانى.

* القيادة العسكرية الإيرانية فى (كرمان) ترسل مبعوثا إلى «دوست محمد خان» الذى يبلغ المبعوث بضرورة إبلاغ (طهران) بمطالبته بالإستقلال.

* إعلان «عبد العزيز آل سعود» ملكا على (الحجاز).

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٢٥٧

* بدء التنسيق بين «دوست محمد خان» و الأمير «بركات» و تبادل الذخائر و الأسلحة لأجل مواجهة القوات العسكرية ل «رضا شاه بهلوى».

١٩٢٨/* مايو: «أمان الله مينا» أمير العسكر الإيرانى يزور (كرمان) لمناقشة خطط الهجوم على «دوست محمد».

* يوليو: تقوم الحكومة الإيرانية بتخزين القمح و علف الحيوان فى (بام) و فى (٢٥/ ٩) يلتحق السرتيب «على شاه خان» قائد قوات كرمان بالجنود فى (بام).

* ١٢ سبتمبر: الحاكم العام لكرمان يصدر مرسوما بإعفاء «دوست محمد خان» من حكومة بلوشستان.

* إحتلال «بمبور» فى أكتوبر و لجوء «دوست محمد» إلى «سرباز».

* استقرار «دوست محمد» فى (سرباز) و إعفائه من قبل الشاه.

* فى مايو: المير «دين محمد» يصادر أسلحة مصدرة ل «دوست محمد خان» بعد اختلافهما فى مواجهة الفرس فى اجتماع (قصر قند) بخصوص الضريبة الحكومية و الترتيبات الأمنية التى اقترحها «دوست محمد».

* فى نهاية مايو: تعيين «دين محمد» حاكما رسميا لتشابهار و يرفرف العلم الإيرانى على منزله و تعترف السلطات البريطانية بهذا التحرك الإيرانى لمنع «دين محمد» من المشاركة فى العمليات العسكرية مع «دوست محمد خان» (الذى هو صهره فى نفس الوقت) فى الاستقلال.

١٩٢٩/* (فبراير): إستدراج «دوست محمد خان» بواسطة اتفاق مع القوات العسكرية إلى «طهران»، و وضع المنطقة تحت الحكم العسكرى الإيرانى بقيادة «سرهنج محمد خان».

* نوفمبر: هروب «دوست محمد خان» من طهران، و لكن يعاد إعتقاله فى ديسمبر.

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٢٥٨

* الأمير «بركات» يفكر فى الإنتقال إلى (كلباء) و (البريمى) بعد مطالبة الحكومة الإيرانية منه تسليم ٦٠٠ بندقية من أبناء القبائل و سحب الأسلحة من الأهالى و مواطنى المنطقة.

* إحتلال القوات الإيرانية لمنطقة (بنت) دون مقاومة.

* أخبار عن تحركات فارسية نحو تشابهار و غوادر فى الشتاء القادم.

١٩٣٠/* منع الإمدادات إلى جاسك من قبل الأمير «مراد مصطفى آل دغار» ردا على تعليمات السلطات الإيرانية بفرض إرتداء القبعة البهلوية على قبائل البلوش، مما يجبر طهران على إلغاء هذه التعليمات لفتح الإمدادات مرة أخرى لقواتها فى (جاسك).

* التقرير البريطانى لهذه السنة يدعى بإزدياد قوة المير «بركات» عن حكام المناطق الأخرى، و إنه بطريق الاصطدام مع القوات العسكرية الفارسية خاصة بعد رفضه تسليم الأسلحة التى طلبتها سلطات «رضا شاه بهلوى».

* يونيو: إعتقال المير «دين محمد خان» حاكم (تشابهار) و هجرة أعداد كبيرة من مواطنى (دشتيارى) إلى «غوادر» و إعلان المنطقة تحت الحكم العسكرى الإيرانى.

* يناير: بعد الإعتراضات الفارسية لعقد اتفاقية يتم بها تغيير الملاحة الجوية فى (فارس) مما يدفع الإنجليز للإتجاه إلى الساحل العربى و يتم الاتفاق مع (الكويت)، و يرفض شيوخ البريمى و ترفض (رأس الخيمة)، و يتم إقناع الشيخ سلطان بن صقر القاسمى بعد جهد جهيد لعمل مطار فى (الشارقة).

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٢٥٩

١٩٣١/* بداية ديسمبر: يقبل الأمير «بركات» طلب الحكومة الفارسية بإستدعائه لطهران لمقابلة الشاه بعد تجمع القوات العسكرية و القيام بحصار سواحل مكران بقيادة «السهرنج محمد خان» و عدم المواجهة العسكرية مع القوات النظامية الفارسية و يغادر إلى طهران مع إبنيه «عبد الله» و «جلال».

١٩٣٢/* إعلان «عبد العزيز آل سعود» ملكا للمملكة العربية السعودية.

١٩٣٣/* ثورة وسط قبائل البلوش بعد الأنباء عن وفاة الأمير «بركات» فى (طهران).

* الحكومة الإيرانية ترسل فى (٢٢- ٢٦ اكتوبر) فرقا من الجنود الإيرانيين إلى (جاسك) و (تشابهار) لتوزيع القوات الإيرانية فى مكران و بشكرد للسيطرة على المتمردين البلوش.

* ٩ سبتمبر: وفاة خان الكالات «محمد أعظم» و تولى إبنه «أحمد خان» حكومة الخانات ليكون آخر سلسلة الخانات لكالات حتى عام ١٩٥٨.

١٩٣٤/* ثورة الأمير «مراد بن مصطفى» على الحكومة الإيرانية و مقتل قائد البحرية الإيرانية فى (بندر عباس) بعد المعركة البحرية فى (ليما) بالقرب من منطقة (دبا) فى دولة الإمارات العربية المتحدة.

* إعتداء على مراكز الجمارك الإيرانية فى (سذيج) على ساحل مكران بواسطة قبائل «غابريغ».

رحلة الكابتن فلوير، ص: ٢٦٠

١٩٣٦/* مجزرة «سوراك»:

محاصرة معسكر الأمير (مراد بن مصطفى آل دغار) فى منطقة (سوراك) الواقعة على ساحل خليج عمان من قبل القوات العسكرية لرضا شاه-

الأمير حسين بن مراد بن مصطفى مع مرافقيه عام ١٩٨٢ م

مقتل خمسة من أبناء الأمير «مراد بن مصطفى» مع الكثيرين من أفراد عائلته و النساء و أبناء القبائل المنظمين معه، و ينجو أثنان من أبنائه فقط هما عبد الرحمن و حسين.

- بعد سوراك بحوالى السنة و بعد أن يفقد نظره؛ يتم أسر الأمير «مراد» فى منطقة (يكدار) القريبة من جاسك و من ثم محاكمته عسكريا و إعدامه فى (زاهدان)، و معه السيد عبد الرحيم الهاشمى.

- أزمة بين الولايات المتحدة و إيران بسبب ما نشرته (الديلى ميرور) تاريخ ٨/ ٢/ ١٩٣٦ عن ماضى «رضا شاه» إمبراطور إيران و كيف أنه كان يعمل فى إسطبلات البعثة البريطانية فى طهران و ما نشرته الواشنطن بوست عن أنه أخذ العرش عنوة من أسرة عريقة فى (الشاهنشاهية).

١٩٣٦/ * ٢٦ أيار (مايو): مقتل الشيخ «خزعل خان» حاكم عربستان المعزول فى معتقله فى طهران بتدبير مدير المخابرات «مقدادى» و مدير الشرطة الإيرانية «مختارى» بإبرة سامة.

۱۹۳۹/* برقیۀ مؤرخۀ بتاریخ ۱۳ ینایر و برقم S-۱۳۳ من الوکیل السیاسی البریطانی بمسقط و أخری مؤرخۀ بتاریخ ۲۰ فبرایر

رحلۀ الکابتن فلویر، ص: ۲۶۱

۱۹۳۹ من الوکیل السیاسی البریطانی بالبحرین یؤکدان للقنصلیۀ البریطانیۀ العامۀ فی بوشهر نبأ مقتل أحد قادۀ الثوار البلوش و هو «شاکر بن مراد» علی ید الأمیر «میرزا بن برکت» فی منطقۀ (کاروان)- «شاکر بن مراد» کان أحد القادۀ العسکریین للأمیر الثائر «مراد بن مصطفی آل دغار» و لکن بعد إعدام الأمیر «مراد» إنضم إلی قوات القبائل النظامیۀ الموالیۀ لحکومۀ «رضا شاه» قبل أن یتمرد علیهم و یلجأ إلی الأمیر «میرزا بن برکت» لیلقی حتفه.

* ۸ أکتوبر: توقیع البروتوکول السری بین «رضا شاه» و «هتلر» و هو بدایۀ دفع إیران للإنضمام إلی ألمانیا بعد شهر من بدایۀ الحرب العالمیۀ الثانیۀ.

۱۹۴۱/* ثورۀ الأمیر (میرزا بن برکت) فی مناطق ساحل مکران و التابعۀ تاریخیا للحکومات العربیۀ و العمانیۀ ضد حکومۀ رضا شاه.

مایو-. بدء إتصالات الحکومۀ البریطانیۀ بالأمیر (میرزا بن برکت) من خلال قنصلیتها فی کرمان و عن طریق السید «کلداری» فی بندر عباس.

میرزا بن برکت

* نهایۀ شهر أغسطس: اجتیاح الحلفاء من القوات البریطانیۀ و الروسیۀ لإیران و حالۀ فقد توازن و تخبط کامل لحکومۀ الشاه.

* ۱ سبتمبر: یوقع «رضا شاه» علی وثیقۀ تنازله عن عرش إیران فی (قصر المرمر) بطهران.

۱۹۴۴/* ۲۶ یولیو: وفاۀ «رضا شاه» فی منفاه بجنوب أفریقیا «جوهانسبرج».

رحلۀ الکابتن فلویر، ص: ۲۶۲

۱۹۴۶/* من ضمن جهوده فی تطویر الممتلکات التابعۀ للسلطنۀ العمانیۀ علی ساحل مکران، یصدر السلطان سعید بن تیمور مرسوما بإنشاء بلدیۀ (جوادر).

۱۹۵۸/* أکتوبر: اتفاقیۀ ۱۲ ربیع الثانی ۱۳۷۸ ه (۲۵ أکتوبر ۱۹۵۸) بین حکومۀ السلطان «سعید بن تیمور» و شیوخ قبائل البلوش فی الباطنۀ فی التحالف ضد حرکۀ التمرد فی الجبل الأخضر، وقعها الشیخ «محمد بن برکت».

رحلۀ الکابتن فلویر، ص: ۲۶۳

عنه و عن أخیه الشیخ «میرزا بن برکت» و وقعها عن الحکومۀ العمانیۀ ناظر (وزیر) الشؤون الداخلیۀ «السید أحمد بن إبراهیم آل بو سعید»، تکفل بها الشیخ محمد بن برکت و جماعته لدعم الجیش النظامی السلطانی فی عملیاته العسکریۀ فی معسکر (نزوی) بالجبل الأخضر، و کذلک حراسۀ شواطئ ساحل الباطنۀ بسلطنۀ عمان من (السیب) و حتی (خطمۀ الملاحۀ) من تهریبات الأسلحۀ و الذخائر المرسلۀ للمتمردین علی الحکومۀ المرکزیۀ العمانیۀ، یتوج هذا التحالف بسقوط التمرد و نهایته لا حقا.

الشیخ محمد بن برکت

* میرزا بن برکت و محمد بن برکت هما أحفاد الأمیر عبد النبی بن محمد الذی قابله فلویر فی رحلته.

۱۹۵۸/ تقوم حکومۀ السلطان سعید بن تیمور آل سعید و نتیجۀ للضغوط البریطانیۀ بالتنازل عن (جوادر) و هو الجیب العربی الأخیر علی ساحل مکران لحکومۀ باکستان لیکون نهایۀ الحکم العربی و العمانی المباشر و الذی دام لعدۀ قرون.

تم بحمد اللّه

رحلۀ الکابتن فلویر، ص: ۲۶۵

المحتويات

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

- مِنها العَدالةُ الاجتماعيّةُ: التی یُمکِن نشرها و بثها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً؛ علی أنه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد - و نشرِ الثَقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثـُلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعِ اُخـَرَ

ه) إنتاج المُنتجات العرضیّة، الخـَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد"/ ما بینَ شارع"پنج رَمَضان" ومُفترَق "وفائی"/بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شـَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتـُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنَها لا تـُوافِی الحجمَ المتزاید و المتـّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثـَقافیّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التمکن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.